

مؤسسة دار الشعب

الطبقات الصوفية

لأبى عبد الرحمن السلمى

تحقيق الدكتور: أحمد الشرباصى



كتاب الشعب

الطبقات الصوفية

لأبى عبد الرحمن السُّلَمى

تحقيق :

الدكتور/ احمد الشرياصى

١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م

الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة طبعة كتاب الشعب

أحمد الله تبارك وتعالى، وأصلى وأسلم على أنبيائه ورسله، وعلى خاتمهم محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن دعا بدعوته بإحسان إلى يوم الدين، وأستفتح بالذى هو خير: «ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير».

فى زحمة الحياة وصخب المادة والتفات الناس عن نداء الروح وهتاف المثل العليا، يرتفع صوت ليتحدث عن أسلوب فى التربية والتهذيب الروحى، قد أصلح فسادا، وقوَّم اعوجاجا، وخرَّج أبطالا... ذلك هو أسلوب التصوف الإسلامى الصحيح القويم، البعيد عن تحريف المبطلين وتشويه المغرضين.

وهذا الصوت يعلم أنه يدافع عن قضية مظلومة، كثر أعداؤها وإن كثر فى الوقت نفسه أولياؤها وأصدقاؤها. وهو يتقدم إلى أحبَّاء التصوف لعله يكون شاهد صدق للصوفية، يؤيد حقهم، ويزكى قولهم... وإلى أعدائه أو الظانين به ظن السوء لعله يصحح لهم فهما خاطئا، أو يقوِّم فى حكمهم اعوجاجا سببه الغرض أو المرض.

* * *

نقدم فى هذه الصفحات خلاصة أمينة وافية لأحد الأصول من كتب الصوفية ذات القيمة والمكانة والشهرة، وهو كتاب «طبقات الصوفية» لأبى عبد الرحمن السُّلمى، وهو يضم تراجم وجيزة لأعلام الصوفية فى عصورهم الأولى، مع كلمات لكل علم من هؤلاء الأعلام تفصح عن آرائه ونزعات فكره.

ونرجو أن يكون هذا الحديث الصوفى سبب صلاح وفاتحة خير، والله يقول: «فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذينَ هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب».

أحمد الشرباصى

أبو عبد الرحمن السلمى

سنقدم إليك خلاصة أمينة دقيقة لكتاب «طبقات الصوفية» لأبى عبد الرحمن السلمى، ومن حقك أن تعرف أولا مَنْ السلمى؟ وأن تعرف الطريقة التى اتبعناها فى تقديم هذه الخلاصة إليك.

السلمى هو أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمى الأزدى، وهو منسوب إلى قبيلة سليم ابن منصور. وقد ولد بخراسان فى جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، وقيل سنة ثلاثين وثلاثمائة. وكان والده ورعا زاهدا صوفيا جليل القدر مع فقره، وكانت والدته سيدة فاضلة صوفية. ولما أراد أبو عبد الرحمن السفر إلى الحج قالت له أمه: «توجهت إلى بيت الله، فلا يكتبن عليك حافظاك شيئا تستحى منه غدا».

وقد نشأ أبو عبد الرحمن فى رعاية والديه، وحفظ القرآن الكريم، وروى الأشعار، وتعلم العربية، وعنى بالحديث والتصوف.

ومن شيوخه الدارقطنى والسراج والنصر اباذى والأبزارى والصبغى وأبو نعيم الأصبهانى والنيسابورى وأبو سعيد النخعى والطرائفى وأبو عمرو السلمى.

وكان له كثير من التلاميذ منهم البيهقى والتوزى والجوينى والقشيرى والخطيب البغدادى والجصينى والجوبارى والتفليسى والمامطيرى والواسطى.

وقد ظل السلمى يؤلف عهدا طويلا فى التفسير والحديث والتصوف والطبقات، وله الكتب التالية:

حقائق التفسير، والأخوة والأخوات من الصوفية، وآداب التعازى، وآداب الصحبة وحسن العشرة، وآداب الصوفية، والأربعون فى الحديث، والاستشهادات، وأمثال القرآن، ومناهج العارفين، ومقدمة فى التصوف، والفرق بين الشريعة والحقيقة، ومحن الصوفية، ومقامات الأولياء، والفتوة، وعيوب النفس ومداواتها، وتاريخ أهل الصفّة، وتاريخ الصوفية، وجوامع آداب الصوفية، ودرجات المعاملات، وغلطات الصوفية، ورسالة الملامتية، وزلل الفقر، والزهد، والسؤالات، وسلوك العارفين، والسماع، وسنن الصوفية.

وكان للسلمى أعداء وخصوم نقدوه فى شدة، وحملوا عليه فى قسوة، واتهموه أنه ليس صاحب باع فى باب الحديث، ولكن هناك من يصفه بأنه ثقة، وما من رجل له مكان ملحوظ إلا ويوجد من يقول له ومن يقول عليه.

وهذا أبو نعيم الأصبهانى يقول عنه:

«هو أحد من لقيناه ممن له العناية التامة بتوطئة مذهب المتصوفة، وتهذيبه على ما بينه الأوائل من السلف، مقتد بسمتهم، ملازم لطريقتهم، متبع لآثارهم، مفارق لما يؤثر عن المنحرفين المتهوسين من رجال هذه الطائفة، منكر عليهم».

وقد مات أبو عبد الرحمن السلمى فى شعبان سنة اثنتى عشرة وأربعمائة، ودفن فى «خانقاه» بناها فى نيسابور.

كتاب «طبقات الصوفية»

كتاب «طبقات الصوفية» من أهم الكتب التى ألفت فى التصوف والصوفية. والتاريخ يحدثنا بأن السلمى ليس أول من ألف فى طبقات الصوفية، فقد سبقه غيره ممن انتفع السلمى بكتاباتهم، ولكن كتب الذين سبقوه قد ضاعت وبقى كتاب السلمى، فزادت أهميته من جهتين: من جهة قيمته الذاتية، ومن جهة أوليته التاريخية بعد ضياع الكتب التى سبقته فى موضوعه.

وهو كتاب يترجم لأئمة الصوفية تراجم مختصرة، ويورد لكل واحد منهم طائفة من أقواله تصور مذهبه ورأيه.

وقد ظل هذا الكتاب مخطوطا إلى سنة ١٩٣٨ حيث حاول الأستاذ «بدرسن» الأستاذ بجامعة كوبنهاجن نشره، فنشر منه جزءاً صغيراً ثم توقف، وجاء بعد ذلك أخونا الأستاذ نور الدين شريبة من علماء الأزهر وحقق الكتاب، ونشرته جماعة الأزهر للتأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٣. وقد بذل الأستاذ شريبة فى عمله جهداً كبيراً نافعاً، إذ مهد طريق الانتفاع بالكتاب فى أكثر من جهة، وذلك جهد يستحق التنويه والتقدير.

والكتاب له نسخ خطية كثيرة منها نسخة فى خزانة برلين، وثانية فى دار الكتب المصرية، وثالثة فى الخزانة التيمورية بالقاهرة، ورابعة فى خزانة المتحف البريطانى، وخامسة فى خزانة بايزيد باستانبول، وسادسة فى جامع السليمانية باستانبول، وسابعة فى خزانة كوبريلى، وغيرها.

وقد ذكر السلمى فى أول كتابه أنه سيترجم لخمس طبقات من الصوفية، وكل طبقة تضم عشرين شيخا، ويذكر لكل شيخ طائفة من أقواله، ولكنه لم يلتزم هذا المنهج، فهو فى الطبقة الأولى قد ترجم تحت عنوان واحد لأخوين هما محمد وأحمد ابنا الورد، وفى الطبقة الخامسة ترجم تحت عنوان واحد لأخوين أيضاً هما محمد وجعفر ابنا أحمد بن محمد المقرى، وكذلك ترجم فى هذه الطبقة تحت عنوان واحد لثلاثة أشخاص

هم أبو الحسن الصيرفى وأبو بكر الشبهى وأبوبكر الفراء.

وقد سرت فى إعداد خلاصة هذا الكتاب على الوضع الآتى:

١ ـ حذفت الأسانيد التى تذكر فى أوائل الكلمات المنسوبة إلى كل شخص، واقتصرت على ذكر نص العبارة المنسوبة إلى الشخص المترجم.

يقول السلمى فى ترجمة الفضيل بن عياض مثلا: «أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الرازى، قال: سمعت محمد بن نصر بن منصور الصائغ، قال: سمعت مردويه الصائغ، قال: سمعت الفضيل بن عياض، يقول: «من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة».

فأحذف هذا السند وأكتفى بذكر العبارة: «من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة»، ثم أستمر فى ذكر الكلمات المنسوبة إلى الفضيل متتابعة تحت عنوان: «ومن كلامه».

٢ ـ فى كثير من التراجم يذكر السلمى عن أصحابها روايتهم للحديث، بأن يقول عن الواحد منهم: «وأسند الحديث» ثم يروى عقب ذلك الحديث وفى طليعته السند، فاقتصرت أنا على ذكر الحديث بلا سند سوى اسم الصحابى الذى رواه.

مثال ذلك أن يقول السلمى فى ترجمة ذى النون المصرى: «وأسند الحديث: أخبرنا عبد الله بن الحسين بن إبراهيم الصوفى، أخبرنا محمد بن حمدون بن مالك البغدادى، أخبرنا الحسن بن أحمد بن المبارك، أخبرنا أحمد بن صليح الفيومى أخبرنا ذو النون المصرى، عن الليث بن سعد، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».

فأكتفى بقولى: «وأسند الحديث: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:« الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».

وإذا كان الحديث ضعيفاً أشرت إلى ذلك فى هامش الكتاب. وإذا جاءت فى الترجمة عبارة: «كتب الحديث الكثير ورواه» ذكرتها خلال الترجمة، ولكنى أذكر الحديث الذى أسنده ونص عليه السلمى فى آخر الترجمة، وقبل ذكر الكلمات المنسوبة إلى صاحب الترجمة.

٣ ـ يذكر السلمى الترجمة للشخص مختصرة وغير مرتبة فى كثير من الأحيان، فرتبت أجزاء التراجم على قدر الطاقة.

٤ ـ هناك اختلافات بين الروايات المذكورة فى نسخ الكتاب، وهذه الاختلافات مذكورة بأكملها فى طبعة جماعة الأزهر يرجع إليها من شاء، وقد ذكرت أصح الروايات فى نظرى.

٥ ــ هناك كلمات قد تكررت نسبتها إلى أكثر من شخص واحد. وقد كررت ذكرهذه الكلمات فى مواضعها، إذ لا ضير فى ذلك... بل لعل فى الإعادة إفادة.

هذا ومجموعة الكلمات المنسوبة إلى أصحابها فى هذا الكتاب تعد فى غالبها حكما بليغة عميقة الغور، قوية التأثير فى التهذيب الروحى والأخلاقى، بحيث يوجد أمام القارىء مدد كبير منها، يمكنه أن يضع بين يديه كل يوم كلمة منها يرددها ويتدبرها ويحاول الاهتداء بها، فيكون من وراء ذلك خير روحى كبير.

ومن هذه الكلمات كلمات رمزية جرت على طريقة الإشارة، أو كالمجازات والاستعارات عند الأدباء وفى بعض هذه الكلمات غموض بالنسبة للقارئ العادى، وقد يرجع هذا الغموض إلى اختصاص أصحابها الصوفية باصطلاحات ومذاقات، ولذلك لانتحمل تبعة مالا نفهمه من هذه الكلمات، وهو قليل نادر بالنسبة إلى غيره.

ومهما يكن من أمر فالخلاصة التى بين يدى القارىء تجمع بين تاريخ الصوفية وحكم التصوف .وقد رأيت أن أقدم لها بمقدمات عن مذهب التصوف، واشتقاقه وصلته بالإسلام، وتأثيره فى الأفراد والجماعات، وبعض مبادئه وأصوله، لتكون هذه المقدمات توطئة ممهدة للاستئناس بهذه الغرر من الحكم الصوفية التى ترددت على لَهَوَات هؤلاء الأعلام من رجال التصوف. ولكن صفحات الكتاب المقررة لم تتسع لهذه المقدمات فنقلت إلى سلسلة «دائرة معارف الشعب»، وقد ظهرت هذه المقدمات تحت عنوان «التصوف» فى الكتاب السابع عشر من «دائرة معارف الشعب»وهوالكتاب الحادى والتسعون من «كتاب الشعب» وقد ظهر قبل صدور هذا الجزء الذى بين يديك بأسبوع، ومن الخيرأن تعود إليه لتطالع مادة التصوف فيه حتى تكون على بينة من موضوع التصوف وأنت تطالع خلاصة «طبقات الصوفية».

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

أحمد الشرباصى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى أظهر آثار قدرته وأنوار عزته، فى كل وقت وزمان، وحين وأوان، وعمر كل عصر من الأعصار بنبى مبعوث يدل الخلق ويرشدهم إليه، إلى أنِ ختم الأنبياء والرسل بالنبى الأشرف والرسول الأعلى: محمد ﷺ ، وعلى جميع أنبياء الله ورسله.

وأتبع الأنبياء ـــ عليهم السلام ــ بالأولياء، يخلفونهم فى سننهم، ويحملون أمتهم على طريقتهم وسمتهم. فلم يخلُ وقتا من الأوقات من داعٍ إليه بحق، أو دال عليه ببيان وبرهان.

وجعلهم طبقات فى كل زمان، فالولى يخلف الولى، باتباع آثاره والاقتداء بسلوكه، فيتأدب بهم المريدون، ويأتسى بهم الموحدون، قال الله تعالى : «ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء» الآية.

وقال النبى ﷺ: «خيرالناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجىء أقوام، تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته». وقال ﷺ : «مثل أمتى كالمطر، لا يدرى أوله خير أم آخره».

فعلم ﷺ أن آخر أمته لا يخلو من أولياء وبدلاء، يبينون للأمة ظواهر شرائعه، وبواطن حقائقه، ويحملونهم على آدابها ومواجبها، إما بقول أو بفعل.

فهم فى الأمم خلفاء الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم، وهم أرباب حقائق التوحيد، والمحدثون، وأصحاب الفراسات الصادقة والآداب الجميلة، والمتبعون لسنن الرسل ـــ صلوات الله عليهم أجمعين ــ إلى أن تقوم الساعة.

لذلك روى عن النبى ــ ﷺ ــ أنه قال: «لا يزال فى أمتى أربعون، على خلق إبراهيم الخليل عليه السلام، إذا جاء الأمر قبضوا».

وقد ذكرت فى كتاب « الزهد» من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين، قرنا فقرنا، وطبقة فطبقة، إلى أن بلغت النوبة إلى أرباب الأحوال، المتكلمين على لسان التفريد، وحقائق التوحيد، واستعمال طرق التجريد.

فأحببت أن أجمع فى سير متأخرى الأولياء كتابا أسميه «طبقات الصوفية»، أجعله على خمس طبقات، من أئمة القوم ومشايخهم وعلمائهم، فأذكر فى كل طبقة عشرين شيخا، من أئمتهم الذين كانوا فى زمانٍ واحد، أو قريبا بعضهم من بعض.

وأذكر لكل واحد من كلامه وشمائله وسيرته، ما يدل على طريقته وحاله وعلمه، بقدر وسعى وطاقتى.

وهذا بعد أن استخرت الله تعالى فى ذلك، وفى جميع أمورى، وبرئت فيه من حولى وقوتى، وسألته أن يعيننى عليه، وعلى كل خير، وأن يوفقنى له، ويجعلنى من أهله.

وصلى الله على محمد المصطفى، وعلى آله وأصحابه وأزواجه، وسلم كثيرا.

الطبقة الأولى

الفضيل بن عياض

منهم الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، التميمى، ثم اليربوعى... خراسانى من ناحية «مرو»ـ مدينة بفارس- من قرية يقال لها: «فندين».

ولد بسمرقند- ببلاد فارس- ونشأ بأبيورد من بلاد التركستان.

قال الفضيل: «ولدت بسمرقند، ونشأت بأبيورد، ورأيت بسمرقند عشرة آلاف جوزة بدرهم». وقال ابنه أبو عبيدة: «أبى: فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، يكنى بأبى على، من بنى تميم، من بنى يربوع، من أنفسهم... ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد، والأصل من الكوفة» .

ومات فى المحرم سنة سبع وثمانين ومائة بمكة. وأسند الحديث:

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى للدنيا: يا دنيا، مُرِّى على أوليائى، ولا تحلولى لهم فتفتنيهم».

ومن كلام الفضيل:

* من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة.

* فى آخر الزمان أقوام، يكونون أخوان العلانية، أعداء السريرة.

* أحق الناس بالرضا عن الله أهل المعرفة بالله عز وجل.

* لا ينبغى لحامل القرآن أن يكون له إلى مخلوق حاجة... لا إلى الخلفاء فمن دونهم. ينبغى أن تكون حوائج الخلق كلهم إليه.

* لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة، وإنما أدرك بسخاء النفس، وسلامة الصدر، والنصح للأمة.

* لم يتزين الناس بشىء أفضل من الصدق وطلب الحلال.

* أصل الزهد الرضا عن الله تعالى.

* من عرف الناس استراح.

* إنى لا أعتقد إخاء الرجل فى الرضا، ولكنى أعتقد إخاءه فى الغضب، إذا أغضبته.

* تباعد من القراء فإنهم إن أحبُّوك مدحوك بما ليس فيك، وإن أبغضوك شهدوا عليك وقبل منهم.

* وسئل عن التواضع فقال: أن تخضع للحق وتنقاد له، وتقبل الحق من كل من تسمعه منه.

* أشتهى مرضا بلا عواد.

* إن فيكم خصلتين هما من الجهل: الضحك من غير عجب، والتصبُّح (أى النوم فى أول النهار) من غير سهر.

* من أظهر لأخيه الود والصفاء بلسانه، وأضمر له العداوة والبغضاء، لعنه الله، فأصمَّه وأعمى بصيرة قلبه.

* وقال فى قول الله عز وجل: «إن فى هذا لبلاغا لقوم عابدين»: الذين يحافظون على الصلوات الخمس.

* كان يقال: جعل الشر كله فى بيت، وجعل مفتاحه الرغبة فى الدنيا. وجعل الخير كله فى بيت، وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا.

* من كفَّ شره فما ضيع سره.

* ثلاث خصال تقسى القلب: كثرة الأكل، وكثرة النوم، وكثرة الكلام.

* خير العمل أخفاه، وأمنعه من الشيطان أبعده من الرياء.

* إن من شكر النعمة أن تحدث بها.

* أَبَىْ الله إلا أن يجعل أرزاق المتقين من حيث لا يحتسبون.

* لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسبة له.

* طوبى لمن استوحش من الناس، وأنس بربه، وبكى على خطيئته.

ذو النون المصرى

ومنهم ذو النون أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصرى الأخميمى، مولى لقريش، وكان أبوه إبراهيم نوبيا.

توفى سنة خمس وأربعين ومائتين. وقيل سنة ثمان وأربعين.

وأسند الحديث:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».

ومن كلام ذى النون:

* إياك أن تكون بالمعرفة مدَّعيا، أو تكون بالزهد محترفا، أو تكون بالعبارة متعلقا.

* وسئل: ماأخفى الحجاب وأشده؟ فقال: رؤية النفس وتدبيرها.

* وسئل عن المحبة، فقال: أن تحب ما أحب الله، وتبغض ما أبغض الله، وتفعل الخير كله، وترفض كل ما يشغل عن الله، وألَّا تخاف فى الله لومة لائم... مع العطف للمؤمنين، والغلظة على الكافرين، واتباع رسول

الله- ﷺ- فى الدين.

* قال الله تعالى: من كان لى مطيعاً كنت له ولياً، فليثق بى وليحكم علىّ... فوعزتى لو سألنى زوال الدنيا لأزلتها له.

* وسأله عبد الله بن محمد بن ميمون عن الصوفى، فقال: من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق، وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق.

* الأنس بالله صفاء القلب مع الله، والتفرد بالله الانقطاع من كل شىء سوى الله.

* من أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظمة الله، فإنها تذوب وتصفو، ومن نظر إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه، لأن النفوس كلها فقيرة عند هيبته.

* لم أر أجهل من طبيب يداوى سكران فى وقت سكره... لن يكون لسكره دواء حتى يفيق، فيداوى بالتوبة.

* لم أر شيئا أبعث لطلب الإخلاص من الوحدة، لأنه إذا خلا لم ير غير الله تعالى، فإذا لم ير غيره لم يحركه إلا حكم الله. ومن أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص، واستمسك بركن كبير من أركان الصدق.

* من علامات المحب لله متابعة حبيب الله فى أخلاقه وأفعاله وأمره وسننه.

* إذا صح اليقين فى القلب صح الخوف فيه.

وأنشد:

أموت وما ماتت إليك صبابتى

ولا قضيت من صدق حبك أوطارى

مناى- المنى كل المنى- أنت لى منى

وأنت الغنى- كل الغنى- عند اقتارى

وأنت مدى سؤلى، وغاية رغبتى

وموضع آمالى، ومكنون اضمارى

تحمل قلبى فيك ما لا أبثه

وإن طال سقمى فيك، أو طال إضرارى

وبين ضلوعى منك مالك قد بدا

ولم يبد باديه لأهل ولا جار

وبى منك فى الأحشاء داء مخامر

فقد هدمنى الركن، وانبث أسرارى

ألست دليل الركب إن هم تحيروا

ومنقذ من أشفى على جرف هارى؟

أنرت الهدى للمهتدين، ولم يكن

من النور فى أيديهم عشر معشار

فنلنى بعفو منك أحيا بقربه

أغثنى بيسر منك يطرد إعسارى

* لئن مددت يدى إليك داعيا لطالما كفيتنى ساهيا، أأقطع منك رجاى بما عملت يداى؟ حسبى من سؤالى علمك بحالى.

* كل مدَّعٍ محجوب بدعواه عن شهود الحق، لأن الحق شاهد لأهل الحق... لأن الله هو الحق، وقوله الحق. ولا يحتاج أن يدعى إذا كان الحق شاهدا له، فأما إذا كان غائبا فحينئذ يدعى، وإنما تقع الدعوى للمحجوبين.

* من استأنس بالخلق فقد استمكن من بساط الفراعنة، ومن غيب عن ملاحظة نفسه فقد استمكن من الإخلاص، ومن كان حظه فى الأشياء «هو» لا يبالى ما فاته مما هو دونه.

* الصدق سيف الله فى أرضه، ما وضع على شىء إلاقطعه.

* من تزين بعمله كانت حسناته سيئات.

* بأول قدم تطلبه تدركه وتجده.

* أدنى منازل الأنس أن يلقى فى النار فلا يغيب همه عن مأموله.

* الأنس بالله نور ساطع، والأنس بالخلق غمٌّ واقع.

* لله عباد تركوا الذنب استحياء من كرمه، بعد أن تركوه خوفا من عقوبته. ولو قال لك: اعمل ما شئت فلست آخذك بذنب، كان ينبغى أن يزيدك كرمه استحياء منه، وتركا لمعصيته، إن كنت حراًّ كريما، عبدا شكورا... فكيف وقد حذرك؟!

* الخوف رقيب العمل، والرجاء شفيع المحن.

* اطلب الحاجة بلسان الفقر لا بلسان الحكم.

* مفتاح العبادة الفكرة، وعلامة الهوى متابعة الشهوات، وعلامة التوكل انقطاع المطامع.

* كان لى صديق فقير فمات، فرأيته فى النوم، فقلت له: ما فعل الله بك؟

قال: قال لى: قد غفرت لك بترددك إلى هؤلاء السفل أبناء الدنيا، فى رغيف، قبل أن يعطوك.

* كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا لها، واليوم يزداد الرجل بعلمه حبًّا للدنيا ولها طلبا. وكان الرجل ينفق ماله على علمه، واليوم يكسب الرجل بعلمه مالا. وكان يرى على صاحب العلم زيادة فى باطنه وظاهره، واليوم يرى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر.

* العارف كل يوم أخشع، لأنه كل ساعة أقرب.

* يا معشر المريدين، من أراد منكم الطريق، فليلق العلماء بالجهل، والزهاد بالرغبة، وأهل المعرفة بالصمت.

* إن العارف لا يلزمه حالة واحدة، إنما يلزم ربه فى الحالات كلها.

إبراهيم بن أدهم

ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم، من أهل بلخ- مدينة بخراسان- كان من أبناء الملوك والمياسير، وخرج للصيد فهتف به هاتف أيقظه من غفلته، فترك طريقته فى التزين بالدنيا، ورجع إلى طريقة أهل الزهد والورع؛ وخرج إلى مكة، وصحب بها سفيان الثورى والفضيل بن عياض. ودخل الشام فكان يعمل فيه؛ ويأكل من عمل يده، ومات بالشام.

وأسند الحديث:

عن ابن عباس أن النبى ﷺ كان يسجد على كور العمامة.

ولقد سئل عن بدء أمره فى التصوف كيف كان، فقال:

«كان أبى من ملوك خراسان، وكنت شابا، فركبت إلى الصيد، فخرجت يوما على دابة لى ومعى كلب، فأثرت أرنبا أو ثعلبا، فبينا أنا أطلبه إذ هتف بى هاتف لا أراه: يا إبراهيم، ألهذا خلقت؟ أم بهذا أمرت؟ ففزعت ووقفت، ثم عدت فركضت الثانية، ففعل بى مثل ذلك ثلاث مرات، ثم هتف بى هاتف من قربوس السرج (أى مقدمه): والله ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت!».

قال: «فنزلت فصادفت راعيا يرعى الغنم لأبى، فأخذت جبته الصوف فلبستها، ودفعت إليه الفرس وما

كان معى، وتوجهت إلى مكة».

وقص أنه لقى الخضر، وتعلم منه اسم الله الأعظم. وأنه لقى أسلم بن يزيد الجهنى، فقال له أسلم: من أنت يا غلام؟ فقال إبراهيم: شاب من خراسان فقال أسلم: ما حملك على الخروج من الدنيا ؟ فقال: زهدا فيها ورجاء لثواب الله تعالى. فقال أسلم:

«إن العبد لا يتم رجاؤه لثواب الله تعالى حتى يحمل نفسه على الصبر. وإن أدنى منازل الصبر أن يروض العبد نفسه على احتمال مكاره الأنفس. وإذا كان محتملا للمكاره أورث الله قلبه نورا، وهو سراج يكون فى قلبه يفرق به بين الحق والباطل، والناسخ والمتشابه».

ثم قال له أسلم :يا غلام، إياك- إذا صحبت الأخيار، أو حادثت الأبرار- أن تغضبهم عليك، فإن الله يغضب لغضبهم ويرضى لرضاهم، وذلك أن الحكماء هم العلماء، وهم الراضون عن الله عز وجل إذا سخط الناس، وهم جلساء الله غدا بعد النبيين والصديقين .

ثم قال له أسلم: إياك والبخل. أما البخل عند أهل الدنيا فهو أن يكون الرجل بخيلا بماله، وأما الذى عند أهل الآخرة فهو الذى يبخل بنفسه عن الله تعالى. ألا وإن العبد إذا جاد بنفسه لله، أورث قلبه الهدى والتقى، وأعطى السكينة والوقار، والعلم الراجح والعقل الكامل... وهو مع ذلك تُفتح له أبواب السماء، فهو ينظر إلى أبوابها بقلبه كيف تُفتح، وإن كان فى طريق الدنيا مطروحا.

ثم قال له أسلم: واعلم أن العبد إذا قلاه الأخيار، واجتنب صحبته الورعون، فإن ذلك استعتاب من الله تعالى لكى يعتبه، فإن أعتب الله عز وجل أقبل بقلوبهم عليه، وإن تمرد على الله أورث قلبه الضلالة، مع حرمان من الرزق، وجفاء من الأهل، ومقت من الملائكة، وإعراض من الرسل بوجوههم، ثم لم يبال الله فى أى واد يهلكه!

ثم كان بينهما حديث آخر اشترك فيه غيرهما[1].

ومن كلام إبراهيم بن أدهم:

* كتب إلى سفيان الثورى: من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، ومن أطلق بصره طال أسفه، ومن أطلق أمله ساء عمله، ومن أطلق لسانه قتل نفسه.

---

(١) أسقطنا من هذه العظة سطورا تتضمن أمورا لا يسهل تصديقها.

* وقال له قائل: أوصنى. فقال: اتخذ الله صاحبا، وذر الناس جانبا.

* وقال لرجل فى الطواف: اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات: أولاها أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة، والثانية أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل، والثالثة أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد، والرابعة أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر، والخامسة أن تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر، والسادسة أن تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت.

بشر الحافى

ومنهم أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله، الحافى. أصله من «مرو» من قرية «بكرد» أو« مابرسام».

سكن بغداد، ومات بها. وهو ابن عم على بن خشرم، وصحب الفضيل بن عياض، وكان عالما ورعا. قال يحيى بن أكثم: قال لى المأمون: «لم يبق فى هذه الكورة أحد يستحى منه غير هذا الشيخ: بشر بن الحارث».

مات بشر يوم الأربعاء لعشر خلون من المحرم، سنة سبع وعشرين ومائتين.

وأسند الحديث :

عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا الثوم نيئا، فلولا أن الملك يأتينى لأكلته».

ومن كلام بشر:

* يأتى على الناس زمان لا تقر فيه عين حكيم، ويأتى عليهم زمان تكون الدولة فيه للحمقى على الأكياس.

* النظر إلى الأحمق سخنة العين، والنظر إلى البخيل يقسى القلب.

* اعمل فى ترك التصنع، ولا تعمل فى التصنع.

* الصبر الجميل هو الذى لا شكوى فيه إلى الناس.

* لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوك، وكيف يكون فيك خير وأنت لا يأمنك صديقك؟

* لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطا من حديد.

* الدعاء ترك الذنوب.

* ورأى شيخا من شيوخ الصوفية يرتعد من البرد فى يوم بارد فقال:

قطــع الـليالـى مـع الأيــام فـى خلـق

والنـــوم تـحـت رواق الهم والقلق

أحـرى وأجـدر بـى مـن أن يقال غدا:

إنى التمست الغنى من كف مختلق

قالوا: رضيت بذا؟ قلت: القنـوع غنى

ليس الغـنى كـثرة الأموال والـورق

رضيـت بـالله فـى عسرى وفى يسـرى

فلسـت أسـلك إلا واضـح الطـرق

* المتقلب فى جوعه كالمتشحط [1] فى دمه فى سبيل الله، وثوابه الجنة.

* هب أنك لا تخاف، ويحك! ألا تشتاق؟

* أربعة رفعهم الله بطيب المطعم. وهيب بن الورد، وإبراهيم بن أدهم، ويوسف بن أسباط، وسالم الخواص.

*شاطر سحى أحب إلى من قارىء لئيم.

* إنى لأشتهى الشواء منذ أربعين سنة، فما صفا لى درهمه.

* وقال له رجل: لا أدرى بأى شىء آكل خبزى؟ فقال له: اذكر العافية، واجعلها إدَامَك.

* إن لم تُطع فلا تعصَ.

* أنا أكره الموت، ولا يكره الموت إلا مريب.

* حبك لمعرفة الناس رأس محبة الدنيا.

* بحسبك أن أقواما موتى تحيا القلوب بذكرهم، وأن قوما أحياء تقسو القلوب برؤيتهم.

* الحلال لا يحتمل السرف.

* بى داء، ما لم أعالج نفسى لا أتفرغ لغيرى، فإذا عـالجت نفسى تفرغت لغيرى، ما أبصرنى بموضع الداء وموضع الدواء، إن أعـاننى منه بمعونة... ثم قـال: «أنتم الداء، أرى وجوه قـوم لا يخافون، مـتهـاونين بأمور الآخرة».

---

(١) تشحط فى دمه: أى تخبط فيه واضطرب وتمرغ.

* وكان يتكلم فى الرضا والتسليم فقال له رجل من الصوفية: «يا أبا نصر، انقبضت عن أخذ البر من يد الخلق لإقامة الجاه، فإن كنت متحققا بالزهد منصرفا عن الدنيا فخذ من أيديهم ليمتحى جاهك عندهم، وأخرج ما يعطونك للفقراء، وكن بعقد التوكل تأخذ قوتك من الغيب».

فاشتد ذلك على أصحاب بشر، فقال بشر: اسمع أيها الرجل الجواب:

الفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل، وإن أعطى لا يأخذ... فذاك من الروحانيين، إذا سأل الله أعطاه، وإن أقسم على الله أبر قسمه.

وفقير لا يسأل، وإن أعطى قبل... فذاك من أوسط القوم، عقده التوكل والسكون إلى الله تعالى، وهو ممن توضع له الموائد فى حظيرة القدس.

وفقير اعتقد الصبر ومدافعة الوقت، فإذا طرقته الحاجة خرج إلى عبيد الله، وقلبه إلى الله بالسؤال... فكفارة مسألته صدقه فى السؤال.

فقال الرجل: رضيت رضى الله عنك.

سرى السقطى

ومنهم أبو الحسن سرى بن المفلس السقطى يقال إنه خال الجنيد وأستاذه. صحب معروفا الكرخى، وهو أول من تكلم ببغداد فى لسان التوحيد وحقائق الأحوال.

وهو إمام البغداديين وشيخهم فى وقته، وإليه ينتمى أكثر الطبقة الثانية من المشايخ المذكورين فى هذا الكتاب.

مات سرى السقطى سنة إحدى وخمسين ومائتين.

وأسند الحديث:

عن حازم بن حرملة الغفارى، صاحب رسول الله ﷺ، يقول: «مررت يوما فرآنى رسول الله، ﷺ، فقال: يا حازم! أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها من كنوز الجنة».

ومن كلامه:

* سمعه الجنيد يقول: «أعرف طريقا مختصرا قصدا إلى الجنة». فقال الجنيد: ما هو؟ فقال السقطى: «لا تسأل أحدا شيئاً، ولا تأخذ من أحد شيئا، ولا يكن معك شيء تعطى منه أحدا».

* إذا فاتنى جزء من وردى؛ لا يمكننى أن أقضيه أبدا.

* من أراد أن يسلم دينه، ويستريح قلبه وبدنه، ويقل غمه، فليعتزل الناس، لأن هذا زمان عزلة ووحدة.

* كل الدنيا فضول، إلا خمس خصال: خبز يشبعه، وماء يرويه، وثوب يستره، وبيت يكنه، وعلم يستعمله.

* التوكل الانخلاع من الحول والقوة.

* أربع من أخلاق الأبدال: استقصاء الورع، وتصحيح الإرادة، وسلامة الصدر للخلق، والنصيحة لهم.

* اللهم ما عذبتنى بشىء، فلا تعذبنى بذل الحجاب.

* وسئل عن العقل فقال: ما قامت به الحجة على مأمور ومنهى.

* أربع خصال ترفع العبد: العِلم، والأدب، والأمانة، والعفة.

* من لم يعرف قدرَ النعمة سلبها من حيث لا يعلم.

* من هانت عليه المصائب أحرز ثوابها.

* قليل فى سنَّة، خير من كثير مع بدعة. كيف يقل عمل مع التقوى؟!

* الأمور ثلاثة: أمر بان لك رشده فاتبعه، وأمر بان لك غيه فاجتنبه، وأمر أشكل عليك فقف عنده وكله إلى الله عز وجل... وليكن الله دليلك، واجعل فقرك إليه تستغن عما سواه.

* الأدب ترجمان العقل.

*ما أكثر من يصف الصفة، وأقل من يوافق فعله صفته.

*أقوى القوة غلبتكِ نفسك. ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز، ومن أطاع من فوقه أطاعه من دونه.

* من خاف الله خافه كل شيء.

* لسانك ترجمان قلبك، ووجهك مرآة قلبك، يتبين على الوجه ما تضمر القلوب.

* القلوب ثلاثة: قلب مثل الجبل لا يزيله شيء، وقلب مثل النخلة أصلها ثابت والريح تميلها، وقلب كالريشة تميل مع الريح يمينا وشمالا.

* لا تصرم أخاك على ارتياب، ولا تدعه دون الاستعتاب.

* إن اغتممت لما ينقص من مالك، فابك على ما ينقص من عمرك.

* من علامة المعرفة بالله القيام بحقوق الله، وإيثاره على النفس فيما أمكنت فيه القدرة.

* من قلة الصدق كثرة الخلطاء.

* حُسن الخلق كف الأذى عن الناس، واحتمال الأذى عنهم بلا حقد ولا مكافأة.

* من علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس.

* خير الرزق ما سلم من خمسة: من الآثام فى الاكتساب، والمذلة والخضوع فى السؤال، والغش فى الصناعة، وأثمان آلة المعاصى، ومعاملة الظلمة.

* أحسن الأشياء خمسة: البكاء على الذنوب، وإصلاح العيوب، وطاعة علاَّم الغيوب، وجلاء الرين من القلوب، وألا تكون لكل ما تهوى بركوب.

* أربعة أشياء لا يسكن فى القلب معها غيرها: الخوف من الله وحده، والرجاء لله وحده، والحب لله وحده، والأنس بالله وحده.

* أجلد الناس من ملك غضبه.

* من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله عز وجل.

* لن يكمل رجل حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

* وقال له رجل: كيف أنت؟ فقال:

من لم يبت والحب حشو فؤاده

لم يدر كيف تفتت الأكباد

* إذا ابتدأ الإنسان بالنسك ثم كتب الحديث، فتر... وإذا ابتدأ بكتب الحديث ثم تنسك، نفذ.

الحارث المحاسبى

ومنهم أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى، من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر وعلوم المعاملات والإشارات، وله كتب مشهورة، منها كتاب «الرعاية لحقوق الله». وهو أستاذ أكثر البغداديين، وهو من أهل البصرة. مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين.

وأسند الحديث:

عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ : «أثقل ما يوضع فى الميزان حُسن الخلق».

ومن كلام الحارث المحاسبى:

* المحاسبة والموازنة فى أربعة مواطن: فيما بين الإيمان والكفر، وفيما بين الصدق والكذب، وبين التوحيد والشرك، وبين الإخلاص والرياء.

* من اجتهد فى باطنه ورثه الله حسن معاملة ظاهره، ومن حسن معاملته فى ظاهره- مع جهد باطنه- ورثه

الله تعالى الهداية إليه، لقوله عز وجل: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا».

* العلم يورث المخافة، والزهد يورث الراحة، والمعرفة تورث الإنابة.

* خيار هذه الأمة الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دنياهم، ولا دنياهم عن آخرتهم.

* الذى يبعث العبد على التوبة ترك الإصرار، والذى يبعثه على ترك الإصرار ملازمة الخوف.

* لا ينبغى أن يطلب العبد الورع بتضييع الواجب.

* أكثر شغل الحكيم فيما يوجبه عليه الوقت، والذى هو أولى به فيه.

* صفة العبودية ألَّا ترى لنفسك ملكا، وتعلم أنك لا تملك لنفسك ضراً ولا نفعا.

* التسليم هو الثبوت عند نزول البلاء، من غير تغير منه فى الظاهر والباطن.

* وسُئل عن الرجاء فقال: الطمع فى فضل الله تعالى ورحمته، وصدق حُسن الظن عند نزول الموت.

* الحزن على وجوه: حزن على فقد أمر يحب وجوده، وحزن مخافة أمر مستقبل، وحزن لما أحب من الظفر بأمر فيتأخر عن مراده، وحزن يتذكر من نفسه مخالفات الحق فيحزن له.

* حُسن الخُلق: احتمال الأذى، وقلة الغضب ، وبسط الوجه، وطيب الكلام.

* لكل شىء جوهر، وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل الصبر.

* العمل بحركات القلوب فى مطالعات الغيوب أشرف من العمل بحركات الجوارح.

* من طبع على البدعة متى يشيع فيه الحق؟

* إذا أنت لم تسمع نداء الله، فكيف تجيب داعى الله؟ ومن استغنى بشىء دون الله جهل قدر الله.

* الظالم نادم وإن مدحه الناس، والمظلوم سالم وإن ذمه الناس، والقانع غنى وإن جاع، والحريص فقير وإن ملك.

* من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص، زيَّنَ الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنَّة.

* وأنشد قوال بين يديه هذه الأبيات:

أنا فى الغربة أبكى

ما بكت عين غريب

لم أكن يوم خروجى

من بلادى بمصيب

عجبا لى ولتركى

وطنا فيه حبيبى

فقام الحارث يتواجد ويبكى، حتى رحمه كل من حضره.

* وسُئل: من أقهر الناس لنفسه؟ فقال: الراضى بالمقدور.

* الخلق كلهم معذورون فى العقل، مأخوذون فى الحكم.

* من لم يشكر الله على النعمة فقد استدعى زوالها.

* أكمل العاقلين من أقرَّ بالعجز أنه لا يبلغ كنه معرفته.

شقيق البلخى

ومنهم أبو على شقيق بن إبراهيم الأزدى- من أهل بلخ- حُسن الجرى على سبيل التوكل، وحُسن الكلام فيه. وهو من مشاهير مشايخ خراسان، وأظنه أول من تكلم فى علوم الأحوال بكورخراسان. وكان أستاذ حاتم الأصم، وصحب إبراهيم بن أدهم، وأخذ عنه الطريقة.

وأسند الحديث:

عن عائشة رضى الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إن الخير خير الآخرة».

والحديث التالى: عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من أخذ من الدنيا من الحلال حاسبه الله ،ومن أخذ من الدنيا من الحرام عذبه الله به.. أُفٌّ للدنيا وما فيها من البليات! حلالها حساب، وحرامها عذاب»!.

ومن كلام شقيق البلخى:

* العاقل لا يخرج من هذه الأحرف الثلاثة: الأول أن يكون خائفا لما سلف منه من الذنوب، والثانى لا يدرى ما ينزل به ساعة بعد ساعة، والثالث يخاف من إبهام العاقبة، لايدرى ما يختم له.

* احذر ألا تهلك بالدنيا، ولا تهتم، فإن رزقك لا يعطى لأحد سواك.

* استعد، إذا جاءك الموت لا تسأل الرجعة.

* التوكل أن يطمئن قلبك بموعود الله.

* تعرف تقوى الرجل فى ثلاثة أشياء: فى أخذه، ومنعه، وكلامه.

* وسُئل: بأى شىء يُعرف الرجل وأنه أصاب القِلَّة؟ فقال: بأن كل شىء يُأخذ من الدنيا يأخذه فى حال يخاف- إن لم يأخذه- أن يأثم.

* وسُئل: بأى شىء يعرف الفقير أنه أصاب من الله تعالى حفظ الفقر؟ فقال: بأن يخشى من الغنى، ويغتنم الفقر.

* عملت فى القرآن عشرين سنة حتى ميزت الدنيا من الآخرة، فأصبته فى حرفين، وهو قول الله تعالى : «وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها، وما عند الله خير وأبقى».

* الزاهد الذى يقيم زهده بفعله، والمتزهد الذى يقيم زهده بلسانه.

* من لم يعرف الله بالقدرة فإنه لا يعرفه، قيل: وكيف يعرفه بالقدرة؟ فقال: يعرف أن الله قادر إذا كان معه شىء أن يأخذه منه ويعطيه غيره، وإذا لم يكن معه شىء أن يعطيه.

* من أراد أن يعرف معرفته بالله فلينظر إلى ما وعده الله ووعده الناس، بأيهما قلبه أوثق.

* ميِّز بين ما تعطى وتعطى: إن كان من يعطيك أحب إليك فإنك مُحبٌّ للدنيا، وإن كان من تعطيه أحب إليك فإنك محب للآخرة.

* من خرج من النعمة ووقع فى القِلّة- ولا تكون القِلّة عنده أعظم من النعمة- وقع فى غمّين: غَمٌّ فى الدنيا، وغَمٌّ فى الآخرة. ومن خرج من النعمة ووقع فى القلّة- وكانت القلّة عنده أعظم من النعمة التى خرج منها- كان فى فرحين: فرح فى الدنيا، وفرح فى الآخرة.

* اتق الأغنياء! فإنك متى عقدت قلبك معهم، وطمعت فيهم، فقد اتخذتهم أربابا من دون الله عز وجل.

* وسُئل: بأى شىء يعرف بأن العبد اختار الفقر على الغنى؟ فقال: يخاف أن يصير غنيا فيحفظ الفقر بالخوف، كما كان من قبل يخشى أن يصير فقيرا فيحفظ الغنى بالخوف.

* وسُئل: بأى شىء يعرف بأن العبد واثق بربه؟ قال: يعرف بأنه إذا فاته شىء من الدنيا يحسبه غنيمة، وإذا أبطأ عليه شىء من الدنيا يكون أحب إليه من أن يأتيه.

* إن حفظ الفقر أن ترى الفقر منة من الله عليك، حيث لم يضمنك رزق غيرك، ولم ينقصك مما قسم لك.

* تفسير التوبة أن ترى جرأتك على الله، وترى حلم الله عنك.

* ليس شىء أحب إلىَّ من الضيف، لأن رزقه ومئونته على الله، ولى أجره.

* طهر قلبك من حب عروض الدنيا، حتى يدخل فيه حب الآخرة، وثواب الله عز وجل.

* من لم يكن معه ثلاثة أشياء لا ينجو من النار: الأمن، والخوف، والاضطراب.

* الصبر والرضا شكلان، إذا تعمدت فى العمل فإن أوله صبر، وآخره رضا.

* إذا أردت أن تكون فى راحة، فكل ما أصبت، والبس ما وجدت، وارض بما قضى الله عليك.

* من دار حول العلو فإنما يدور حول النار، ومن دار حول الشبهات فإنه يدور بدرجاته فى الجنة ليأكلها وينقصها فى الدنيا.

* جعل الله أهل طاعته أحياء فى مماتهم، وأهل المعاصى أمواتا فى حياتهم.

أبو يزيد البسطامى

ومنهم أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان (وكان سروشان مجوسيا فأسلم)... ولطيفور أخوان هما. آدم وعلى، والثلاثة كانوا زهادا وعبادا وأصحاب أحوال. وهو من أهل بسطام- بلد على الطريق إلى نيسابور- ومات سنة إحدى وستين ومائتين، وقيل: سنة أربع وثلاثين ومائتين.

وأسند الحديث:

عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله... إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كره كاره. إن الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح فى اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط».

ومن كلام البسطامى :

* قعدت ليلة فى محرابى، فمددت رجلى، فهتف بى هاتف: من يجالس الملوك ينبغى أن يجالسهم بحسن الأدب.

* وسئل عن درجة العارف. فقال: ليس هناك درجة، بل أعلى فائدة العارف وجود معروفه.

* العابد يعبده بالحال، والعارف الواصل يعبده فى الحال.

* وسئل: بماذا يستعان على العبادة؟ فقال: بالله إن كنت تعرفه.

* أدنى ما يجب على العارف أن يهب له ما قد ملكه.

*من ادعى الجمع بابتلاء الحق، يحتاج أن يلزم نفسه علل العبودية.

* وأذن أبو يزيد مرة، ثم أراد أن يقيم فرأى فى الصف رجلا عليه أثر السفر، فتقدم إليه وكلمه بشىء. فخرج الرجل من المسجد ورجع... فسألوه عن سر ذلك، فقال الرجل: كنت فى السفر فلم أجد الماء، فتيممت ونسيت ودخلت المسجد، فقال لى أبو يزيد: لا يجوز التيمم فى الحضر. فذكرت ذلك وخرجت.

* عملت فى المجاهدة ثلاثين سنة، فما وجدت شيئا أشد على من العلم ومتابعته. ولولا اختلاف

العلماء لبقيت... واختلاف العلماء رحمة، إلا فى تجريد التوحيد.

* لا يعرف نفسه من صحبته شهوته.

* الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة، وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم.

* من سمع الكلام ليتكلم مع الناس رزقه الله فهما يكلم به الناس، ومن سمعه ليعامل الله به فى فعله رزقه الله فهما يناجى به ربه عز وجل.

* اطَّلع الله على قلوب أوليائه، فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا، فشغلهم بالعبادة.

* وسئل: بماذا نالوا المعرفة؟ فقال: بتضييع ما لهم، والوقوف مع ما له.

* هذا فرحى بك وأنا أخافك، فكيف فرحى بك إذا أمنتك؟

*يارب، أفهمنى عنك، فإنى لا أفهم عنك إلا بك.

* عرفت الله بالله، وعرفت ما دون الله بنور الله عز وجل.

* وسئل: ما علامة العارف؟ فقال: ألا يفتر من ذكره، ولا يمل من حقه، ولا يستأنس بغيره.

* إن الله تعالى أمر العباد ونهاهم فأطاعوه، فخلع عليهم الخلع، فاشتغلوا بالخلع عنه... وإنى لا أريد من الله إلا الله.

* غلطت فى ابتدائى فى أربعة أشياء: توهمت أنى أذكره، وأعرفه، وأحبه، وأطلبه. فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكرى، ومعرفته تقدمت معرفتى، ومحبته أقدم من محبتى، وطلبه لى أولا حتى طلبته.

* اللهم إنك خلقت هذا الخلق بغير علمهم، وقلدتهم أمانة من غير إرادتهم... فإن لم تعنهم فمن يعينهم؟

* وقال لبعض تلاميذه: إذا صحبك إنسان وأساء عشرتك، فادخل عليه بحسن أخلاقك يطب عيشك. وإذا أنعم عليك، فابدأ بشكر الله عز وجل، فإنه الذى عطف عليك القلوب. وإذا ابتليت فأسرع الاستقالة، فإنه القادر على كشفها دون سائر الخلق.

* إن الله يرزق العباد الحلاوة، فمن أجل فرحهم بها يمنعهم حقائق القرب.

* المعرفة فى ذات الحق جهل، والعلم فى حقيقة المعرفة حيرة، والإشارة من المشير شرك فى الإشارة... وأبعد الخلق من الله أكثرهم إشارة إليه.

* وسئل: بأى شىء وجدت هذه المعرفة؟ فقال: ببطن جائع، وبدن عار.

* العارف همُّه ما يأمله، والزاهد همُّه ما يأكله.

* طوبى لمن كان همُّه هما واحدا، ولم يشغل قلبه بما رأت عيناه وسمعت أذناه.

* من عرف الله فإنه يزهد فى كل شىء يشغله عنه.

* وسئل عن السنَّة والفريضة فقال: السنَّة ترك الدنيا، والفريضة الصحبة مع المولى... لأن السنَّة كلها تدل على ترك الدنيا، والكتاب كله يدل على صحبة المولى، فمن تعلَّم السنَّة والفريضة فقد كمل.

* النعمة أزلية يجب أن يكون لها شكر أزلى.

أبو سليمان الدارانى

ومنهم أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الدارانى، وهو من أهل «داريا»- قرية من قرى الشام- وهو عنسى. ومات سنة خمس عشرة ومائتين.

وأسند الحديث:

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «من تواضع لله رفعه».

ومن كلام الدارانى:

* إذا غلب الرجاء على الخوف فسد الوقت.

* ليت قلبى فى القلوب كثوبى فى الثياب. وكانت ثيابه وسطا.

* من صارع الدنيا صرعته.

* من أحسن فى نهاره كوفىء فى ليله، ومن أحسن فى ليله كوفىء فى نهاره، ومن صدق فى ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه، والله أكرم من أن يعذب قلبا بشهوة تركت له.

* خير السخاء ما وافق الحاجة.

* إذا سكنت الدنيا فى قلب ترحلت منه الآخرة.

* الوارد الصادق أن يصدق ما فى قلبه ما نطق به لسانه.

* من صدق كوفىء، ومن أحسن عوفى.

* ربما يقع فى قلبى النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنَّة.

* كل عمل ليس له ثواب فى الدنيا ليس له ثواب فى الآخرة.

* إذا جاع القلب وعطش صفا ورقَّ، وإذا شبع وروى عمى.

* وقال له أحمد بن الحوارى: صليت صلاة فى خلوة فوجدت لها لذة. فقال الدارانى: أى شىء لذَّك منها؟. قال: حيث لم يرنى أحد. فقال: إنك لضعيف حيث خطر بقلبك ذكر الخلق.

* وقال له ابن الحوارى: إذا خرجت الشهوات من القلب أى اسم يقع عليه؟ زاهد؟ ورع؟ ماذا؟ فقال: إذا سلا عن الشهوات فهو راض.

* اجعل ما طلبت من الدنيا فلم تظفر به بمنزلة ما لم يخطر ببالك ولم تطلبه.

* العيال يضعفون يقين صاحب اليقين، لأنه إذا كان وحده فجاع فرح، وإذا كان له عيال فجاعوا طلب لهم، وإذا جاء الطلب فقد ضعف اليقين.

* أبلغ الأشياء فيما بين الله وبين العبد المحاسبة.

* آخر أقدام الزاهدين أول أقدام المتوكلين.

* من لطائف المعاريض قوله تعالى: « ألا لله الدين الخالص»، تهديد بلطف.

* لكل شئ مهر، ومهر الجنة ترك الدنيا بما فيها.

* لكل شيء حلية، وحلية الصدق الخشوع.

* إذا ترك الحكيم الدنيا، فقد استنار بنور الحكمة.

* لكل شئ معدن ، ومعدن الصدق قلوب الزاهدين.

* لكل شئ علم، وعلم الخذلان ترك البكاء.

* من توسَّل إلى الله بتلف نفسه حفظ الله عليه نفسه، وحكمه في جنته.

* أفضل الأعمال خلاف هوى النفس.

* من أراد واعظا بينا، فلينظر إلى اختلاف الليل والنهار.

* علموا النفوس الرضا بمجارى المقدور، فنعم الوسيلة إلى درجات المعرفة.

* إذا سكن الخوف القلب أحرق الشهوات، وطرد الغفلة من القلب.

* لكل شيء صدأ، وصدأ نور القلب شبع البطن.

* من أظهر الانقطاع إلى الله فقد وجب عليه خلع ما دونه من رقبته.

* من كان الصدق وسيلته، كان الرضا من الله جائزته.

* لكل شيء صدق، وصدق اليقين الخوف من الله تعالى.

* لو أن محزونا بكى في أمة لرحم الله تلك الأمة.

معروف الكرخى

ومنهم أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخى. ويقال : معروف بن الفيرزان. ويقال: معروف بن علىّ.

ويلقب بالزاهد، وهو من جلة المشايخ وقدمائهم، والمعروفين بالورع والفتوة. كان أستاذ سرى السقطى، وصحب داود الطائى.

وكان معروف أسلم على يد علىّ بن موسى الرضا، وكان بعد إسلامه يحجبه، فازدحم الشيعة يوماً على باب على بن موسى، فكسروا أضلع معروف، فمات، ودفن ببغداد، وقبره ببغداد ظاهر، ويتبرك الناس بزيارته.

ومن كلام معروف:

* اللهم إن نواصينا بيدك، لم تملّكنا منها شيئا، فإذا فعلت ذلك بنا، فكن أنت ولينا، واهدنا إلى سواء السبيل. وعن جابر أن النبى ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء.

* ما أكثر الصالحين، وأقل الصادقين فى الصالحين.

* إذا أراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل. وإذا أراد الله بعبد شرا أغلق عنه باب العمل، وفتح عليه باب الجدل.

* وقال له إبراهيم البكاء: أوصنى. فقال معروف: توكل على الله، حتى يكون هو معلمك ومؤنسك وموضع شكواك، فإن الناس لا ينفعونك ولا يضرُّونك.

* وحدث أبو زكريا الحمال قال: بال معروف على الشط ثم تيمم. فقيل له: يا أبا محفوظ، الماء منك قريب. فقال: لعلّى لا أبلغه!

* غضوا أبصاركم، ولو عن شاة أنثى.

* حقيقة الوفاء إفاقة السر عن رقدة الغفلات، وفراغ الهم عن فضول الآفات.

* السخاء إيثار ما يحتاج إليه عند الإعسار.

* وقال له رجل: ما شكرت معروفى؟ فقال: كان معروفك من غير محتسب، فوقع عند غير شاكر.

* علامة مقت الله العبد أن تراه مشتغلا بما لا يعنيه من أمر نفسه.

* طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق.

* وسأله أبو سليمان الدارانى عن الطائعين: بأى شىء قدروا على الطاعة؟ فقال: بإخراج الدنيا من قلوبهم، ولو كان منها شىء فى قلوبهم ما صحت لهم سجدة.

* وسئل:بم تخرج الدنيا من القلب ؟ فقال: بصفاء الود وحُسن المعاملة.

* وسئل عن المحبة فقال: المحبة ليست من تعليم الخلق، إنما هى من مواهب الحق وفضله.

* للفتيان علامات ثلاث: وفاء بلا خوف، ومدح بلا جود، وعطاء بلا سؤال.

* وكان يعاتب نفسه ويقول: يا مسكين! كم تبكى وتندب؟ أخلص تخلص!.

* وسئل: ما علامة الأولياء؟ فقال: ثلاثة: هومهم لله، وشغلهم فيه، وفرارهم إليه.

* ليس للعارف نعمة، وهو فى كل نعمة.

* قلوب الطاهرين تشرح بالتقوى، وتزهر بالبر. وقلوب الفُجَّار تظلم بالفجور، وتعمى بسوء النية.

* إذا أراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل، وأغلق عنه باب الفترة والكسل.

حاتم الأصم

ومنهم أبو عبد الرحمن حاتم بن عنوان بن يوسف الأصم. وهو من قدماء مشايخ خراسان، من أهل بلخ. صحب شقيق بن إبراهيم، وكان أستاذ أحمد بن خضرويه، وهو مولى للمثنى بن يحيى المحاربى، وله ابن يقال له «خشنام».

مات حاتم فى «واشجرد»- من قرى ما وراء النهر نحو ترمذ- عند رباط يقال له «رأس سروند» على جبل فوق « واشجرد» ،سنة سبع وثلاثين ومائتين.

وأسند الحديث:

عن أنس أن النبى ﷺ قال: «صلِّ صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار، وسلِّم إذا دخلت بيتك يكثر خير بيتك».

ومن كلام حاتم الأصم:

* من دخل فى مذهبنا هذا فليجعل فى نفسه أربع خصال من الموت: موت أبيض، وموت أسود، وموت أحمر، وموت أخضر. فالموت الأبيض الجوع، والموت الأسود احتمال أذى الناس، والموت الأحمر مخالفة النفس، والموت الأخضر طرح الرقاع بعضها على بعض.

* كان يقال: العجلة من الشيطان إلا فى خمس: إطعام الطعام إذا حضر ضيف، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدَّين إذا وجب، والتوبة من الذنب إذا أذنب.

* من أصبح وهو مستقيم فى أربعة أشياء فهو يتقلب فى رضا الله: أولها الثقة بالله، ثم التوكل، ثم الإخلاص؛ ثم المعرفة... والأشياء كلُّها تتم بالمعرفة.

* الواثق من رزقه من لا يفرح بالغنى، ولا يهتم بالفقر، ولا يبالى أصبح فى عسر أو يسر.

* يعرف الإخلاص بالاستقامة، والاستقامة بالرجاء، والرجاء بالإرادة، والإرادة بالمعرفة.

* لكل قول صـدق، ولكل صدق فعل، ولكل فـعل صبر، ولكل صـبر حسـبة، ولكل حسـبة إرادة، ولكل إرادة أثرة.

* أصل الطاعة ثلاثة أشياء: الخوف والرجاء والحب. وأصل المعصية ثلاثة أشياء: الكبر والحرص والحسد.

* المنافق مـا أخذ من الدنيـا يأخذ بالحرص، ويمنـع بالشك، وينفق بالرياء .والمؤمن يأخذ بالخـوف، ويمسك بالسنَّة، وينفق لله خالصا فى الطاعة.

* اطلب نفسك فى أربعة أشياء: العمل الصالح بغير رياء، والأخذ بغير طمع، والعطاء بغير منة، والإمساك بغير بخل.

* النصيحة للخلق إذا رأيت إنسانا فى الحسنة أن تحثه عليها، وإذا رأيته في معصية أن ترحمه.

* عجبت ممـن يعمل بالطاعات، ويقول: عـملت ذلك ابتغاء مرضـاة الله، ثم تراه أبدا ساخطا على الله، رادا لحكمه. أتريد أن ترضيه ولست براض عنه؟ كيف يرضى عنك وأنت لم ترض عنه؟

* إذا أمرت الناس بالخير فكن أنت أولى به وأحق، واعمل بما تأمر، وكذا بما تنهى.

* الجهاد ثلاثة: جهاد فى سرِّك مع الشيطان حتى تكسره، وجهاد فى العلانية فى أداء الفرائض حتى تؤديها، وجهاد مع أعداء الله فى غزو الإسلام.

* الشهوة ثلاثة: شـهوة فى الأكل، وشهوة فى الكلام، وشـهوة فى النظر... فاحفظ الأكل بالثـقة، واللسان بالصدق، والنظر بالعبرة.

* من فُتح عليه شىء فى الدنيا فلم يتحر الخلاص منه، ولم يعمل فى إخراجه، فقد أظهر حب الدنيا.

* ما مـن صباح إلا والشـيطان يقـول لى: ما تأكل؟ ومـا تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقـول: آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر.

* وقال رجل لحاتم: مـا تشتهى؟ قال: أشتـهى عافية يومى إلى الليل. فـقيل له: أليست الأيام كلها عـافية؟ فقال: إن عافية يومى ألا.أعصى الله فيه.

* أربعة يندمون على أربعة: المقصِّر إذا فاته العـمل، والمنقطع عن أصدقائه إذا نابته نائبة، والممكَّن منه عدوه بسوء رأيه، والجرىء على الذنوب.

* العبـاء علم من أعلام الزهد، فـلا ينبغى لصـاحب الزهد أن يلبس عبـاء بثلاثة دراهم ونصف، وفـى قلبه شهوة بخمسة دراهم، أما يستحى من الله أن تجاوز شهوة قلبه عباءه؟!

* الزم خدمة مولاك تأتك الدنيا راغمة، والجنة عاشقة.

* تعهـد نفسك فى ثلاثة مواضع: إذا عملت فـاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت فاذكـر سمع الله إليك، وإذا سكنت فاذكر علم الله فيك.

* القلوب خمسة: قلب ميت، وقلب مريض، وقلب غافل، وقلب متنبه،وقلب صحيح سالم.

* وقال رجل لحاتم: عظنى. فقال: إن كنت تريد أن تعصى مولاك فاعصه فى موضع لا يراك.

* من ادعى ثلاثا بغـير ثلاث فهـو كذاب: من ادعى حب الله من غيـر ورع عن محـارمه فهـو كذاب، ومن ادعى حب الجنة من غير إنفاق ماله فهو كذاب، ومن ادعى حب النبى ﷺ من غير محبة الفقر فهو كذاب.

أحمد بن أبى الحوارى

ومنهم أبو الحسن أحمد بن ميمون أبى الحوارى، من أهل دمشق. صحب أبا سليمان الدارانى، وغيره من المشايخ، مثل: سفيان بن عُيينة، ومروان بن معاوية الفزارى، ومضاء بن عيسى، وبشر بن السرى،وأبى عبد الله النباجى.

وله أخ يقـال له: محـمـد، يجرى مـجـراه فى الزهد والورع، وابنه: عبـد الله من الزهاد، وأبوه كـان من العارفين الورعين أيضاً... فبيتهم بيت الورع والزهد.

مات أحمد سنة ثلاثين ومائتين.

وأسند الحديث:

عن أبى أمـامـة قـال: قال رسـول الله ﷺ: « إن روح القـدس نفث فى رُوْعِى أن نفـسـاً لن تموت حـتى تستكمل أجلهـا، وتستوعب رزقها... فـأجملوا فى الطلب، ولا يحملن أحدكم اسـتبطاء شىء من الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته».

ومن كلامه:

* من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحبٍّ لها، أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه.

* أفضل البكاء بكاء العبد على ما فاته من أوقاته على غير الموافقة، أو بكاء على ما سبق له من المخالفة.

* من عمل بلا اتباع السنَّة فباطل عمله.

* من عرف الدنيا زهد فيها، ومن عرف الآخرة رغب فيها، ومن عرف الله آثر رضاه.

* علامة حب الله طاعة الله- وقيل حب ذكر الله- فإذا أحب الله العبد أحبه، ولا يستطيع العبد أن يحب الله حتى يكون الابتداء من الله بالحب له، وذلك حين عرف منه الاجتهاد فى مرضاته.

* من لم يعرف نفسه فهو من دينه فى غرور.

* ما ابتلى الله عبدا بشىء أشد من الغفلة والقسوة.

* فى الرباط والغزو نعم المستراح، إذا ملَّ العبد من العبادة استراح إلى غير معضية.

* إن الله إذا أحب قوما أفادهم فى اليقظة والمنام ؛لأنهم طلبوا رضاه فى اليقظة والمنام.

* كلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع.

* إنما كره الأنبياء الموت لانقطاع الذكر عنهم.

* إذا مرض قلبك بحب الدنيا وكثرة الذنوب فداوه بالزهد فيها وترك الذنوب.

* إذا حدثتك نفسك بترك الدنيا عند إدبارها فهو خدعة، وإذا حدثتك نفسك بتركها عند إقبالها فذاك!

* إذا رأيت من قلبك قسوة فجالس الذاكرين، واصحب الزاهدين، وأقلل مطعمك، واجتنب مرادك، وروض نفسك على المكاره.

* الدنيا مزبلة ومجمع الكلاب. وأقل من الكلاب من عكف عليها، فإن الكلب يأخذ منها حاجته وينصرف، والمحب لها لا يزايلها بحال.

* من أحب أن يعرف بشىء من الخير أو يذكر به فقد أشرك فى عبادته، لأن من عبد على المحبة لا يحب أن يرى خدمته سوى محبوبه.

* إنى لأقرأ القرآن، فأنظر فى آية فيحار عقلى فيها، وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم، ويسعهم أن يشتغلوا بشىء من الدنيا وهم يتلون كلام الرحمن؟! أما لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقه، وتلذذوا به، واستحلوا المناجاة به، لذهب عنهم النوم فرحا بما رزقوا ووفقوا.

أحمد بن خَضْرَوَيْه

ومنهم أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخى، وهو من كبار مشايخ خراسان. صحب أبا تراب النخشبى، وحاتما الأصم، ورحل إلى أبى يزيد البسطامى. وهو من مذكورى مشايخ خراسان بالفتوة، ودخل نيسابور فى زيارة أبى حفص النيسابورى الذى قيل له: من أجل من رأيت من هذه الطبقة؟ فقال: «ما رأيت أحدا أكبر همّة، ولا أصدق حالا، من أحمد بن خضرويه».

توفى سنة أربعين ومائتين.

ومن كلامه:

* ولىُّ الله لا يُسَمِّ نفسه بسيماه، ولا يكون له اسم يتسمى به.

* القلوب جوالة: إما أن تجول حول العرش، وإما أن تجول حول الحش [1].

* فى الحرية تمام العبودية، وفى تحقيق العبودية تمام الحرية.

* لا تتم معاشرة متضادين فى دين أو فى دنيا.

* واستقرض أحمد بن خضرويه من رجل مائة ألف درهم. فقال له الرجل: ألستم أنتم الزهاد فى الدنيا؟ ما تصنع بهذه الدراهم؟ قال: أشترى بها لقمة، فأضعها فى فم مؤمن، ولا أجترىء أن أسأل ثوابه من الله تعالى. قال: لِمَ؟ قال: لأن الدنيا كلها لا تزن عند الله جناح بعوضة، وما مائة ألف درهم فى الدنيا من جناح بعوضة؟ لو أخذتها فطلبت بها شيئا، ما الذى تعطى بها؟ والدنيا كلها لها هذا القدر؟!

* الصبر زاد المضطرين، والرضا درجة العارفين.

* من صبر على صبره فهو الصابر، لا من صبر وشكا.

* كنت فى طريق مكة، فوقعت رجلى فى شكال [2]، فكنت أمشى فرسخين وهو متعلق بها، فرآنى بعض الناس فنزعه عنى، ثم دفعنى، فقدمت بسطام، فابتدأنى أبو يزيد، فقال: الحال التى وردت عليك فى طريق مكة، كيف كان حكمك مع الله فيها؟ قلت: أردت ألا يكون لى فى اختياره اختيار. فقال لى: يا فضولى، قد اخترت كل شيء حيث كانت لك إرادة.

* من خدم الفقراء أُكرم بثلاثة أشياء: التواضع، وحُسن الأدب، وسخاوة النفس.

* الطريق واضح، والحق لائح، والداعى قد أسمع، فما التحير بعد هذا إلا من العمى.

* وقرىء بين يديه قول الله عز وجل: «ففروا إلى الله» فقال: أعلمهم بهذا أنه خير مفر.

* حقيقة المعرفة: المحبة له بالقلب، والذكر له باللسان، وقطع الهمَّة عن كل شئ سواه.

* القلوب أوعية، فإذا امتلأت من الحق أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح، وإذا امتلأت من الباطل أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح.

* وقال له رجل: أوصنى. فقال: أمت نفسك حتى تحييها.

* أقرب الخلق إلى الله أوسعهم خُلُقا.

* بلغنى أنه استأذن بعض الأغنياء على بعض الزهاد، فرآه - فى رمضان - يأكل خبزا يابسا بملح، فرجع إلى منزله وبعث إليه بألف دينار، فرده وقال: إن هذا جزاء من أفشى سره إلى مثلك.

---

(١) الحش: موضع قضاء الحاجة كالمرحاض.

(٢) الشكال: شيء كالقيد يوضع فى رجل الفرس.

* لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رق أملك من الشهوة، ولولا ثقل الغفلة ما ظفرت بك الشهوة.

* ليس من طالبه الحق بآلائه كمن طالبه الحق بنعمائه.

* وسئل: أيُّ الأعمال أفضل؟ فقال: رعاية السر عن الالتفات إلى شيء سوى الله تعالى.

يحيى بن معاذ الرازى

ومنهم يحيى بن معاذ جعفر الرازى، الواعظ. تكلم فى علم الرجاء، وأحسن الكلام فيه وكانوا ثلاثة أخوة: يحيى وإسماعيل وإبراهيم، أكبرهم سنًّا إسماعيل، ويحيى أوسطهم، وأصغرهم إبراهيم، وكلهم كانوا زهادا.

وإبراهيم خرج مع يحيى إلى خراسان، وتوفى فيها بين نيسابور وبلْخ. وقيل إنه مات فى بعض بلاد جوزجان- بخراسان- وخرج يحيى إلى بلخ، وأقام بها مدة، ثم رجع إلى نيسابور، ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين.

وروى الحديث:

عن ابن عباس قال: «التقوى كرم الخلق وطيب المطعم».

وعن جابر قال: «كان رسول الله ﷺ دائم التفكر، طويل الأحزان، قليل الضحك، إلا أن يبتسم».

ومن كلام يحيى بن معاذ:

* من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وُكِّل إلى المخلوقين.

* العبادة حرفة، حوانيتها الخلوة، ورأس مالها الاجتهاد بالسنَّة، وربحها الجنة.

* الصبر على الخلوة من علامات الإخلاص.

* الدنيا دار أشغال، والآخرة دار أهوال، ولا يزال العبد بين الأهوال والأشغال، حتى يستقر به القرار، إما إلى الجنة وإما إلى النار.

* جميع الدنيا من أولها إلى آخرها لا يساوى غم ساعة، فكيف تغم عمرك فيها، مع قليل يصيبك منها؟

* ثلاث خصال من صفة الأولياء. الثقة بالله فى كل شيء، والغنى به عن كل شيء، والرجوع إليه فى كل شيء.

* أولياؤه أسراء نعمه، وأصفياؤه رهائن كرمه، وأحبَّاؤه عبيد مننه، فهم عبيد محبة لا يعتقون، ورهائن كرم لا يفكون، وأسراء نعم لا يطلقون.

* كيف يكون زاهدا من لا ورع له؟ تورع عما ليس لك، ثم ازهد فيما لك.

* سقوط العبد من درجة ادعائها.

* جوع التوابين تجربة، وجوع الزاهدين سياسة، وجوع الصديقين تكرمة.

* طلب العاقل للدنيا أحسن من ترك الجاهل لها.

* لا يزال العبد مقرونا بالتوانى، ما دام مقيما على وعد الأمانى.

* على قدر حبك لله تعالى يحبك الخلق، وبقدر خوفك من الله تعالى يهابك الخلق، وعلى قدر شغلك بالله يشتغل فى أمرك الخلق.

* ليس من تاه فيه كمن تاه بعجائب ما ورد عليه منه.

* الفوت أشد من الموت، لأن الفوت انقطاع عن الحق، والموت انقطاع عن الخلق.

* الوحدة منية الصديقين، والأنس بالناس وُحشتهم.

* الزاهد صافى الظاهر، مختلط الباطن، والعارف صافى الباطن، مختلط الظاهر.

* أهل المعرفة وحش الله فى الأرض، لا يأنسون إلى أحد، والزاهدون غرباء فى الدنيا، والعارفون غرباء فى الآخرة.

* ابن آدم! مالك تأسف على مفقود لا يرده عليك الفوت؟ ومالك تفرح بموجود لا يتركه فى يدك الموت؟

* وقيل له: أخبرنا عن الله، ما هو؟ قال: إله واحد. قيل: كيف هو؟ قال: ملك قادر. قيل: أين هو؟ قال: بالمرصاد. قيل: ليس عن هذا أسألك. قال يحيى: فذاك صفة المخلوق، فأما صفة الخالق فما أخبرتك به.

* من سَرَّ بخدمة الله سَرَّت الأشياء كلها بخدمته، ومن قرت عينه بالله قرت عيون كل شىء بالنظر إليه.

* الزهد ثلاثة: القلة، والخلوة، والجوع.

* عند نزول البلاء تظهر حقائق الصبر، وعند مكاشفة المقدور تظهر حقائق الرضا.

* محبوب اليوم يعقب المكروه غدا، ومكروه اليوم يعقب المحبوب غدا.

* اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس: العلماء الغافلين، والقرّاء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين.

* من لم يعتبر بالمعاينة لم يتعظ بالموعظة، ومن اعتبر بالمعاينة استغنى عن الموعظة.

* العبرة بالأوتار، والمعتبر بالمثقال.

* أبناء الدنيا تخدمهم الإماء والعبيد، وأبناء الآخرة يخدمهم الأبرار والأحرار.

* لا تربح على نفسك بشىء أجل من أن تشغلها فى كل وقت بما هو أولى بها.

أبو حفص النيسابوري

ومنهم أبو حفص عمرو بن سلمة- وقيل ابن سلم- والأول أصح ، وهو من أهل قرية يقال لها «كورداباذ» على باب مدينة نيسابور إذا خرجت إلى بخارى.

صحب عبيد الله بن مهدى الأبيوردي، وعليا النصراباذي، ورافق أحمد بن خضرويه البلخي، وكان أحد الأئمة والسادة، انتمى إليه شاه بن شجاع الكرماني، وأبو عثمان سعيد بن إسماعيل.

توفى أبو حفص سنة سبعين ومائتين. وقيل سنة سبع وستين ومائتين.

وقال مخمش الجلاب: «صحبت أبا حفص اثنتين وعشرين سنة ما رأيته ذكر الله تعالى على حد الغفلة والانبساط، وما يذكره إلا على سبيل الحضور والتعظيم والحرمة، فكان إذا ذكر الله تغيرت عليه حاله، حتى كان يرى ذلك جميع من حضره».

وكان أبو حفص إذا غضب تكلم في حُسن الخلق حتى يسكن غضبه، ثم يرجع إلى حديثه.

ومن كلامه:

* المعاصي بريد الكفر، كما أن الحمى بريد الموت.

* وقال مرة- وقد ذكر الله تعالى، وتغير عليه حاله- فلما رجع قال: ما أبعد ذكرنا من ذكر المحققين! فما أظن أن محقاً يذكر الله من غير غفلة، ثم يبقى بعد ذلك حيًّا، إلا الأنبياء، فإنهم أُيدوا بقوة النبوة، وخواص الأولياء بقوة ولايتهم.

* من إهانة الدنيا أني لا أبخل بها على أحد، ولا أبخل بها على نفسي، لاحتقارها واحتقار نفسي عندي.

* وقال محمد بن بحر الشجيني أخو زكريا: «كنت أخاف الفقر مع ما كنت أملك من المال. فقال لي يوما أبو حفص: إن قضى الله عليك الفقر لا يقدر أحد أن يغنيك. فذهب خوف الفقر من قلبي رأسا».

* الفقير الصادق الذي يكون في كل وقت بحكمه، فإذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته، يستوحش منه وينفيه.

* ما أعز الفقر إلى الله، وأذل الفقر إلى الأشكال، وما أحسن الاستغناء بالله، وأقبح الاستغناء باللئام.

* واجتمع مشايخ بغداد عند أبي حفص، وسألوه عن الفتوة، فقال: تكلموا أنتم فإن لكم العبارة واللسان. فقال الجنيد: الفتوة إسقاط الرؤية وترك النسبة. فقال أبو حفص: ما أحسن ما قلت، ولكن الفتوة عندى أداء الإنصاف، وترك مطالبة الإنصاف، فقال الجنيد: قوموا يا أصحابنا، فقد زاد أبو حفص على آدم وذريته.

* ولما أراد أبو حفص الخروج من بغداد شيَّعه من فيها من المشايخ والفتيان، فلما أرادوا أن يرجعوا قال له

بعضهم: دلنا على الفتوة، ما هى؟ فقال: «الفتوة تؤخذ استعمالا ومعاملة، لا نطقا» فتعجبوا من كلامه.

* وسئل: هل للفتى من علامة؟ قال: نعم، من يرى الفتيان، ولا يستحى منهم فى شمائله وأعماله، فهو فتى.

* ما دخل قلبى حق ولا باطل منذ عرفت الله.

*تركت العمل فرجعت إليه، ثم تركنى العمل فلم أرجع إليه.

* الكرم طرح الدنيا لمن يحتاج إليها، والإقبال على الله لاحتياجك إليه.

* وقال له رجل: إن فلانا من أصحابك، أبدا يدور حول السماع، فإذا سمع هاج وبكى ومزق ثيابه. فقال أبو حفص:أى شئ يعمل الغريق ؟ يتعلق بكل شىء يظن نجاته فيه.

* حرست قلبى عشرين سنة، وحرسنى قلبى عشرين سنة، ثم وردت حالة صرنا فيها محروسين جميعا.

* من تجرع كأس الشوق يهيم هياما، لا يفيق إلا عند المشاهدة واللقاء.

* إذا رأيت المحب ساكنا هادئا فاعلم أنه وردت عليه غفلة، فإن الحب لا يترك صاحبه يهدأ، بل يزعجه فى الدنو والبعد، واللقاء والحجاب.

* التصوف كله آداب، لكل وقت أدب، ولكل مقام أدب. فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال، ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يرجو القبول.

* الحال لا يفارق العلم، ولا يقارن القول.

* من يعطى ويأخذ فهو رجل، ومن يعطى ولا يأخذ فهو نصف رجل، ومن لا يعطى ولا يأخذ فهو همج لا خير فيه. وسئل أبو عثمان الحيرى النيسابورى راوى هذا الكلام عن أبى حفص عن معناه فقال: «من يأخذ من الله ويعطى لله فهو رجل، لأنه لا يرى فيه نفسه بحال، ومن يعطى ولا يأخذ فهو نصف رجل، لأنه يرى نفسه فى ذلك، فيرى أن له- بألا يأخذ- فضيلة، ومن لا يأخذ ولا يعطى فهو همج، لأنه يظن أنه الآخذ والمعطى، دون الله تعالى».

* ما استحق اسم السخاء من ذكر العطاء أو لمحه بقلبه.

* وسئل عن قول الله عز وجل: «وعاشروهن بالمعروف» فقال: المعاشرة بالمعروف حسن الخلق مع العيال فيما ساءك، ومن كرهت صحبتها.

* وسئل عن البخل فقال: ترك الإيثار عند الحاجة إليه.

* وسئل: من الولى؟ فقال: من أُيد بالكرامات، وغيب عنها.

* ما ظهرت حالة عالية إلا من ملازمة أصل صحيح.

* وسئل عن أحكام الفقر وآدابهـا على الفقراء فقال: حفظ حرمات المشايـخ، وحُسن العشرة مع الإخوان، والنصيحة للأصاغر، وترك الخصومات فى الأرزاق، وملازمة الإيثار، ومجانبة الادخار، وترك صحبة من ليس من طبقتهم، والمعاونة فى أُمور الدين والدنيا.

* وسئل: من العاقل؟ فقال: المطالب نفسه بالإخلاص.

* وسئل عن العبودية، فقال: ترك ما لك، والتزام ما أُمرت به.

* من رأى فضل الله عليه فى كل حال أرجو ألا يهلك.

* لا تكن عبادتك لربك سبباً لأن تكون معبوداً.

* إنى لا أدَّعى حُسن الخلق، لأنى أحس من نفسى سرعـة الغضب وإن لم أظهره، ولا أدعى السخاء، لأنى لست آمن من نفسى أن تلاحظ فعله، أو تلتفت إليه، أو تذكر عطاءه وقتا ما.

* حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن، لأن النبى ﷺ قال: «لو خشع قلبه لخشعت جوارحه» [1].

* وسـئل: ما البـدعـة؟ فقـال: التـعدى فى الأحـكام، والتهـاون فى السنن، واتبـاع الآراء والأهواء، وترك الاقتداء والاتباع.

* وسئل: من الرجال؟ فقال: القائمون مع الله تعالى بوفاء العهود. قال الله تعالى: «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه».

* الإيثار أن تقدم حظوظ الإخوان على حظك، فى أمر آخرتك ودنياك.

حمدون القَصّار

ومنهم أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار النيسابورى، شيخ أهل الملامة بنيسابور، ومنه انتشر مذهب الملامة.

صحب سلـم بن الحسن الباروسي، وأبـا تراب النخشبى، وعـليًّا النصراباذى. وكـان عالما فـقيـها، ويذهب

(١) هذا حديث ضعيف.

مذهب الثورى، وطريقته طريقة اختص هو بها، ولم يأخذ عنه طريقته أحد من أصحابه، كأخذ عبد الله بن محمد بن منازل صاحبه عنه.

توفى حمدون سنة إحدى وسبعين ومائتين بنيسابور، ودفن فى مقبرة الحيرة.

وأسند الحديث:

عن أبى برزة الأسلمى قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وأين وضعه، وعن علمه ما عمل فيه».

ومن كلامه:

* سئل: متى يجوز للرجل أن يتكلم على الناس؟ فقال: إذا تعين عليه أداء فرض من فرائض الله تعالى فى علمه، أو خاف هلاك إنسان فى بدعة، يرجو أن ينجيه الله تعالى منها بعلمه.

* وقيل له: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ فقال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام، ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفس، وطلب الدنيا، وقبول الخلق.

* أصل رفع الألفة من بين الإخوان حب الدنيا.

*وتكلموا بين يديه يوما فى حفظ الأمانات فقال: قد تحملت من الأمانة ما لو اشتغلت به لشغلك عن كل أمانة بعدها.

* وقال رجل من أصحابه: كيف أعمل؟ لابد لى من معاملة هؤلاء الجند، فماذا ترى لى؟ فقال: إن كنت تعلم يقينا أنك خير منهم، فلا تعاملهم.

* وسأله يوما أبو القاسم المنادى عن مسألة، فقال له حمدون: أرى فى سؤالك قوة وعزة نفس، أتظن أنك بلغت بهذا السؤال الحال الذى تخبر عنه؟ أين طريقة الضعف والفقر، والتضرع والالتجاء؟ عندى أن من ظن نفسه خيراً من نفس فرعون فقد أظهر الكبر.

* مذ علمت أن للسلطان فراسة فى الأشرار ما خرج خوف السلطان من قلبى.

* إذا رأيت سكران فتمايل لئلا تنعى عليه، فتبتلى بمثل ذلك.

* وقال له ابن منازل: أوصنى. فقال حمدون: إن استطعت ألا تغضب لشىء من الدنيا فافعل.

* من ضيَّع عهود الله عنده فهو لآداب شريعته أضيع، لأن الله تعالى يقول: «وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا».

* استعانة المخلوق بالمخلوق كاستعانة المسجون بالمسجون.

* وقال له رجل: أوصنى بوصية. فقال: إن استطعت أن تُصبح مفوضا- لا مدبرا- فافعل.

* قعود المؤمن عن الكسب إلحاف فى المسألة.

* من أصبح وليس له هم إلا طلب قوت من حلال، وهم ما جرى فى سابق العلم له أو عليه، فإنه يتفرغ إلى كل شىء.

* من تحقق فى حال لا يخبر عنه.

* أوصيكم بشيئين: صحبة العلماء، والاحتمال عن الجهال.

* من شغله طلب الدنيا عن الآخرة ذُلَّ: إما فى الدنيا، وإما فى الآخرة.

* من نظر فى سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال.

* كفايتك تساق إليك باليسر من غير تعب، وإنما التعب فى طلب الفضول.

* وسئل عن الزهد فقال: الزهد عندى ألا تكون بما فى يدك أسكن قلبا منك بضمان سيدك.

* من غفلة العبد أن يتفرغ من أمر ربه إلى سياسة نفسه.

* لا يجزع من المصيبة إلا من يتهم ربه.

* الكياسة تورث العجب.

* لا أحد أدون ممن يتزين لدار فانية، ويتجمل لمن لا يملك ضره ونفعه.

* تهاون بالدنيا، حتى لا يعظم فى عينيك أهلها ومن يملكها.

* جمال الفقير فى تواضعه، فإذا تكبر بفقره فقد أربى على الأغنياء فى التكبر.

* لا تفشِ على أحد ما تحب أن يكون مستورا منك.

* من رأيت فيه خصلة من الخير فلا تفارقه، فإنه يصيبك مّن بركاته.

* وسئل عن طريق الملامة، فقال: خوف القدرية ورجاء المرجئة.

* من استطاع منكم ألا يعمى عن نقصان نفسه فليفعل.

منصور بن عمار

ومنهم أبو السرى منصور بن عمار، من أهل «مرو»، وأصله منها، من قرية يقال لها «دندانقان»، ويقال إنه من أهل «أبيورد»، ويقال إنه من أهل «بوشنج». أقام بالبصرة، وكان من أحسن الناس كلاما فى الموعظة، وكان من حكماء المشايخ.

وأسند الحديث:

عن جابر رضى الله عنه أن فتى من الأنصار يقال له « ثعلبة بن عبد الرحمن» كان يحف برسول الله ﷺ ويخدمه، ثم إنه مر بباب رجل من الأنصار فاطلع فيه، فوجد امرأة الأنصارى تغتسل، فكرر النظر، فخاف أن ينزل الوحى على رسول الله ﷺ بما صنع، فخرج هاربا من المدينة استحياء من رسول الله ﷺ، حتى أتى جبالا بين مكة والمدينة فولجها، فسأل عنه رسول الله أربعين يوما، وهى الأيام التى قالوا: «ودعه ربه وقلاه».

فنزل جبريل عليه السلام فقال: إن ربك يقرئك السلام، ويخبرك أن الهارب من أمتك بين هذه الجبال يعوذ بى من نارى... فبعث رسول الله عمر بن الخطاب وسلمان الفارسى وقال: انطلقا فائتيانى بثعلبة بن عبد الرحمن.

فخرجا فى أنقاب المدينة، فلقيهما راع من رعاة المدينة يقال له ذفافة، فقال له عمر: يا ذفافة، هل لك علم بشاب بين هذه الجبال؟ فقال ذفافة: لعلك تريد الهارب من جهنم؟ فقال عمر: ما علمك أنه هارب من جهنم؟ قال: إنه إذا كان نصف الليل خرج علينا من هذا الشعب، واضعا يده على أم رأسه، يبكى وينادى:

يا ليتك قبضت روحى فى الأرواح، وجسدى فى الأجساد، ولا تجردنى لفصل القضاء.

فقال عمر: إياه نريد. فانطلق بهما ذفافة، حتى إذا كانا فى بعض الليل خرج عليهم وهو ينادى: يا ليتك قبضت روحى فى الأرواح، وجسدى فى الأجساد...

فعدا عليه عمر فأخذه، فلما سمع حسه قال: الأمان الأمان! متى الخلاص من النار؟. قال له: أنا عمر بن الخطاب، قال له ثعلبة: أَعَلِمَ رسول الله ﷺ بذنبى؟ قال: لا علم لى، إلا أنه ذكرك بالأمس فينا، وأرسلنى إليك. فقال: يا عمر، لا تدخلنى عليه إلا وهو يصلى، أو بلال يقول: قد قامت الصلاة. قال: أفعل.

فلما أتى به عمر المدينة وافى به المسجد ورسول الله ﷺ يصلى، فلما سمع قراءة رسول الله خرَّ مغشيا عليه، فدخل عمر وسلمان فى الصلاة وهو صريع، فلما سلَّم رسول الله، قال: يا عمر ويا سلمان، ما فعل ثعلبة بن عبد الرحمن؟ قالا: هو ذا يا رسول الله. فأتاه رسول الله ﷺ فحركه ونبهه، ثم قال: ما الذى غيبك عنى؟ قال: ذنبى. قال: أفلا أعلمك آية تمحو الذنوب والخطايا. قال: بلى يا رسول الله. قال: قل« ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار». قال: إن ذنبى أعظم من ذاك. قال رسول الله ﷺ : بل كلام الله تعالى أعظم.

وأمره بالانصراف إلى منزله فانصرف، ومرض ثلاثة أيام، وأتى سلمان رسول الله ﷺ فقال: إن ثعلبة

مرض لما به. فقال رسول الله ﷺ: قوموا بنا إليه. فدخل رسول الله فـأخذ برأسه فوضعه فى حجره، فأزال رأسه عن حجر رسول الله، فقال رسول الله ﷺ : لِمَ أزلت رأسك عن حجرى؟ قال: لأنه ملآن من الذنوب. فقال له رسول الله: ما تجد؟ قال: أجد مثل دبيب النمل بين جلدى وعظمى. قال: فـما تشتهى؟ قال: مغفرة ربى. قال: فنزل جبريل عليـه السلام على رسول الله فقـال: يا أخى، إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول: لو لقـينى عبدى بقراب الأرض خطيئة للقيته بقرابها مغفرة.

فأعلمه رسول الله بذلك، فصاح صيحة فمات، فقام رسول الله فغسله وكفنه وصلى عليه، ثم احتمل إلى قبـره، فأقبل رسـول الله ﷺ يمشى على أطراف أنامله. قالوا: يا رسـول الله، رأيناك تمشى على أطراف أناملك. قال: لم أستطع أن أضع رجلى على الأرض من كثرة من شيعه من الملائكة!

ومن كلام منصور بن عمار:

* سرورك بالمعصية إذا ظفرت بها شر من مباشرتك المعصية.

* من جزع من مصائب الدنيا تحولت مصيبته فى دينه.

* من اشتغل بذكر الناس انقطع عن ذكر الله تعالى.

* وقال لرجل عصى بعد توبته: ما أراك رجعت عن طريق الآخرة إلا من الوحشة، لقلة سالكيها.

* وقال لرجل: اترك نهمة الدنيا تسترح من الغم، واحفظ لسانك تسترح من المعذرة.

* قلوب العباد كلها روحانية، فإذا دخلها الشك والخبث امتنع منها روحها.

* إن الحكمة تنطق فى قلوب العارفين بلسان التصـديق، وفى قلوب الزاهدين بلسان التفضيل، وفى قلوب العباد بلسان التوفيق. وفى قلوب المريدين بلسان التفكر، وفى قلوب العلماء بلسان التذكر.

* الناس رجلان: مفـتقر إلى الله، فهو فى أعلى الدرجـات على لسان الشريعة، والآخر لا يرى الافـتقار، لما علم من فراغ الله من الخلق والرزق، والأجل والسعادة، فهو فى افتقاره إليه واستغنائه به.

* سبحان من جعل قلوب العارفين أوعيـة الذكر ،وقلوب أهل الدنيا أوعية الطمع، وقلوب الزاهدين أوعية التوكل، وقلوب الفقراء أوعية القناعة، وقلوب المتوكلين أوعية الرضا.

* الناس رجلان: عارف بنفسه، فشغله فى المجاهدة والرياضة، وعارف بربه، فشغله بخدمته وعبادته ومرضاته .

---

(١) قراب الأرض :ما يقارب ملأها .

* أحسن لباس العبد التواضع والانكسار، وأحسن لباس العارفين التقوى، قال الله تعالى: «ولباس التقوى ذلك خير».

* سلامة النفس فى مخالفتها، وبلاؤها فى متابعتها.

أحمد بن عاصم الأنطاكى

ومنهم أبو عبد الله أحمد بن عاصم الأنطاكى. وقيل كنيته: أبو على. من أقران بشر بن الحارث، والسرى، والحارث المحاسبى، ويقال إنه رأى الفضيل بن عياض.

فمن كلام أحمد بن عاصم:

* قرة العين وسعة الصدر وروح القلب وطيب النفس من أمور أربعة: الاستبانة للحجة، والأنس بالأحبة، والثقة بالعدة، والمعاينة للغاية.

* أنفع العقل ما عرفك نعم الله تعالى عليك، وأعانك على شكرها، وقام بخلاف الهوى.

* وسئل عن الإخلاص، فقال: إذا عملت عملا صالحا فلم تحب أن تذكر به، وتعظم من أحل عملك، ولم تطلب ثواب عملك من أحد سواه، فذلك إخلاص عملك.

* أنفع التواضع ما نفي عنك الكبر، وأمات منك الغضب.

* أنفع الإخلاص ما نفى عنك الرياء والتزين والتصنع.

* أنفع الفقر ما كنت به متجملا وبه راضيا.

* أنفع الأعمال ما سلمت من آفاتها، وكانت مقبولة منك.

* من علامة قلة معرفة العبد بنفسه قلة الحياء وقلة الخوف.

* أضر المعاصى عملك الطاعات بالجهل، هو أضر عليك من المعاصى بالجهل.

* العدل عدلان: عدل ظاهر فيما بينك وبين الناس، وعدل باطن فيما بينك وبين الله تعالى. وطريق العدل طريق الاستقامة، وطريق الفضل طريق الفضيلة.

* اليقين نور يجعله الله فى قلب العبد، حتي يشاهد به أمور آخرته، ويخرق بقوته كل حجاب بينه وبين ما فى الآخرة، حتى يطالع تلك الأمور كالمشاهد لها.

* إذا طلبت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك.

* اعمل على أن ليس فى الأرض أحد غيرك، ولا فى السماء أحد غيره.

* العاقل من عقل عن الله عز وجل مواعظه، وعرف ما يضره مما ينفعه.

* أمام كل عمل علم، وأمام كل علم عناية.

* هذه غنيمة باردة: أصلح ما بقى، يغفر لك ما مضى.

* قال الله تعالى: «إنما أموالكم وأولادكم فتنة» ونحن نستزيد من الفتنة.

عبد الله بن خُبَيْق الأنطاكى

ومنهم أبو محمد عبد الله بن خبيق بن سابق الأنطاكى. وأصله من الكوفة، ولكنه من الناقلين إلى أنطاكية. صحب يوسف بن أسباط، وهو من زهاد الصوفية، والآكلين من الحلال، والورعين فى جميع أحواله: وطريقته فى التصوف طريقة النورى، فإنه صحب أصحابه. وأسند الحديث:

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ ، وهو الصادق المصدوق: «إن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما..» وذكر الحديث.

ومن كلامه:

* قال لفتح بن شخرف: يا خراسانى، إنما هى أربع لا غير: عينك، ولسانك، وقلبك، وهواك. فانظر عينك لا تنظر بها إلى ما لا يحل لك، وانظر لسانك لا تقل به شيئا يعلم الله خلافه من قلبك، وانظر قلبك لا يكن فيه غل ولا حقد على أحد من المسلمين، وانظر هواك لا تهوَ شيئا من الشر... فإذا لم يكن فيك هذه الأربع فقد شقيت.

* إذا دنا الرجل القارىء من معصية يقول القرآن فى جوفه: ما لهذا حملتنى.

* خلق الله القلوب مساكن الذكر، فصارت مساكن للشهوات ولا يمحو الشهوات من القلوب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق.

* لكل تاجر رأس مال، ورأس مال صاحب الحديث الصدق.

* لا يستغنى حال من الأحوال عن الصدق، والصدق مستغن عن الأحوال كلها.. ولو صدق العبد فيما بينه وبين الله حقيقة الصدق لاطلع على خزائن من خزائن الغيب، ولكان أمينا فى السموات والأرض.

* من أراد أن يعيش غنيًّا فى حياته فلا يسكن الطمع قلبه .

* إن استطعت ألا يسبقك أحد إلى مولاك فافعل، ولا تؤثر على مولاك شيئا.

* لاتغتم إلا من شىء يضرك غدا، ولا تفرح إلا بشىء يسرك غدا.

* ما بقى على وجه الأرض أحد إلا مستوحش منه.. أولهم أنا.

* علامة الألفة قلة الخلاف وبذل المعروف.

* أنفع الخوف ما حجزك عن المعاصى، وأطال منك الحزن على ما فاتك.

* وحشة العباد عن الحق أوحشت منهم القلوب ولو أنسوا بربهم، ولزموا الحق، لاستأنس بهم كل أحد.

* أنفع الرجاء ما سهل عليك العمل لإدراك ما ترجو.

* وسئل: بما ألزم الحق فى أحوالى؟ فقال: بإنصاف الناس من نفسك، وقبول الحق ممن هو دونك.

* إخلاص العمل أشد من العمل، والعمل يعجز عنه الرجال.

* طول الاستماع إلى الباطل يطفىء حلاوة الطاعة من القلب.

أبو تراب النخشبى

ومنهم أبو تراب عسكر بن محمد بن حصين صحب أبا حاتم العطار البصرى، وحاتما الأصم البلخى. وهو من جلة مشايخ خراسان، والمذكورين بالعلم، والفتوة، والتوكل، والزهد، والورع.

قال ابن الفرجى: «رأيت حول أبى تراب من أصحابه عشرين ومائة صاحب ركوة، قعودا حول الأساطين، ما مات منهم على الفقر إلا أبو عبيد البسرى وابن الجلاء».

وقال ابن الجلاء: «لقيت ستمائة شيخ، ما لقيت فيهم مثل أربعة: أولهم :أبو تراب النخشبى».

توفى فى البادية- قيل نهشته السباع- سنة خمس وأربعين ومائتين. وأسند الحديث:

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب، فإن ربهم يطعمهم ويسقيهم».

ومن كلام أبى تراب النخشبى:

* يا أيها الناس: أنتم تحبون ثلاثة، وليست هى لكم: تحبون النفس وهى لله، وتحبون الروح والروح لله، وتحبون المال والمال للورثة. وتطلبون اثنين ولا تجدونهما: الفرج والراحة، وهما فى الجنة.

* وقال له على بن الحسين، وقد أخذ أبو تراب طريق البادية: لابد من قوت. فقال: لابد ممن لابد منه!

*أشرف القلوب قلب حى بنور الفهم عن الله تعالى.

* سبب الوصول إلى الله سبع عشرة درجة، أدناها الإجابة، وأعلاها التوكل على الله بحقيقته.

* ليس من العبادات شىء أنفع من إصلاح خواطر القلوب.

* الفقير قوته ما وجد، ولباسه ما ستر، ومسكنه حيث نزل.

* إذا صدق العبد فى العمل وجد حلاوته قبل مباشرة العمل.

* من شغل مشغولا بالله عن الله أدركه المقت من ساعته.

* التوكل طمأنينة القلب إلى الله عز وجل.

* وقال له رجل: ألك حاجة؟ فقال له: يوم يكون لى إليك وإلى أمثالك حاجة لا يكون لى إلى الله حاجة.

* حقيقة الغنى أن تستغنى عمن هو مثلك، وحقيقة الفقر أن تفتقر إلى من هو مثلك.

* الذى منع الصادقين الشكوى إلى غير الله الخوف من الله عز وجل.

* الكيِّس من عمال الله من حفظ حده مع الله تعالى، وترك العلم يجرى مجاريه.

* إن الله عز وجل ينطق العلماء فى كل زمان بما يشاكل أعمال أهل ذلك الزمان.

* احفظ همك فإنه مقدمة الأشياء، فمن صح له همه صح له ما بعد ذلك من أفعاله وأحواله.

* القناعة أخذ القوت من الله عز وجل.

* من استفتح أبواب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وُكِّلَ إلى حوله وقوته. فسئل: ما مفاتيح الأقدار؟ فقال: الرضا بما يرد عليه فى كل وقت من أسباب الغيب.

الطبقة الثانية

أبو القاسم الجنيد

منهم أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز، وكان أبوه يبيع الزجاج، فلذلك كان يقال له: القواريرى. أصله من «نهاوند» ــ من بلاد الجبل ــ ومولده ومنشؤه بالعراق. وكان فقيها، تفقه على أبى ثور، وكان يفتى فى حلقته. وصحب السرى السقطى، والحارث المحاسبى، ومحمدا بن على القصاب البغدادى، وغيرهم. وهو من أئمة القوم وسادتهم، مقبول على جميع الألسنة.

توفى سنة سبع وتسعين ومائتين، يوم نيروز الخليفة، يوم السبت. وقيل: توفى فى آخر ساعة من يوم الجمعة، ودفن يوم السبت.

وأسند الحديث:

عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى. وقرأ: (إن فى ذلك لآيات للمتوسمين). قال: للمتفرسين».

ومن كلام الجنيد:

* القرب بالوجد جمع، والغيبة بالبشرية تفرقة.
* باب كل علم نفيس جليل بذل المجهود . وليس من طلب الله ببذل المجهود. كمن طلبه من طريق الجود.
*إن الله تعالى يخلص إلى القلوب من بره حسب ما خلصت القلوب به إليه من ذكره، فانظر ماذا خالط قلبك.
*ياذاكر الذاكرين بما ذكروه، ويا بادئ العارفين بما عرفوه، ويا موفق العابدين لصالح ما عملوه.. من ذا الذى يشفع عندك إلا بإذنك؟ ومن ذا الذى يذكرك إلا بفضلك؟
* وسئل: من العارف؟ فقال: من نطق عن سرِّك وأنت ساكت.
* ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات، لأن التصوف هو صفة المعاملة مع الله تعالى، وأصله التعزف عن الدنيا.. كما قال حارث: عزفت نفسى عن الدنيا، فأسهرت ليلى، وأظمأت نهارى.
* إنما هذا الاسم ــ يعنى التصوف ــ نعت أقيم العبد فيه. فقال له أبوبكر الملاعقى: ياسيدى ، نعت للعبد، أم نعت للحق؟ فقال: نعت للحق حقيقة، ونعت للعبد رسما.

* إنك لن تكون له على الحقيقة عبدا، وشئ مما دونه لك مسترق، وإنك لن تصل إلى صريح الحرية، وعليك من حقيقة عبوديته بقية.. فإذا كنت له وحده عبدا، كنت مما دونه حرا.

* وذكر رجل عنده المعرفة فقال: «أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات، من باب البر والتقوى، إلى الله تعالى». فقال الجنيد: «إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهذه عندى عظيمة، والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا. وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله، وإليه رجعوا فيها.. ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة، إلا أن يحال بى دونها، وإنه لأوكد فى معرفتى، وأقوى فى حالى».

* وسئل الجنيد: من العارف؟ فقال: من لم يأسره لحظه ولا لفظه.

* الغفلة عن الله تعالى أشد من دخول النار.

* إن أمكنك ألا تكون آلة بيتك إلا خزفا فافعل. وكذلك كانت آلة بيته.

* الطرق كلها مسدودة على الخلق.. إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ، واتبع سنَّته، ولزم طريقته، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه.

* حاجة العارفين إلى كلاءته ورعايته. قال تعالى: «قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن؟».

* نجح قضاء كل حاجة من الدنيا تركها.

* إذا لقيت الفقير فلا تبدأه بالعلم، وابدأه بالرفق، فإن العلم يوحشه، والرفق يؤنسه.

* وقال للشبلى: يا أبكر، إذا وجدت من يوافقك على كلمة مما تقول، فتمسك به.

* لاتقوم بما عليك حتى تترك مالك، ولايقوى على ذلك إلا نبى أو صديق.

* الأنس بالمواعيد، والتعويل عليها، خلل فى الشجاعة.

* الوقت إذا فات لايستدرك، وليس شئ أعز من الوقت.

* فتح كل باب شريف بذل المجهود.

* لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة، كان ما فاته أكثر مما ناله .

* أكثر الناس علما بالآفات، أكثرهم آفات.

* وسأله رجل: من أصحب؟ فقال: من تقدر أن تطلعه على مايعلمه الله منك.

* وقيل له مرة أخرى: من أصحب؟ فقال: من يقدر أن ينسى ما له، ويقضى ما عليه.

* الحياء من الله عز وجل أزال عن قلوب أوليائه سرور المنة.

* مقام الغريب ببغداد ــ بعد خمسة أيام ــ فضول.

* من نظر إلى ولى من أولياء الله تعالى، فقبله وأكرمه ، أكرمه الله على رءوس الأشهاد.

* الرضا ثانى درجات المعرفة، فمن رضى صحت معرفته بالله، بدوام رضاه عنه.

* وقال جعفر الخلدى: رأيت الجنيد فى المنام، فقلت له: أليس كلام الأنبياء إشارات عن مشاهدات؟ فتبسم وقال: كلام الأنبياء نبأ عن حضور، وكلام الصديقين إشارات عن مشاهدات.

* وكتب إلى بعض إخوانه يقول: من أشار إلى الله، وسكن إلى غيره، ابتلاه الله تعالى، وحجب ذكره عن قلبه، وأجراه على لسانه.. فإن انتبه وانقطع ممن سكن إليه، كشف الله ما به من المحن والبلوى.. وإن دام على سكونه، نزع الله تعالى من قلوب الخلق الرحمة عليه، وألبس لباس الطمع، فتزداد مطالبه منهم ــ مع فقدان الرحمة من قلوبهم – فتصير حياته عجزا، وموته كمدا، ومعاده أسفا.. ونحن نعوذ بالله من السكون إلى غير الله.

* قد مشى رجال باليقين على الماء، ومن مات على العطش أفضل منهم يقينا.

* من عرف الله لا يسر إلا به.

* وقال أبو عمرو الزجاجى: سألت الجنيد عن المحبة، فقال: تريد الإشارة؟ قلت: لا. قال: تريد الدعوى؟ قلت: لا. قال: فأى شئ تريد؟ قلت: عين المحبة. فقال: أن تحب ما يحب الله تعالى فى عباده، وتكره ما يكره الله تعالى فى عباده.

* وقال رجل للجنيد: على ماذا يتأسف المحب من أوقاته؟ قال: على زمان بسط أورث قبضا، أو زمان أنس أورث وحشة. ثم أنشأ يقول:

قد كان لى مشرب يصفو برؤيتكم
فكدرته يد الأيام حين صفا

أبو الحسين النّورى

ومنهم أبو الحسين النورى، واسمه أحمد بن محمد ــ وقيل: محمد بن محمد، وأحمد أصح ــ بغدادى المولد والمنشأ، خراسانى الأصل، يعرف بابن البغوى. يقول ابن الأعرابى: «كان أبوالحسين النورى خراسانى الأصل. من قرية بين هراة ومرو الروذ، يقال لها (بغشور)». لذلك كان يعرف بابن البغوى.

وكان من أجلِّ مشايخ القوم وعلمائهم، لم يكن فى وقته أحسن طريقة منه، ولا ألطف كلاما.

صحب سريا السقطى، ومحمد بن على القصاب، ورأى أحمد بن أبى الحوارى. توفى سنة خمس وتسعين ومائتين.

وأسند الحديث:

عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «من قضى لأخيه المسلم حاجة كان له من الأجر كمن خدم الله عمره»[1].

ومن كلام النورى:

* الجمع بالحق تفرقة عن غيره، والتفرقة عن غيره جمع به.

* التصوف ترك كل حظ النفس.

* من وصل إلى وده أنس بقربه، ومن توسل بالوداد فقد اصطفاه من بين العباد.

* وأنشد الفرغانى لأبى الحسين النورى:

كم حسرة لى قد غصت مرارتها

جعلت قلبى لها وقفا لبلواكا

وحق ما منك يبلينى ويتلفنى

لأبكينك، أو أحظى بلقياكا

* وسئل عن الحبيب والخليل، فقال: ليس من طولب بالتسليم، كمن بادر بالتسليم.

* وسئل عن التصوف، فقال: ليس التصوف رسوما ولا علوما، ولكنها أخلاق.

* أهل الديانة موقوفون، وأهل التوحيد يسيرون، وأهل الرضا يَسْتَرْوَحُون، وأهل الانقطاع يتحيرون. ثم قال: إن الحق إذا ظهر تلاشى كل ما حجب وستر.

* ولحقت أبا الحسين علة، ولحقت الجنيد علة فالجنيد أخبر عن وجده، وأبو الحسين النورى كتم. فقيل له: لم لم تخبر كما أخبر صاحبك؟ فقال: ما كنا لنبتلى ببلوى، فنوقع عليها اسم الشكوى. ثم أنشأ يقول:

إن كنت للسقم أهلا   فأنت للشكر أهلا

عذب ، فلم يبق قلب   يقول للسقم: مهلا!

فأعيد ذلك على الجنيد فقال: ماكنا شاكين، ولكن أردنا أن نكشف عن عين القدرة فينا. ثم بدأ يقول:

أجل ما منك يبدو   لأنه عنك جلا

وأنت يا أنس قلبى   أجل من أن تجلا

أفنيتنى عن جميعى   فكيف أرعى المحلا؟

(١) هذا الحديث ضعيف.

فبلغ ذلك الشبلى فبدأ يقول:

محنتى فيك أنى	لا أبالى بمحنتى
يا شفائى من السقا	م، وإن كنت علتّى
تبت دهرا فمذ عرفـ	ـتـك ضيعت توبتى
قربكم مثل بعدكم	فمتى وقت راحتى

* مقامات أهل النظرفى النظر شتى، فمنهم من كان نظره نظر التسلى، ومنهم من كان نظره نظر استفادة، ومنهم من كان نظره نظر عيان المكاشفة،ومنهم من كان نظره نظر المنافسة فى المشاهدة، ومنهم من كان نظره نظر المشاكلة والمماثلة، ومنهم من كان نظره نظر طيب وملاحظة، ومنهم من كان نظره نظر إشراف ومطالعة. وكل واحد منهم أهل النظر.

* أعز الأشياء فى زماننا شيئان: عالم يعمل بعلمه، وعارف ينطق عن حقيقته.

* من عقل الأشياء بالله، فرجوعه فى كل شئ إلى الله.

* وسئل عن الفقير الصادق، فقال: الذى لايتهم الله تعالى فى الأسباب، ويسكن إليه فى كل حال.

* وأنشد:

وكم رمت أمرا خرت لى فى انصرافه
فلا زلت بى منى أبر وأرحما
عزمت على ألا أحس بخاطرٍ
على القلب إلا كنتَ أنت المقدما
وألا ترانى عندما قد كرهتُهُ
لأنك فى قلبى ... كبيرا معظما

* وأحضر مجلسا للسلطان، فقال له: من أين تأكلون؟ فقال: لسنا نعرف الأسباب التى تستجلب بها الأرزاق، نحن قوم مدبرون!

أبو عثمان الحيرى النيسابورى

ومنهم أبو عثمان، سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيرى النيسابورى، وأصله من الرى.

صحب قديما يحيى بن معاذ الرازى، وشاه بن شجاع الكرمانى، ثم رحل إلى نيسابور، إلى أبى حفص، وصحبه وأخذ عنه طريقته.

وهو فى وقته من أوحد المشايخ فى سيرته، ومنه انتشرت طريقة التصوف فى نيسابور. سمعت عبدالله بن

محمـد بن عبدالرحمن الرازى يقول: «لقـيت الجنيد ورويما ويوسف بن الحسين ومحـمد بن الفضل وأبا على الجوزجانى، وغيرهم من المشايخ، فلم أرَ أحدا أعرف بالطريق إلى الله عز وجل من أبى عثمان».

مات أبـو عثمـان بنيسـابور، سنة ثمـان وتسعين ومـائتين.. ذكر ذلك مـحمـد بن أحمـد بن حمـدان وقال: «صليت عليه».

وأسند الحديث:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وعليه صـوم شهر رمضان أطعم عنه وليُّه كل يوم مسكينا». وكتب أبو عثمان هذا الحديث فى كتابه بخط يده.

ومن كلام أبى عثمان:

* أصل العداوة من ثلاثة أشياء: من الطمع فى المال، والطمع فى إكرام الناس، والطمع فى قبول الناس.

* لايكمل الرجل حتى يستوى قلبه فى أربعة أشياء: فى المنع، والعطاء، والعز، والذل.

* صلاح القلب فى أربع خصال: فى التواضع لله، والفقر إلى الله، والخوف من الله، والرجاء فى الله.

* الموفق من لايخاف غير الله، ولايرجو غيره، فيؤثر رضاه على هوى نفسه.

* العجب يتولد من رؤية النفس وذكرها، ورؤية الخلق وذكرهم.

* قال له قـائل: كنت أجد فى قلبى حلاوة عند إقـبال الليل، وأنا لا أجدها السـاعة ! فقـال: لعلك سررت بشئ من الدنيـا فذهـب بحلاوة ذلك من قلبك. وربما يـعرفك الله ضـعفك، ويريـك قدرك، فـيسلبك حـلاوة مناجاة الليل، حتى تتضرع إليه، فيرده عليك لئلا تأمن مكره.

* الخوف من الله يوصلك إلى الله، والكبـروالعجب فى نفسـك يقطعك عن الله، واحتقـار الناس فى نفسك مرض عظيم لايداوى.

* الناس على أخـلاقـهم، ما لم يـخالف هواهم، فـإذا خـولف هواهم بان ذوو الأخـلاق الكريمة من ذوى الأخلاق اللئيمة.

* من جل مقداره فى نفسه جل أقدار الناس عنده، ومن صغر مقداره فى نفسه صغر أقدار الناس عنده.

* تعززوا بعز الله كى لاتذلوا.

* سرورك بالدنيا أذهب سـرورك بالله من قلبك، وخوفك من غيره أذهب خـوفك منه عن قلبك، ورجاؤك من دونه أذهب رجاءك إياه من قلبك.

* العاقل من تأهب للمخاوف قبل وقوعها.

* قطيعة الفاجر غنم.

* حق لمن أعزه الله بالمعرفة ألا يَذله بالمعصية.

* كان يقال: الأدب سند الفقراء وزين الأغنياء.

* أوجب الله على نفسه العفو عن المقصرين من عباده، لذلك قال: «كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم».

* الزهد فى الحرام فريضة، وفى المباح فضيلة، وفى الحلال قربة.

* التفويض رد ما جهلت علمه إلى عالمه ، والتفويض مقدمة الرضا ، والرضا باب الله الأعظم.

* الصبر على الطاعة حتى لاتفوتك الطاعة، والصبر عن المعصية حتى تنجو من الإصرار على المعصية.

* الفراسة ظن وافق الصواب، والظن يخطئ ويصيب. فإذا تحقق فى الفراسة تحقق فى حكمها، لأنه إذ ذاك يحكم بنور الله تعالى لابنفسه.

* أصل التعلق بالخيرات قصر الأمل.

* أنت فى سجن ما تبعت مرادك وشهواتك. فإذا فوضت وسلمت استرحت.

* الذكر الكثير أن تذكره فى ذكرك له.. إنك لم تصل إلى ذكره إلا به وبفضله.

* وسئل: كيف يستجيز العاقل أن يزيل اللائمة عمن يظلمه؟ فقال: ليعلم أن الله سلطه عليه.

* اصحب الأغنياء بالتعزز، والفقراء بالتذلل، فإن التعزز على الأغنياء تواضع، والتذلل للفقراء شرف.

* وسأله محفوظ بن محمود النيسابورى عن قول النبى ﷺ : «أعوذ بك منك». فقال: استعمل الصدق فى اللفظتين المتقدمتين يبلغ فهمك إلى هذه الكلمة، وهو قوله: أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك.

* وسئل: ما علامة السعادة والشقاوة؟ فقال: علامة السعادة أن تطيع الله، وتخاف أن تكون مردودا. وعلامة الشقاوة أن تعصى الله، وترجو أن تكون مقبولا.

* من صحب نفسه صحبه العجب، ومن صحب أولياء الله وفق للوصول إلى الطريق إلى الله.

أبو عبد الله بن الجلاء

ومنهم أبو عبدالله بن الجلاء، واسمه أحمد بن يحيى ــ ويقال محمد بن يحيى، وأحمد أصح ــ كان أصله من بغداد ، أقام بالرملة ودمشق، وكان من جلة مشايخ الشام.

صحب أباه يحيى الجلاء، وأبا تراب النخشبى، وذا النون المصرى، وأبا عبيد البسرى. وكان أستاذ محمد بن داود الدقى.

وكان عالما ورعـا. ويقول إسماعيل بن نجيـد: «كان يقال: إن فى الدنيا ثلاثة من أئمة الصـوفية لارابع لهم: الجنيد ببغداد، وأبو عثمان بنيسابور، وأبو عبدالله بن الجلاء بالشام».

ومن كلامه:

* الحق استصحب أقوامـا للكلام، وأقواما للخلة. فمن استصحبـه الحق لمعنى، ابتلاه بأنواع المحن... فليحذر أحدكم طلب رتبة الأكابر.

* من بلغ بنفسه إلى رتبة سقط عنها، ومن بلغ به ثبت عليها.

* وسأله رجل: على أى شرط أصحب الخلق؟ فقال: إن لم تبرهم فلا تؤذهم، وإن لم تسرهم فلاتسؤهم.

* لاتضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه من المودة والصداقـة، فإن الله تعالى فرض لكل مؤمن حقوقا لايضيعها إلا من لم يراعِ حقوق الله عليه.

* وسئل: كيف تكون ليالى الأحباب؟ فأنشأ يقول:

من لم يبت والحب حشو فؤاده

لـم يدرِ كـيـف تـفتـت الأكـبـاد

* يحتاج أن يكون للعبد شئ يعرف به كل شئ.

* من استوى عنده المدح والذم فـهو زاهد، ومن حافظ على الفرائض فى أول مـواقيتها فـهو عابد، ومن رأى الأفعال كلها من الله عز وجل فهو موحد.

* وقال له رجل: ما تقـول فى الرجل يدخل البادية بلا زاد؟ فقال: هذا من فعل رجـال الله عز وجل. قال: فإن مات؟ قال: الديَّة على القاتل!

* اهتمامك بالرزق يزيلك عن الحق، ويفقرك إلى الخلق.

* كل حق يشاركه باطل فقد خرج من قسمة الحق إلى قسمة الباطل، فإن الحق غيور .

* من غيـرة الحق أن لم يجعل لأحد عليـه طريقا، ولم يؤيس أحـدا من الوصول إليه. وترك الخلق فى مـفاوز التحير يركـضون، وفى بحار الظن يغرقون. فمن ظن أنه واصل فاصـله، ومن ظن أنه فاصل مناه.. فلاوصول إليه، ولامهرب عنه، ولابد منه.

* الدنيا أوسع رقعة وأكثر زحمة من أن يجفوك واحد فلايرغب فيك آخر. وأنشد:

تلقى بكل بلاد إن حللت بها

أهـلا بأهـل وجيرانـا بجيران

* وسئل عن الحق فقال: إذا كان الحق واحدا يجب أن يكون طالبه وحدانى الذات.

* سمت همم العارفين إلى مولاهم، فلم تعكف على شئ سواه. وسمت همم المريدين إلى طلب الطريق إليه، فأفنوا نفوسهم فى الطلب.

* من علت همته على الأكوان، وصل إلى مكونها. ومن وقف بهمته على شئ سوى الحق، فاته الحق.. لأنه أعز من أن يرضى معه بشريك.

رويم بن أحمد البغدادى

ومنهم أبو محمد رويم بن أحمد بن يزيد ــ ويقال رويم بن محمد بن أحمد ــ والأول أصح.

وهو من أهل بغداد ، ومن جلة مشايخهم.. وجده رويم بن يزيد. حدث عن الليث بن سعد وغيره. وقيل: كنيته أبو بكر.

وكان فقيها على مذهب داود الأصبهانى، وكان مقرئا، فقرأ على إدريس بن عبدالكريم الحداد.

مات سنة ثلاث وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن أنس بن مالك: أن رجلا لعن برغوثا عند النبى ﷺ ، فقال النبى: «لاتلعنه فإنه أيقظ نبيا من الأنبياء للصلاة»(١).

ومن كلامه :

* سئل عن أدب المسافر، فقال: لايجاوز همَّه قدمه، وحيثما وقف قلبه يكون منزله.

* لايزال الصوفية بخير ما تنافروا، فإن اصطلحوا هلكوا.

* من حكم الحكيم أن يوسع على إخوانه فى الأحكام، ويضيق على نفسه فيها... فإن التوسعة عليهم اتباع العلم، والتضييق على نفسه من حكم الورع.

* إن الله تعالى غيب أشياء فى أشياء: غيب مكره فى حلمه، وغيب خداعه فى لطفه، وغيب عقابه فى كرامته.

* وقيل له: هل ينفع الولد صلاح الوالدين؟ فقال: من لم يكن بنفسه لا يكون بغيره، بل من لم يكن بربه لا يكون بنفسه ، وأنشد:

إذا العود لم يثمر – وإن كان شعبة

من المثمرات – اعتده الناس فى الحطب

---

(١) من رواة هذا الحديث سويد بن إبراهيم الجحدرى. وقد ضعفه بعضهم. وقال ابن حيان عنه: «يروى الموضوعات عن الإثبات. وهو صاحب حديث البرغوث».

* وسئل عن حقيقة الفقر، فقال: أخذ الشيء من جهته، واختيار القليل على الكثير عند الحاجة.

* قعودك مع كل طبقة من الناس أسلم من قعودك مع الصوفية، فإن كل الخلق قعدوا على الرسوم، وهذه الطائفة قعدت على الحقائق. وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع، وطالبوا هم أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق... فمن قعد معهم، وخالفهم فى شئ مما يتحققون فيه، نزع الله نور الإيمان من قلبه.

* لما عظمت فيهم البلية استحكمت عليهم الفتنة، واستصغروا عند ذلك كل مقام، وعزب عنهم التدبير والنظام .

* الإخلاص ارتفاع رؤيتك من الفعل.

* وسئل عن الفتوة فقال: أن تعذر إخوانك فى زلاتهم، ولاتعاملهم بما تحتاج أن تعتذر منه.

* وقال محمد بن خفيف له: أوصنى، فقال: أقل مافى هذا الأمر بذل الروح، فإن أمكنك الدخول مع هذا فيه، وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية.

* الصبر ترك الشكوى.

* الرضا استلذاذ البلوى.

* اليقين هو المشاهدة.

* يعاتب الخلق بالإرفاق، ويعاتب المحب بالغلظة. وأنشد لغيره:

لو كنت عاتبة لسكن عبرتى

أملى رضاك، وزرت غير مراقب

لكن مللت، فلم تكن لى حيلة

صد الملول خلاف صد العاتب

* التوكل إسقاط رؤية الوسائط، والتعلق بأعلى العلائق.

* وسئل عن المحبة، فقال: الموافقة فى جميع الأحوال. وأنشد:

ولو قلت لى :مُتْ، مُتُّ سمعا وطاعة

وقلت لداعى الموت: أهلا ومرحبا

* الأنس أن تستوحش مما سوى محبوبك.

* وقيل له: كيف حالك؟ فقال: كيف يكون حال من دينه هواه، وهمته شقاه... ليس بصالح تقى، ولا عارف نقى.

* من أحب لعوض بغض العوض إليه محبوبه.

* وسئل عن الشوق فقال: أن تشوقه آثار المحبوب، وتفنيه مشاهدته.

يوسف بن الحسين الرازى

ومنهم أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازى، شيخ الرى والجبال فى وقته. كان أوحد طريقته فى إسقاط الجاه، وترك التصنع، واستعمال الإخلاص.

صحب ذا النون المصرى وأبا تراب النخشبى، ورافق أبا سعيد الخراز فى بعض أسفاره، وكان عالما دينا.

قال عبد الله بن عطاء: «مات يوسف سنة أربع وثلاثمائة».

وروى الحديث:

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «من عشق فعف وكتم ثم مات فهو شهيد» (1).

كما روى الحديث التالى:

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

ومن كلام يوسف بن الحسين:

* علم القوم بأن الله يراهم، فاستحيوا من نظره أن يراعوا شيئاً سواه.

* من ذكر الله بحقيقة ذكره نسى ذكر غيره، ومن نسى ذكر كل شئ فى ذكره حفظ عليه كل شئ، إذ كان الله له عوضا من كل شئ.

* وقال له رجل: دلَّنى على طريق المعرفة. فقال له: أرِ الله الصدق منك فى جميع أحوالك، بعد أن تكون موافقا للحق، ولا ترقَ إلى حيث لم يرقَ بك فتزل قدمك، فإنك إذا رقيت سقطت، وإذا رُقى بك لم تسقط. وإياك أن تترك اليقين لما ترجوه ظنا.

* إذا رأيت الله قد أقامك لطلب شئ - وهو يمنعك ذلك - فاعلم أنك معذب.

* وسئل: بماذا يقطع الطريق إلى الله؟ قال: به وبخطاب كراماته ولطائف جذبه إلى ساحات توحيده ومروج كراماته.

*يتولد الإعجاب بالعمل من نسيان رؤية المنة فيما يجرى الله لك من الطاعات.

---

(1) هذا الحديث فيه مقال، فقد ضعفه بعضهم، وأطال ابن القيم الحديث عنه فى الجزء الثالث من كتابه «زاد المعاد»، وأنكره إنكاراً شديدا، وحكم عليه بأنه موضوع. وكان مما قاله: «فإن هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ولا يجوز أن يكون من كلامه».

* خفة المعدة من الشهوات والفضول، قوة على العبادة .

* وسئل عن الفقير الصادق، فقال: من آثر وقته، فإن كان فيه تطلع إلى وقت ثان لم يستحق اسم الفقر.

* من تفتت عذاره، وانقطع حزامه، وساح فى مفاوز المخاطرات... تجرى عليه أحكام السعايات. وهو يقول فى تيهه:

كيف السبيل إلى مرضاة من غضبا

من غير جرم، ولم أعرف له سببا؟

* أرغب الناس فى الدنيا أكثرهم ذما لها عندأبنائها، لأن المذمة لها حرفة عندهم.

* أصل العقل الصمت، وباطن العقل كتمان السر، وظاهر العقل الاقتداء بالسنَّة.

* أذل الناس: الفقير الطموع ، والمحب لمحبوبه.

* الخير كله فى بيت، ومفتاحه التواضع. والشر كله فى بيت، ومفتاحه التكبر... ومما يدلك على ذلك أن آدم عليه السلام تواضع فى ذنبه فنال العفو والكرامة، وأن إبليس تكبر فلم ينفعه شئ.

* بالأدب تفهم العلم، وبالعلم يصح لك العمل، وبالعمل تنال الحكمة، وبالحكمة تفهم الزهد وتوفق له، وبالزهد تترك الدنيا، وبترك الدنيا ترغب فى الآخرة، وبالرغبة فى الآخرة تنال رضى الله.

* إذا أردت أن تعرف العاقل من الأحمق فحدثه بالمحال، فإن قبل فاعلم أنه أحمق.

* إن عين الهوى عوراء.

* عارضنى بعض الناس فى كلام، وقال لى: لاتستدرك مرادك من علمك إلا أن تتوب. فقلت مجيبا: لو أن التوبة طرقت بابى ما أذنت لها، على أنى أنجو بها من ربى. ولو أن الصدق والإخلاص كانا لى عبدين، لبعتهما زهدا منى فيهما... لأنى إن كنت عند الله فى علم الغيب سعيداً مقبولا، لم أتخلف باقتراف الذنوب والمآثم، وإن كنت عنده شقيا مخذولا لم تسعدنى توبتى وإخلاصى وصدقى، وإن الله خلقنى إنسانا بلا عمل، ولا شفيع كان لى إليه، وهدانى لدينه الذى ارتضاه لنفسه، فقال: «ومن يبتغِ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين».

فاعتمادى على فضله وكرمه أولى بى - إن كنت حرًا عاقلا - من اعتمادى على أفعالى المدخولة، وصفاتى المعلولة... لأن مقابلة فضله وكرمه بأفعالنا من قلة المعرفة بالكريم المتفضل.

* لولا أنى مستعبد بترك الذنوب لأحببت أن ألقاه بذنوب العباد أجمع، فإن هو عذبنى كان أعذر له فى

عذابى- مع أنه لو عذب الخلق جميعا كان عدلا منه - وإن عفا عنى كان أظهر لكرمه عندهم فى عفوه، مع أنه لو لم يعف عن أحد من خلقه لكان ذلك منه فضلا وكرما، وكانت له الحجة البالغة... وذلك أن الملك ملكه، والسلطان سلطانه، والخلق مترددون بين عدله وفضله... بل الكل كرم وأفضال، فقد أحسن مع الكل حيث قال: «أدخلوا آل فرعون أشد العذاب». فمن عفا عنه فبفضله، ومن عذبه فبعدله، وهو إلى الفضل أقرب «لايسأل عما يفعل وهم يسألون».

* فى الدنيا طغيانان: طغيان العلم وطغيان المال.

فالذى ينجيك من طغيان العلم العبادة، والذى ينجيك من طغيان المال الزهد فيه.

* وسئل عن قول النبى ﷺ : « أرحنا بها يابلال»، فقال: معناه أرحنا بها من أشغال الدنيا وحديثها، لأنه كان ﷺ قرة عينه فى الصلاة.

شاه الكرمانى

ومنهم أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى، كان من أولاد الملوك. يقال أن أصله من «مرو» صحب أبا تراب النخشبى، وأبا عبد الله الذراع البصرى، وأبا عبيد البسرى.

وكان من أجلة الفتيان، وعلماء هذه الطبقة، وله رسالات مشهورة، والمثلثة التى سماها «مرآة الحكماء».

ورد نيسابور فى زيارة أبى حفص، ومعه أبو عثمان الحيرى. ومات قبل الثلاثمائة.

ومن كلامه:

* شغل العارف بثلاثة أشياء: بالنظر إلى معبوده مستأنسا به، والملاحظة لمنته وفوائده شاكرا له، والتذكر لذنبه معترفا به ومنيبا تائبا إليه.

* من صحبك ووافقك على ما يحب، وخالفك فيما تكره، فإنما يصحب هواه، ومن صاحب هواه فهو طالب راحة الدنيا.

* اعملوا الطاعات أنزه ما يكون، وانظروا إليها أقذر ما يكون.

* لأهل الفضل فضل مالم يروه، فإن رأوه فلا فضل لهم. ولأهل الولاية ولاية مالم يروها، فإذا رأوها فلا ولاية لهم.

* الفتوة من طباع الأحرار، واللؤم من شيم الأنذال. وما تعبد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله بما يحبون.

* محبة أولياء الله تعالى دليل على محبة الله عزوجل.

* الإعراض عن الحق هو السخط.

* علامة الركون إلى الباطل التقرب من المبطلين.

* من عرف ربه طمع فى عفوه، ورجا فضله.

* علامة الحكمة معرفة أقدار الناس.

* علامة التقوى الورع، وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات، وعلامة الخوف الحزن، وعلامة الرجاء حسن الطاعة، وعلامة الزهد قصر الأمل.

* ما أعجب عبد بنفسه حتى يكون محجوبا عن ربه.

* من عرف ربه نسى كل مادونه، ومن جهل ربه تعلق بكل شئ دونه، ومن اعتز بالعلم فاز، ومن اعتز بالجهل خاب وخسر.

* الجاهل فى ظلمة جهله، فكيف يكون إذا كان العالم فى ظلمة علمه، وظلمة العلم أشد!

سمنون بن حمزة المحبّ

ومنهم أبو الحسن سمنون بن حمزة - ويقال سمنون بن عبد الله - الخواص، ويقال كنيته أبو القاسم، سمى نفسه سمنون الكذّاب، لكتمه عسر البول بلا تضرر[1].

صحب سريا السقطى، ومحمد بن على القصاب، وأبا أحمد القلانسى.

وسوس، وكان يتكلم فى المحبة بأحسن كلام، وهو من كبار مشايخ العراق، مات بعد الجنيد[2]

ومن كلامه:

* قال أبو الحسن بن زرعان: كنت عند سمنون فشهق شهقة ثم قال: لو صاح إنسان لشدة وجده بحبه لملأ ما بين الخافقين صياحا.

* إذا بسط الجليل غدا بساط المجد دخل ذنوب الأولين والآخرين فى حاشية من حواشيه، وإذا أبدى عينا من عيون الجود ألحق المسئ بالمحسن.

* كنت ببيت المقدس، وكان برد شديد، وعلىَّ جبة وكساء، وأنا أجد البرد والثلج يسقط... فإذا شاب مار فى الصحن، عليه خرقتان، فقلت: ياحبيبى، لو استترت ببعض هذه الأروقة فيكنك من البرد؟ فقال لى: يا أخى سمنون :

---

(١) قيل إن سمنون أنشد:

فليس لى فى سواك حظ — فكيفما شئت فامتحنى

إن كان يرجو سواك قلبى — لا نلت سؤلى ولا التمنى

فأصابه احتباس البول، فكان يدور على الصبيان فى المكاتب ويقول: «ادعوا لعمكم الكذّاب».

(٢) توفى الجنيد ـ كما سبق فى ترجمته ـ سنة سبع وتسعين ومائتين.

ويحسن ظنى أننى فى فنائه

وهل أحد فى كنه يجد القرا؟

* لا يعبر عن الشئ إلا بما هو أرق منه، ولا شئ أرق من المحبة، فبم يعبر عنها؟!

وأنشد:

أنت الحبيب الذى لا شك فى خلدى

منه ، فإن فقدتك النفس لم تعش

يامعطشى بوصال أنت واهبه

هل فيك لى راحة، إن صحت: واعطشى؟!

وأنشد:

أمسى بخدى للدموع رسوم

أسفا عليك، وفى الفؤاد كلوم

والصبر يحسن فى المصائب كلها

إلا عليك فإنه مذموم

* قال أبو الطيب العكى: ذكر لى أن سمنون كان جالسا على شاطئ الدجلة، وبيده قضيب يضرب به فخذه، حتى بان عظم فخذه وساقه، وتبدد لحمه، وهو يقول:

كان لى قلب أعيش به

ضاع منى فى تقلبه

ربِّ فاردده علىَّ فقد

ضاق صدرى فى تطلبه

وأغث ما دام بى رمق

يا غياث المستغيث به!

وأنشد:

يعاتبنى فينبسط انقباضى

وتسكن روعتى عند العتاب

جرى فى الهوى مذ كنت طفلا

فمالى قد كبرت عن التصابى

وأنشد:

أحن بأطراف النهار صبابة

وفى الليل يدعونى الهوى فأجيب

وأيامنا تفنى، وشوقى زائد

كأن زمان الشوق ليس يغيب

وأنشد:

وكان فؤادى خاليا قبل حبكم

وكان بذكر الخلق يلهو ويمزح

فلما دعا قلبى هواك أجابه

فلست أراه عن فنائك يبرح

رميت ببين منك، إن كنت كاذبا

إذا كنت فى الدنيا بغيرك أفرح

وإن كان شئ فى البلاد بأسرها

إذا غبت عن عينى بعينى يملح

فإن شئت واصلنى، وإن شئت لاتصل

فلست أرى قلبى لغيرك يصلح

* وسئل عن الفقير الصادق. فقال: الذى يأنس بالعدم كما يأنس الجاهل بالغنى، ويستوحش من الغنى كما يستوحش الجاهل من الفقر.

وأنشد:

بكيت ودمع العين للنفس راحة

ولكن دمع الشوق ينكى به القلب

وذكرى لما ألقاه ليس بنافعى

ولكنه شئ يهيج به الكرب

فلو قيل لى: ماأنت ؟ قلت: معذب

بنار مواجيد يضرمها العتب

بليت بمن لا أستطيع عتابه

ويعتبنى حتى يقال لى الذنب

عمرو بن عثمان المكى

ومنهم أبو عبد الله عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص المكى.

كان ينتسب إلى الجنيد فى الصحبة، ولقى أبا عبد الله النباجى، وصحب أبا سعيد الخراز، وغيره من المشايخ القدماء .

وهو عالم بعلم الأصول، وله كلام حسن. روى الحديث. وروى عن محمد بن إسماعيل، ويونس بن عبد الأعلى، وسليمان بن سيف الحرانى، وغيرهم.

مات ببغداد سنة إحدى وتسعين ومائتين، ويقال سنة سبع وتسعين، والأول أصح.

وروى الحديث.

عن عبد الله بن مسعود قال: كنا نقول قبل أن يفرض علينا التشهد: السلام على الله؛ السلام على فلان.

ومن كلامه:

* التوبة فرض على جميع المذنبين والعاصين، صغر الذنب أو كبر، وليس لأحد عذر فى ترك التوبة بعد ارتكاب المعصية، لأن المعاصى كلها قد توعد الله عليها أهلها، ولا يسقط عنهم الوعيد إلا بالتوبة، وهذا مما يبين أن التوبة فرض.

* اعلم أن كل ما توهمه قلبك، أو سنح فى مجارى فكرك، أو خطر لك فى معارضات قلبك - من حسن أوبهاء، أو أنس أوضياء، أو جمال أو قبح، أو نور أو شبح، أو شخص أو خيال - فالله تعالى بعيد من ذلك كله، بل هو أعظم وأجل وأكبر. ألا تسمع إلى قوله تعالى :« ليس كمثله شئ» وإلى قوله: «لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد».

* المروءة التغافل عن زلل الإخوان.

* لا يقع على كيفية الوجد عبارة، لأنه سر الله تعالى عند المؤمنين الموقنين.

* لقد علَّم الله نبيه ﷺ ما فيه الشفاء وجوامع النصر وفواتح العبادة، فقال: «وإما ينزغنك من الشيطان نزغ

فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم».

* المعرفة دوام محبة الله تعالى، ودوام مخافته، ودوام الإقبال عليه، ودوام انتصاب القلب بذكره... وهى علم القلوب بفسخ العزوم، وخلع الإرادات، وإحياء الفهوم.

* المعرفة صحة التوكل على الله تعالى.

* لقد وبخ الله تعالى التاركين للصبر على دينهم، بما أخبرنا عن الكفار أنهم قالوا: «امشوا واصبروا على آلهتكم» فهذا توبيخ لمن ترك الصبر من المؤمنين على دينه.

* اعلم أن العلم فائد، والخوف سائق، والنفس حرون بين ذلك، جموح خداعة رواغة... فاحذرها وراعها بسياسة العلم، وسقها بتهديد الخوف، يتم لك ماتريد.

* اعلم أن الرعاية مصحوبة لك فى كل الأحوال، من العبادة إلى أن تلقى ربك، كذلك التقوى.

* الصدق فى الورع مفترض، كافتراض الصبر فى الورع، ومعنى الصدق الاعتدال والعدل.

* اعلم أن رأس الزهد وأصله فى القلوب، هو احتقار الدنيا واستصغارها، والنظر إليها بعين القلة... وهذا هو الأصل الذى يكون منه حقيقة الزهد.

* إذا كان أنين العبد إلى ربه عز وجل فليس بشكوى ولا جزع.

* اعلم أن المحبة داخلة فى الرضا، ولا محبة إلا بالرضا، ولا رضا إلا بمحبة... لأنك لا تحب إلاما رضيت وارتضيت ، ولارضا إلا ما أحببت.

* الرجاء داخل فى تحقيق الرضا.

* وأغماه من عهد لم نقم له بوفاء، ومن خلوة لم نصحبها بحياء، ومن مسألة: ما الجواب فيها غدا؟ ومن أيام تفنى ويبقى ما كان فيها أبدا.

* ما صحبت أحداً كان أنفع لى صحبته ورؤيته من أبى عبد الله النباجى.

سهل بن عبد الله التسترى

ومنهم أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التسترى، أحد أئمة القوم وعلمائهم والمتكلمين فى علوم الرياضات والإخلاص وعيوب الأفعال.

صحب خاله محمد بن سوار، وشاهد ذا النون المصرى سنة خروجه إلى الحج بمكة.

توفى سنة ثلاث وثمانين ــ وقيل سنة ثلاث وتسعين ــ ومائتين، وأظن أن ثلاثا وثمانين أصح، والله أعلم.

وأسند الحديث:

عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يغزو ومعه عدة من نساء الأنصار يسقين الماء ويداوين الجرحى» وذكر الحديث.

ومن كلامه:

* الناس نيام، فإذا انتبهوا ندموا، وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم.

* ما طلعت شمس ولا غربت على أحد على وجه الأرض إلا وهم جهال بالله... إلا من يؤثر الله على نفسه وزوجه، ودنياه وآخرته.

* أدنى الأدب أن تقف عند الجهل، وآخر الأدب أن تقف عند الشبهة.

* شكر العلم العمل، وشكر العمل زيادة العلم.

* ما من قلب ولا نفس إلا والله مطلع عليها فى ساعات الليل والنهار، فأيما قلب أو نفس رأى فيه حاجة إلى سواه سلط عليه إبليس.

* الذى يلزم الصوفى ثلاثة أشياء: حفظ سره، وأداء فرضه، وصيانة فقره.

* الله قبلة النية، والنية قبلة القلب، والقلب قبلة البدن، والبدن قبلة الجوارح، والجوارح قبلة الدنيا.

* ليس فى الضرورة تدبير، فإذا صار إلى التدبير خرج من الضرورة.

* من لم تكن ضرورته لربه، فهو مدع لنفسه.

* من أراد أن يسلم من الغيبة فليسد على نفسه باب الظنون... فمن سلم من الظن سلم من التجسس، ومن سلم من التجسس سلم من الغيبة، ومن سلم من الغيبة سلم من الزور، ومن سلم من الزور سلم من البهتان.

* لا يستحق إنسان الرياسة حتى يجتمع فيه أربع خصال: يصرف جهله عن الناس، ويحمل جهلهم، ويترك مافى أيديهم، ويبذل مافى يده لهم.

* من أخلاق الصديقين ألا يحلفوا بالله ــ لا صادقين ولا كاذبين ولا يُغتابون ولا يغتاب عندهم، ولا يشبعون بطونهم... وإذا وعدوا لم يخلفوا، ولا يتكلمون إلا والاستثناء فى كلامهم، ولا يمزحون أصلا.

* ذروا التدبير والاختيار، فإنهما يكدران على الناس عيشهم.

* اعلموا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه بالجوع والصبر والجهد، لفساد ما عليه أهل الزمان .

* أعمال البر يعملها البر والفاجر، ولا يجتنب المعاصى إلا صديق.

* من ظن حُرم اليقين، ومن تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق، ومن شغل جوارحه بغير ما أمره الله به حُرم الورع.

* الفتن ثلاث: فتنة العامة من إضاعة العلم، وفتنة الخاصة من الرخص والتأويلات، وفتنة أهل المعرفة من أن يلزمهم حق فى وقت فيؤخروه إلى وقت ثان.

* أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله تعالى، والاقتداء بسنّة رسوله ﷺ، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق.

* من أحب أن يّطلع الخلق على ما بينه وبين الله فهو غافل.

* لقد أيس العلماء والحكماء من هذه الثلاث خلال: ملازمة التوبة، ومتابعة السنّة، وترك أذى الخلق.

* البلوى من الله على وجهين: بلوى رحمة وبلوى عقوبة. فبلوى الرحمة يبعث صاحبه على إظهار فقره إلى الله، وترك التدبير، وبلوى العقوبة يبعث صاحبه على اختياره وتدبيره.

* من خلا قلبه من ذكر الآخرة تعرض لوساوس الشيطان.

* لا معين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر.

* الآيات لله، والمعجزات للأنبياء، والكرامات للأولياء، والمغوثات للمريدين، والتمكين لأهل الخصوص.

* العيش على أربعة أوجه: عيش الملائكة فى الطاعة، وعيش الأنبياء فى العلم وانتظار الوحى، وعيش الصديقين فى الاقتداء، وعيش سائر الناس ــ عالما كان أو جاهلا، زاهدا كان أو عابدا ــ فى الأكل والشرب.

* الضرورة للأنبياء، والقوام للصديقين، والقوت للمؤمنين، والمعلوم للبهائم .

* الأعمال بالتوفيق، والتوفيق من الله، ومفتاحها الدعاء والتضرع.

محمد بن الفضل البلخى

ومنهم أبو عبد الله محمد بن الفضل بن العباس بن حفص البلخى، ساكن سمرقند. وأصله من بلخ، ولكنه أُخرج منها بسبب المذهب، فدخل سمرقند ونزلها.

صحب أحمد بن خضرويه، وغيره من المشايخ ، وهو من أجلة مشايخ خراسان، ولم يكن أبو عثمان يميل إلى أحد من المشايخ ميله إليه.

مات بسمرقند سنة تسع عشرة وثلاثمائة.

وفيه قال أبو عثمان: «لو وجدت من نفسى قوة لرحلت إلى أخى محمد بن الفضل، فأستروح سرى برؤيته».

وأسند الحديث:

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء من نبى إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه

البشر، وإنما كان الذى أوتيت وحيا أوحى الله إلىَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».

ومن كلامه:

* أعرف الناس بالله أشدهم مجاهدة فى أوامره، وأتبعهم لسنَّة نبيه ﷺ.

* الرحمن هو الذى يحسن إلى البر والفاجر.

* ذهاب الإسلام من أربعة: أولها لا يعملون بما يعلمون، والثانى يعملون بما لايعلمون، والثالث لا يتعلمون مالا يعلمون، والرابع يمنعون الناس من التعلم.

* الدنيا بطنك، فبقدر زهدك فى بطنك زهدك فى الدنيا.

* العجب ممن يقطع الأودية والقفار والمفاوز، حتى يصل إلى بيته وحرمه، لأن فيه آثار أنبيائه، كيف لا يقطع نفسه وهواه، حتى يصل إلى قلبه، فإن فيه آثار مولاه.

* العلم حرز، والجهل غرر، والصديق مؤنة، والعدو هم، والصلة بقاء، والقطيعة مصيبة، والصبر قوة، والجرأة عجز، والكذب ضعف، والصدق قوة، والمعرفة صداقة، والعقل تجربة.

* أنزل نفسك منزلة من لا حاجة له فيها، ولابد له منها، فإن من ملك نفسه عز، ومن ملكته نفسه ذل.

* ست خصال يعرف بها الجاهل: الغضب فى غير شئ، والكلام فى غير نفع، والعطية فى غير موضعها، وإفشاء السر، والثقة بكل أحد، وألا يعرف صديقه من عدوه.

* خطأ العالم أضر من عمد الجاهل.

* من ذاق حلاوة العلم لا يصبر عنه.

* من ذاق حلاوة المعاملة أنس بها.

* من عرف الله اكتفى به بعد قوله تعالى: «أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد».

* العلوم ثلاثة: علم بالله، وعلم من الله، وعلم مع الله. فالعلم بالله معرفة صفاته ونعوته. والعلم من الله علم الظاهر والباطن، والحلال والحرام، والأمر والنهى فى الأحكام. والعلم مع الله علم الخوف والرجاء، والمحبة والشوق.

* البكاء بكاءان: بكاء الزاهدين بعيونهم، وبكاء العارفين بقلوبهم.

* العارف يدافع عيشه يوما بيوم، ويأخذ من عيشه يوما ليوم.

* وسئل: ما ثمرة الشكر، فقال: الحب لله والخوف منه.

* ذكر اللسان كفارات ودرجات، وذكر القلب زلف وقربات.

* إذا رأيت المريد يستزيد من الدنيا فذاك من علامة إدباره.

* الموافقة أصل المحبة، وأصل الوصال ترك القرار، وأصل الفقر معرفة التقصير، وأصل الثبات على الحق دوام الفقر إلى الله تعالى.

* من استوى عنده ما دون الله نال المعرفة بالله.

* وسئل: ما الفتوة؟ فقال: حفظ السر مع الله على الموافقة، وحفظ الظاهر مع الخلق بحسن العشرة واستعمال الخلق.

* وسئل عن الزهد، فقال: النظر إلى الدنيا بعين النقص، والإعراض عنها تعززا وتظرفا،فمن استحسن من الدنيا شيئا فقد نبه على قدرها.

محمد بن على الترمذى

ومنهم أبو عبد الله محمد بن على بن الحسن الترمذى. لقى أبا تراب النخشبى، وصحب يحيى الجلاء، وأحمد بن خضرويه، وهو من كبار مشايخ خراسان، وله التصانيف المشهورة. كتب الحديث الكثير ورواه.

أسند الحديث:

عن ابن عباس قال: تلا رسول اللهﷺ هذه الآية: «رب أرنى أنظر إليك» فقال: قال ياموسى إنه لا يرانى حى إلا مات، ولا يابس إلا تدهده[1]، ولا رطب إلا تفرق، وإنما يرانى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم، ولا تبلى أجسادهم.

ومن كلامه:

* ليس الفوز هناك بكثرة الأعمال، إنما الفوزهناك بإخلاص الأعمال وتحسينها .

* من شرائط الخدام التواضع والاستسلام.

* الناس فى استماع الحكمة رجلان: عاقل وعامل... فالعاقل يتعجب، وهو لما يسمعه يشتهى. والعامل يتقلب، كأن قلبه منه حية تلتوى.

* ليس فى الدنيا حمل أثقل من البر؛ لأن من بَرّك فقد أوثقك، ومن جفاك فقد أطلقك.

* دعا الموحدين إلى هذه الصلوات رحمة منه عليهم، فهيأ لهم فيها ألوان الضيافات، لينال العبد من كل قول وفعل شيئاً من عطاياه... فالأفعال كالأطعمة، والأقوال كالأشربة، وهى عرس الموحدين.

* العاقل من اتقى ربه، وحاسب نفسه.

---

(١) تدهده الحجر: تدحرج.

* من جهل أوصاف العبودية فهو بنعوت الربانية أجهل.

* صلاح خمسة أصناف فى خمسة مواطن :

صلاح الصبيان فى الكتَّاب، وصلاح القطاع فى السجن، وصلاح النساء فى البيوت، وصلاح الفتيان فى العلم، وصلاح الكهول فى المساجد.

* ضمن الله تعالى للعباد الرزق، وفرض عليهم التوكل.

* حقيقة محبة الله دوام الأنس بذكره.

* المؤمن بشره فى وجهه وحزنه فى قلبه، والمنافق حزنه فى وجهه وبشره فى قلبه.

* الدنيا عروس الملوك، ومرآة الزهاد... أما الملوك فتجملوا بها، وأما الزهاد فنظروا إلى آفتها فتركوها .

* وسئل عن الخلق، فقال: ضعف ظاهر، ودعوى عريضة.

* اجعل مراقبتك لمن لا يغيب عن نظره إليك. واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه.

* ملاك القلوب بكمال الخشية، وملاك النفوس بكمال التقوى.

* المكلَّم والمحدَّث إذا تحققا فى درجتهما لم يخافا من حديث النفس، وكما أن النبوة محفوظة بالنسخ لإلقاء الشيطان، كذلك محل المكالمة والمحادثة مصونة من إلقاء النفس وفتنتها، محروسة بالحق والسكينة، لأن السكينة حجاب المكلَّم والمحدث مع نفسه.

* وسئل: هل يخاف المحدثون سوء العاقبة؟ فقال: خوف هول وقلق، يكون كالخطرات ثم يمضى... فإن الله تعالى لا يحب أن يكدر عليهم مننه.

أبو بكر الوراق

ومنهم أبو بكر محمد بن عمر الحكيم الوراق، أصله من ترمذ، وأقام ببلخ.

لقى أحمد بن خضرويه وصحبه، وصحب محمد بن سعد بن إبراهيم الزاهد، ومحمد بن عمر بن خشنام البلخى.

له الكتب المشهورة فى أنواع الرياضات والمعاملات والآداب.

وأسند الحديث:

عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أعظم الأمانة عند الله، الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه، ثم ينشر سرَّها».

ومن كلامه:

* الناس ثلاثة: العلماء والأمراء والقراء، فإذا فسد الأمراء فسد المعاش، وإذا فسد العلماء فسدت الطاعات، وإذا فسد القراء فسدت الأخلاق.

* شكر النعمة مشاهدة المنة وحفظ الحرمة.

* للقلب ستة أشياء: حياة وموت، وصحة وسقم، ويقظة ونوم... فحياته الهدى، وموته الضلالة، وصحته الطهارة والصفاء، وسقمه الكدورة والعلاقة، ويقظته الذكر، ونومه الغفلة.

ولكل واحد من ذلك علامة، فعلامة الحياة الرغبة والرهبة والعمل بهما، والموت بخلاف ذلك. وعلامة الصحة القوة واللذة، والسقم بخلاف ذلك. وعلامة اليقظة السمع والبصر، والنوم بخلاف ذلك.

* الاشتغال بالخلق والتزين لهم حجاب عن المنة، ومن لم يعرف المنة لم يعرف الخذلان.

* صاحب العقلاء بالاقتداء، والزهاد بحسن المداراة، والحمقى بجميل الصبر.

* وقال له محمد بن حامد: علمنى شيئا يقربنى إلى الله تعالى، ويقربنى من الناس، فقال: أما الذى يقربك إلى الله فمسألته، وأما الذى يقربك إلى الناس فترك مسألتهم.

* من اكتفى بالكلام من العلم دون الزهد والفقه تزندق، ومن اكتفى بالزهد دون الفقه والكلام تبدع، ومن اكتفى بالفقه دون الزهد والكلام تفسق، ومن تفنن فى هذه الأمور كلها تخلص.

* وقال له رجل: إنى أخاف من فلان. فقال: لاتخف منه، فإن قلب من تخافه بيد من ترجوه.

* وكتب إلى صديق له، فكان فيما كتب: راحة الدنيا تؤدى إلى عناء عقابها، وتعب الدنيا بالحق يؤدى إلى راحة ثوابها، وتارك الشهوات هو المصيب للشهوات، والمصيب للشهوات هو التارك للشهوات، والسلام.

* الأدب للعارف كالتوبة للمستأنف.

* خضوع الفاسقين أفضل من صولة المطيعين.

* لو قيل للطمع: من أبوك؟ لقال: الشك فى المقدور. ولو قيل: ما حرفتك؟ لقال: اكتساب الذل. ولو قيل: ما غايتك؟ لقال: الحرمان .

* الناس كلهم فى أحوال الدنيا أربعة: مرحوم، ومخدوع، ومعاقب، ومكره .

* من صحَّت معرفته بالله ظهرت عليه الهيبة والخشية .

* عوام الخلق هم الذين سلمت صدورهم، وحسنت أعمالهم، وطهرت ألسنتهم، فإذا خلوا من هذا فهم الغوغاء لا العوام .

* إذا فسدت العامة غلبت الفساق على أهل الصلاح، وولاة الجور على ولاة العدل، والكفَّار على المسلمين.

* الخاصة هم الذين فقهت قلوبهم، وحسنت أخلاقهم، وكانوا أئمة، يدعون الناس إلى الخير والعمل به، وسالموا السلطان على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والعلماء على صدق الخبر، والعامة على ظاهر الأمور، فإذا خلوا من ذلك فهم المفترون، وإذا فسدت الخاصة غلبت الكذبة على الصادقين، والكهنة على الموقنين، والموسوسون على المخلصين.

* أصل غلبة الهوى مقارفة الشهوات، فإذا غلب الهوى أظلم القلب، وإذا أظلم القلب ضاق الصدر، وإذا ضاق الصدر ساء الخلق، وإذا ساء الخلق أبغضه الخلق، وإذا أبغضه الخلق أبغضهم، وإذا أبغضهم جفاهم، وإذا جفاهم صار شيطانا.

* الحكماء خلف الأنبياء، وليس بعد النبوة إلا الحكمة، وهى إحكام الأمور، وأول علامات الحكمة طول الصمت، والكلام على قدر الحاجة.

* احذر صحبة السلطان إبقاء على نفسك، والملوك إبقاء على عيشك، والأغنياء إبقاء على ملكك، والسوقة إبقاء على خلقك، والنساء والصبيان إبقاء على قلبك، والفساق والمبتدعين إبقاء على دينك، والفقراء إبقاء على مالك، والعلماء إبقاء على إيمانك وإسلامك، والإخوان فى مخالفتهم إبقاء على فضلك ومروءتك.

* للمؤمن أربع علامات: كلامه ذكر، وصمته تفكر، ونظره عبرة، وعمله بر.

* الخلاف يهيج العداوة، والعداوة تستنزل البلاء.

* العبد لا يستحق اليقين حتى يقطع كل سبب بينه وبين العرش إلى الثرى، حتى يكون الله مراده لا غير، ويؤثر الله على كل ما سواه.

* من عشق نفسه عشقه الكبر والحسد، والذلّ والمهانة.

* لا تصحب من يمدحك بخلاف ما أنت عليه أو بغير ما فيك، فإنه إذا غضب عليك ذمّك بما ليس فيك.

* ازهد فى حب الرياسة، والعلو فى الناس، إن أحببت أن تذوق شيئاً من سبل الزاهدين.

* اليقين نور يستضىء به العبد فى أحواله، فيبلغه إلى درجات المتقين.

أبو سعيد الخراز

ومنهم أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز، وهو من أهل بغداد.

صحب ذا النون المصرى، وأبا عبد الله النباجى، وأبا عبيد البسرى، وصحب أيضاً سريا السقطى، وبشر بن الحارث، وغيرهم.

وهو من أئمة القوم وجلة مشايخهم، قيل إنه أول من تكلم فى علم الفناء والبقاء. ومات سنة تسع وسبعين ومائتين .

وأسند الحديث:

عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «سوء الخلق شؤم، وشراركم أسوؤكم أخلاقا».

ومن كلامه:

* إن الله تعالى عجل لأرواح أوليائه التلذذ بذكره، والوصول إلى قربه، وعجل لأبدانهم النعمة بما نالوه من مصالحهم، وأجزل نصيبهم من كل كائن... فعيش أبدانهم عيش الجنانيين، وعيش أرواحهم عيش الربانيين. لهم لسانان: لسان فى الباطن، يعرفهم صنع الصانع فى المصنوع، ولسان فى الظاهر يعلمهم علم المخلوقين، فلسان الظاهر يكلم أجسامهم، ولسان الباطن يناجى أرواحهم.

* وسئل عن الأنس، ما هو؟ فقال: استبشارالقلوب بقرب الله تعالى، وسرورها به، وهدوؤها فى سكونها إليه، وأمنها معه من حيث الروعات، وإعفاؤه لها من كل ما دونه أن يشير إليه، حتى يكون هو المشير، لأنها ناعمة به ولا تحمل جفاء غيره.

* وكان نائما فانتبه وقال: اكتبوا ما وقع لى فى هذا النوم. إن الله تعالى جعل العلم دليلا عليه ليعرف، وجعل الحكمة رحمة منه عليهم ليؤلف، فالعلم دليل إلى الله، والمعرفة دالة على الله، فبالعلم تنال المعلومات، وبالمعرفة تنال المعروفات، والعلم بالتعلم، والمعرفة بالتعرف، فالمعرفة تقع بتعريف الحق، والعلم يدرك بتعريف الخلق، ثم تجرى الفوائد بعد ذلك .

* مثل النفس مثل ماء واقف طاهر صاف، فإن حرّكْته ظهر ما تحته من الحماة ، وكذلك النفس تظهر عند المحن والفاقة والمحالفة، ومن لم يعرف ما فى نفسه كيف يعرف ربه؟

* وقال فى معنى قول النبى ﷺ : «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها». واعجبا ممن لم ير محسنا غير الله كيف لا يميل بكلّيته إليه!

* كل باطن يخالف ظاهراً فهو باطل.

* إذا كانت العين واحدة فمن أى حال تلونت عليك فَاجْرِ فيها، فإن التغيير من جهتك، لأن عين الحق لا تتقلب.

* للعارفين خزائن أودعوها علوما غريبة وأنباء عجيبة، يتكلمون فيها بلسان الأبديَّة، ويخبرون عنها بعبارة الأزلية.

* لولا أن الله عز وجل أدخل موسى عليه السلام فى كنفه لأصابه مثل ما أصاب الجبل .

* المحب يتعلل إلى محبوبه بكل شئ، ولا يتسلى عنه بشئ، ويتبع آثاره، ولا يدع استخباره .

وأنشد:

أسـائلـكم عنها فهـل مـن مخبر
فمـالـى بنعــم مـذ نأت دارهـا علـم
فلـــو كنت أدرى أين خيم أهلها
وأى بــــلاد الله إذ ظـعنـــوا أمــــوا
إذن لسلكنا مسلك الريح خلفهـا
ولو أصبحت نعم ومن دونها النجم!

على بن سهل الأصبهانى

ومنهم أبو الحسن على بن سهل بن الأزهرالأصبهانى. وهو من قدماء مشايخ أصبهان.

كان يكاتب الجنيد ويراسله، وهو من أقـرانه. قصده عمرو بن عثمـان المكى فى دين كان عليه بمكة، فكتب بديونه سفاتج[1] إلى مكة، ولم يُعلمه بذلك، وهو ثلاثون ألف درهم.

صحب محمد بن يوسف بن معدان، ولقى أبا تراب النخشبى.

ومن كلامه:

* المبادرة إلى الطاعات من علامات التوفيق، والتقـاعد عن المخالفات من حسن الرعاية، ومراعاة الأسرار من علامـات التيقظ، وإظهار الدعـاوى من رعونات البشـرية، ومن لـم يصحح مبـادىء إرادته لا يسلم فى منتهى عواقبه.

* الغـافلون يعيـشون فى حلم الله، والذاكـرون يعيـشون فى رحـمة الله، والعـارفون يعـيشـون فى لطف الله، والصادقون يعيشون فى قرب الله، والمحبون يعيشون فى الأنس بالله والشوق إليه.

* الحضور أفضل من اليقين لأن الحضور وطنات،واليقين خطرات.

* حرام على من عرف الله أن يسكن إلى شئ غيره.

* من وقت آدم إلى قـيام السـاعة الناس يقـولون: القلب القلب !وأنا أحب أن أرى رجـلاً يصف لى أى شئ القلب، أو كيف القلب، فلا أرى.

* الأنس بالله أن تستوحش من الخلق، إلا من أهل ولاية الله، فإن الأنس بأهل ولاية الله هو الأنس بالله.

* لا يغرنك من الأحمق كثرة الإلتفات وسرعة الجواب.

---

(١) السفاتج: جـمع سفتجـة، وهى أن تعطى مالا لرجل له مال فى بلد تريد أن تسافـر إليه، فتأخـذ منه خطابا لمن عنده المال فى ذلك البلد أن يعطيك مثل مالك الذى دفعته إليه قبل سفرك. والكلمة فارسية الأصل.

* العقل مع الروح يدعوان إلى الآخرة، ومخالفة الهوى والشهوات، فلذلك سمى روحا.

* المستهتر السالى بالله عن كل شئ.

* من فقَّه قلبه أورثه ذلك الإعراض عن الدنيا وأبنائها، فإن من جهل القلب متابعة سرور لا يدوم. وأنشد:

ليتنى مت فاسترحت فإنى

كلما قلت قد قربت بعدت

* الفقيه من لا يدخل تحت المنسوبات إليه.

* أعاذنا الله وإياكم من غرور حسن الأعمال، مع فساد بواطن الأسرار.

* التصوف: التبرى عمن دونه، والتخلى عمن سواه.

* العقل والهوى متنازعان، فمعين العقل التوفيق، وقرين الهوى الخذلان، والنفس واقفة بينهما، فأيهما ظفر كان فى حيِّزه.

* التمست الغنى فوجدته فى العلم، والتمست الفخر فوجدته فى الفقر، والتمست العافية فوجدتها فى الزهد، والتمست قلة الحساب فوجدتها فى الصمت، والتمست الراحة فوجدتها فى اليأس.

* رأيت الناس قد أسرهم تعظيم نفوسهم، وتحسين ألفاظهم، فلا يتفرغون منهما إلى من عظمهم بتخصيص الخلقة، وأنطق ألسنتهم بتوحيده.

* وسئل عن حقيقة التوحيد، فقال: قريب من الظنون، بعيد من الحقائق، وأنشد لبعضهم:

فقلت لأصحابى هى الشمس، ضوؤها

قريب، ولكن فى تناولها بعد!

أبو العباس بن مسروق الطوسى

ومنهم أبو العباس أحمد بن مسروق الطوسى، من أهل طوس، سكن بغداد ومات بها.

صحب الحارث بن أسد المحاسبى، والسرى بن المغلس السقطى، ومحمد بن منصور الطوسى، ومحمد ابن الحسين البرجلانى.

وهو من قدماء مشايخ القوم وجلتهم.

توفى ببغداد سنة تسع وتسعين ومائتين.

وأسند الحديث:

عن رويفع بن ثابت عن النبى ﷺ قال: «من صلى علىَّ وقال: اللهم أنزله المقام المحمود المقرب عندك يوم

القيامة، كان فى شفاعتى».

ومن كلامه:

* سئل: ما التوكل؟ فقال: اعتماد القلب على الله.

* وسئل عن التوكل، فقال: اشتغالك عما لك بما عليك، وخروجك مما عليك لمن ذلك له وإليه.

* وسئل عن التصوف، فقال: خلو الأسرار مما عنه بد، وتعلقها بما ليس منه بد.

* وسئل عن سماع الرباعيات، فقال: إن قلوبنا قلوب لم تألف الطاعة طبعا، وإنما ألفتها تكلفا، فأخشى إن أبحنا لها رخصة أن تتخطى إلى رخص، ولا أرى سماع الرباعيات إلا لمستقيم الظاهر والباطن، قوى الحال، تام العلم.

* وسأله جعفر الخلدى مسألة فى العقل، فقال له: يا أبا محمد! من لم يحترز بعقله، من عقله، لعقله، هلك بعقله!

* وسئل: من الزاهد؟ فقال: الذى لا يملك مع الله سببا.

* كثرة النظر فى الباطل تذهب بمعرفة الحق من القلب.

* علم الحال أقرب إلى اليقين من علم القيام، وعلم القيام أعلى وأشرف.

* من كان مؤدبه ربه لايغلبه أحد.

* من راقب الله تعالى فى خطرات قلبه، عصمه الله فى حركات جوارحه.

* إن الله تعالى وسم الدنيا بالوحشة، لئلا يكون أنس المطيعين إلا بالله عزوجل.

* مررت مع الجنيد فى بعض دروب بغداد، فإذا مغن يغنى ويقول:

منازل كنت تهواها وتألفها

أيام أنت على الأيام منصور

فبكى الجنيد بكاء شديدا، ثم قال لى: يا أبا العباس، ما أطيب منازل الألفة والأنس، وأوحش مقامات المخالفات، لا أزال أحن إلى بدء إرادتى، وحدّة سعيى، وركوبى الأهوال، طمعا فى الوصول، وهأنذا فى أيام الفترة أتلهف على أوقاتى الماضية.

* أنت فى هدم عمرك منذ خرجت من بطن أمك.

* المؤمن يقوى بذكر الله، والمنافق يقوى بالأكل.

* من تحقق بالتقوى هان عليه الإعراض عن الدنيا.

* تعظيم حرمات المؤمنين من تعظيم حرمات الله تعالى، وبه يصل العبد إلى مجمل حقيقة التقوى.

* التقوى ألا تمد عينيك إلى زهرة الدنيا، ولا تتفكر بقلبك فيها.

* أكثر ما يخاف منه العارف فوت الحق.

* شجرة المعرفة تسقى بماء الفكرة، وشجرة الغفلة تسقى بماء الجهل، وشجرة التوبة تسقى بماء الندامة، وشجرة المحبة تسقى بماء الاتفاق والمراقبة والإيثار.

* من يكن سروره بغير الحق فسروره يورث الهموم، ومن لم يكن أنسه في خدمة ربه فهومن أنسه في وحشة.

* متى ما طمعت في المعرفة، ولم تحكم قبلها مدارج الإرادة، فأنت في جهل، ومتى ماطلبت الإرادة قبل تصحيح مقام التوبة، فأنت في غفلة مما تطلبه.

* وأنشد:

وإني لأهواه مسيئا ومحسنا

وأقضي على قلبي له بالذي يقضي

فحتى متى روح الرضى لا ينالني

وحتى متى أيام سخطك لاتمضي؟

أبو عبد الله المغربي

ومنهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي. كان أستاذ إبراهيم الخواص، وإبراهيم بن شيبان. صحب علي بن رزين. وعاش ــ كما قيل ــ مائة وعشرين سنة، ومات على جبل طور سيناء سنة تسع وسبعين ومائتين، وقيل: تسع وتسعين، وهذا أصح إن شاء الله، وقبره على جبل طور سيناء مع قبر أستاذه علي بن رزين.

وأسند الحديث:

عن أنس: «أن رجلا زار أخا له في قرية، فأرصد الله على مدرجته ملكا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية. قال :هل لك عليه من نعمة تربها[1] ؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه».

---

(١) تربها: أي تحفظها وتراعيها، وتربيها كما يربي الرجل ولده.

ومن كلامه:

* الأبدال فى الشام، والنجباء فى اليمن، والأخيار بالعراق.

* الفقير: المجرد من الدنيا ـ وإن لم يعمل شيئا من أعمال الفضائل ـ ذرة منه أفضل من هؤلاء المتعبدين المجتهدين، ومعهم الدنيا.

* ما رأيت أنصف من الدنيا، إن خدمتها خدمتك، وإن تركتها تركتك.

* أفضل الأعمال عمارة الأوقات بالموافقات.

* أعظم الناس ذلا فقير داهن غنيا وتواضع له، وأعظم الناس عزا غنى تذلل لفقير وحفظ حرمته.

وأنشد:

يامن يعد الوصال ذنبا

كيف اعتذارى ولى ذنوب؟

إن كان ذنبى إليك حبى

فإننى منه لا أتوب!

* أهل الخصوص مع الله تعالى على ثلاث منازل: قوم يضن بهم عن البلاء، لئلا يستغرق الجزع صبرهم، فيكرهون حكمه، أو يكون فى صدورهم حرج من قضائه. وقوم يضن بهم عن مساكنة أهل المعاصى، لئلا تغتم قلوبهم، فمن أجل ذلك سلمت صدورهم للعالم. وقوم صب عليهم البلاء صبا، وصبرهم وارتضاهم، فما ازدادوا بذلك إلا حبا له، ورضا لحكمه.

وله عباد منحهم نعما تتجدد عليهم، وأسبغ عليهم باطن العلم وظاهره، وأخمل ذكرهم.

* من ادعى العبودية، وله مراد باق فيه، فهو كاذب فى دعواه، إنما تصح العبودية لمن أفنى مراداته، وقام بمراد سيده، يكون اسمه ماسمى به، ونعته ما حلى به، إذا سمى باسم أجاب عن العبودية، فلا اسم له ولا وسم لا يجيب إلا لمن يدعوه بعبودية سيده.

ثم بكى وأنشأ يقول:

لا تدعنى إلا « بياعبدها»

فإنه أصدق أسمائى

* الفقراء الراضوان هم أمناء الله فى أرضه، وحجته على عباده، بهم يندفع البلاء عن الخلق.

* الفقير الذى لا يرجع إلى مستند فى الكون، غيرالالتجاء إلى منَّ إليه فقره، ليغنيه بالاستغناء به، كما عزه بالافتقار إليه.

* ما فطنت إلا هذه الطائفة، واحترقت بما فطنت.

أبو على الجوزجانى

ومنهم أبو على الحسن بن على الجـوزجانى، من كبار مشـايخ خراسان. له التصانيـف المشهورة، تكلم فى علوم الآفات والرياضات والمجاهدات، وربما تكلم أيضا فى شئ من علوم المعارف والحكم.

صحب محمد بن على الترمذى، ومحمد بن الفضل، وهو قريب السن منهم.

ومن كلامه:

* ثلاثة أشيـاء من عقد التوحـيد: الخوف والرجـاء والمحبة، فزيادة الخـوف من كثرة الذنوب لرؤية الوعـيد، وزيادة الرجاء من اكتـساب الخير لرؤية الوعد، وزيادة المحبـة من كثرة الذكر لرؤية المنة، فالخـائف لا يستريح من الهـرب، والراجى لا يستـريح من الطلب، والمحب لا يسـتريح من ذكـر المحبـوب. فالخـوف نار منورة، والرجاء نور منور، والمحبة نور الأنوار.

* وقال فى البخل: هو ثلاثة أحرف: الباء وهو البلاء، والخـاء وهو الخسران، واللام وهو اللوم، فالبخيل بلاء فى نفسه، وخاسر فى سعيه، وملوم فى بخله.

* السابقون هم المـقربون بالعطيات والمرتفعون فـى المقامات، وهم العلماء بالله من بين البـرية، عرفوا الله حق معـرفته، وعبـدوه بإخلاص العبـادة، وآووا إليه بالشوق والمحبـة، وهم الذين قال الله عز وجل فـيهم: «وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار».

* من علامات السعـادة على العبد تيسير الطاعة عليـه، وموافقته للسنَّة فى أعماله، وصحـبته لأهل الصلاح، وحسن خلقه مع الإخوان، وبذل معروفه للخلق، واهتمامه للمسلمين، ومراعاته لأوقاته.

* الشقى من أظهر ما كتم الله عليه من معاصيه.

* وسأله بعض أصحابه: كيف الطريق إلى الله؟ فقال: الطرق إليه كثيرة، وأصح الطرق وأعمرها وأبعدها عن الشبه اتبـاع السنَّة قولا وفعلا، وعزمـا وعقدا ونية، لأن الله تعالى يقـول: «وإن تطيعوه تهتدوا». فـسأله: كيف الطريق إلى اتباع السنَّة؟ فقال: مجانبة البدع، واتباع ما اجتمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام، والتباعد عن مجـالس الكلام وأهله، ولزوم طريق الاقتـداء والاتباع، بذلك أمـر النبى ﷺ بقوله عز وجـل: «ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا» الآية.

* وسئل عن أبى يزيد البسطامى وهذه الألفاظ التى تحكى عنه، فـقال: رحم الله أبا يزيد! إنه حاله وما نطق به،

ولعله تكلم بها على حد الغلبة أو حال سكر، كلامه له ولمن تكلم عليه، وليس لمن يحكى عنه فالزم أنت ياأخى أولا مجاهدة أبى يزيد، وتقطعه ومعاملاته، ولا نرتق إلى المقام الذى بلغ به بعد تلك المجاهدات، فإن بلغ بك إلى شئ من ذلك، فاحك إذ ذاك كلامه، فليس بعاقل من ضيع الأدنى من المقامات، وادعى الأعلى منها

* الخلق كلهم فى ميادين الغفلة يركضون، وعلى الظنون يعتمدون، وعندهم أنهم فى الحقيقة يتقلبون، وعن المكاشفة ينطقون.

محمد وأحمد ابنا أبى الورد

ومنهم محمد وأحمد ابنا أبى الورد، وهما من كبار مشايخ العراق وجلتهم، وكانا من جلساء الجنيد وأقرانه: صحبا سريا السقطى، وأبا الفتح الحمال، وحارثا المحاسبى، وبشرا الحافى، وطريقتهما فى الورع قريبة من طريقة بشر.

وأسند محمد الحديث:

عن على بن أبى طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا على، كُلْ الثوم نيا، فلولا أن الملك يأتينى لأكلته».

ومن كلامهما:

* محمد: فى ارتفاع الغفلة ارتفاع العبودية. ثم الغفلة غفلتان: غفلة رحمة، وغفلة نقمة، فأما التى هى رحمة فلو كشف الغطاء، وشهد القوم العظمة، ما انقطعوا عن العبودية ومراعاة السر، وأما التى هى نقمة فهى الغفلة التى تشغل العبد عن طاعة الله بمعصيته.

* أحمد: بسط بساط المجد للأولياء ليأنسوا به، وليرفع عنهم حشمة بديهة المشاهدة، وبساط الهيبة بسط للأعداء، ليستوحشوا من قبائح أفعالهم، فلا يشاهدون ما يَسْتَروحون منه إليه فى المشهد الأعلى.

* أحمد: وصل القوم بخمس: بلزوم الباب، وترك الخلاف، والنفاذ فى الخدمة، والصبر على المصائب، وصيانة الكرامات.

* وسئل محمد: من الولى؟ فقال: من يوالى أولياء الله، ويعادى أعداءه.

* محمد: من كانت نفسه لا تحب الدنيا فأهل الأرض يحبونه، ومن كان قلبه لا يحب الدنيا فأهل السماء يحبونه.

* أحمد : إذا زاد الله فى الولى ثلاثة أشياء زاد منه ثلاثة أشياء: إذا زاد جاهه زاد تواضعه، وإذا زاد ماله زاد سخاؤه، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده.

* سئل محمد عن قوله تعالى: «أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا» فقال: من ظن فى إساءته أنه محسن.

* أحمد: العالم كله فى حاشية من حواشى الملك، والملك فى ناحية.

* محمد: طرح الدنيا إلى من أقبل عليها، والإعراض عنها وعمن أقبل عليها من عمل الأكياس.

* محمد: من آداب الفقير فى فقره ترك الملامة، والتعبير لمن ابتلى بطلب الدنيا ،والرحمة والشفقة عليه والدعاء له، ليريحه الله من تعبه فيها.

* محمد: سمعت بشر بن الحارث يقول: رحلت إلى عيسى بن يونس على قدمى ماشيا، فأكرمنى وأدنانى، وقال لى: ما الذى أقدمك؟ قلت: أحببت لقاءك والنظر إليك. فبكى وقال: ياأخى! ومن أنا؟ وأى شئ أحسن أنا؟! ثم قال: معك شئ تسأل؟ فقلت حدثنى حديث عبد الله بن عراك بن مالك ،وحديث الحسن عن عائشة أم المؤمنين. فقال عيسى: نعم حدثنا عبد الله بن عراك بن مالك عن أبيه، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس على المسلم فى عبده ولا فى فرسه صدقة».

ثم قال عيسى: وحدثنا عمرو بن عبيد المحدث المذموم[1] عن الحسن عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله، هل على النساء جهاد؟ قال: «نعم جهاد بلا قتال: الحج والعمرة».

أبو عبد الله السجزى

ومنهم أبو عبد الله السجزى. صحب أبا حفص وهو من كبار مشايخ خراسان وفتيانهم، قطع البادية مرارا على التوكل.

ومن كلامه:

* من لم يقدس علمه لم يقدس فعله، ومن لم يقدس فعله لم يقدس بدنه، ومن لم يقدس بدنه لم يقدس قلبه، ومن لم يقدس قلبه لم يقدس نيته، والأمور كلها مبنية على النية.

* العبرة أن تجعل كل حاضر غائبا، والفكرة أن تجعل كل غائب حاضرا.

* ودخل عليه رجل فقال له: معى دينار أريد أن أدفعه إليك، فما ترى؟ قال: إن دفعته إلىّ فهو خير لك، وإن لم تدفعه إلىّ فهو خير لى، وأنت أبصر.

* علامة الأولياء ثلاثة: تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وإنصاف عن قوة .

* كل واعظ لا يقوم الغنى من مجلسه فقيرا، والفقير من مجلسه غنيا، فليس هو بواعظ .

* بئس العبد عبد عصى الله بقلبه وجوارحه ؛ واعتذر إليه بلسانه من غير رجوع عما سلف.

---

(١) كان مذموما لأنهم رموه بالكذب، وتركوا حديثه، مع أنه كان زاهدا.

* أنفع شئ للمريدين صحبة الصالحين، والاقتداء بهم فى أفعالهم وأخلاقهم وشمائلهم، وزيارة قبور الأولياء، والقيام بخدمة الأصحاب والرفقاء.

* لا تُعيِّر أحدا بذنب، حتى تتيقن أن ذنوبك مغفورة.

* وقيل له: لم لا تلبس المرقعة؟ فقال: من النفاق أن تلبس لباس الفتيان. ولا تدخل فى حمل أثقال الفتوة، إنما يلبس لباس الفتيان من يصبر على حمل أثقال الفتوة. فقيل له: ما الفتوة؟ قال: رؤية أعذار الخلق وتقصيرك، وتمامهم ونقصانك، والشفقة على الخلق كلهم: برِّهم وفاجرهم. وكمال الفتوة هو ألا يشغلك الخلق عن الله عزوجل.

الطبقة الثالثة

أبو محمد الجريرى

ومنهم أبو محمد الجريرى. يقال إن اسمه أحمد بن محمد بن الحسين، وكنية والده أبو الحسين، كذلك سمعت عبد الله بن على الطوسى يقول: سمعت أبا بكر محمد بن داود الدقى يذكر ذلك. وسمعت عبد الله ابن أحمد البغدادى يقول: سمعت أبا الحسن السيروانى يقول: اسم الجريرى الحسن بن محمد.

ويقال إن اسمه عبد الله بن يحيى، ولا يصح هذا.

وكان من كبار أصحاب الجنيد، وصحب أيضاً سهل بن عبد الله التسترى. وهو من علماء مشايخ القوم، أقعد بعد الجنيد فى مجلسه، لتمام حاله وصحة علمه.

مات سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. سمعت أبا الحسن بن مقسم يذكر ذلك ببغداد.

وأسند الحديث:

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبع مرات، أولاهن ـــ أو أخراهن ـــ بالتراب».

قال أحمد بن محمد بن شاكر: كان معنا فى المسجد إبراهيم بن أورمة الأصبهانى؛ فقال لنصر بن على: يا أبا عمرو! لا يحدث به ، فإنه ليس له أصل، فلا أدرى أحديث أم لا.

ومن كلامه:

* التسرع إلى استدراك علم الانقطاع وسيلة، والوقوف عند حد الانحسار نجاة، والليإذ بالمهرب من علم الدنو وصلة، واستفتاح فقد ترك الجراب ذخيرة، والاعتصام من قبول دواعى استماع الخطاب تلطف، وخوف فوت علم ما انطوى من فصاحة الفهم فى حين الإقبال مساءة، والإصغاء إلى تلقى ما يفضل من معدنه بعد، والاستسلام عند التلاقى جرأة، والانبساط فى محل الأنس غيرة.

* رأيت فى النوم كأن قائلا يقول لى: لكل شئ عند الله حق، وأن أعظم الحقوق عند الله حق الحكمة، فمن جعل الحكمة فى غير أهلها طالبه الله بحقها، ومن طالبه بحقها خصم [1].

* وسئل عن القراء، فقال: هو الذى طلب الآخرة، وسعى لها سعيها، وأعرض عن الدنيا والاشتغال بها.

* وقيل له: متى يسقط عن العبد ثقل المعاملة؟ فقال: هيهات! ما بد منها، ولكن يقع الحمل فيها.

---

(١) خصم: أى صار مغلوبا. يقال: خاصمته فخصمته أى غالبته فغلبته.

* أدل الأشياء على الله تعالى ثلاثة: ملكه الظاهر، ثم تدبيره فى ملكه، ثم كلامه الذى يستوفى كل شئ.

* من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حكم الشهوات، محصورا فى سجن الهوى، وحرم الله على قلبه الفوائد، فلا يستلذ كلامه ولا يستحليه، وإن كثر ترداده على لسانه، لأن الله تعالى يقول: «سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق» أى: حتى لا يفهموه ولا يجدوا له لذة، لأنهم تكبروا بأحوال النفس والخلق والدنيا، فصرف الله عن قلوبهم فهم مخاطباته، وأغلق عليهم سبيل فهم كتابه، وسلبهم الانتفاع بالمواعظ، وحبسهم فى عقولهم وآرائهم، فلا يعرفون طريق الحق، ولا يسلكون سبيله.

* قوام الأديان ودوام الإيمان وصلاح الأبدان فى خلال ثلاث: الاكتفاء والاتقاء والاحتماء. فمن اكتفى بالله صلحت سريرته، ومن اتقى ما نهى عنه استقامت سيرته، ومن احتمى مالم يوافقه ارتاضت طبيعته، فثمرة الاكتفاء صفو المعرفة، وعاقبة الاتقاء حسن الخليقة، وغاية الاحتماء اعتدال الطبيعة.

* غاية همة العوام السؤال، وبلوغ درجة الأوساط الدعاء، وهمة العارفين الذكر.

* من توهم أن عملا من أعماله يوصله إلى مأموله الأعلى والأدنى، فقد ضل عن طريقه، لأن النبى ﷺ قال: «لن ينجى أحدا منكم عمله». فما لا ينجى من المخوف كيف يبلغ المأمول؟ ومن صح اعتماده على فضل الله فذلك الذى يرجى له الوصول.

* ذكرك منوط بك إلى أن يتصل ذكرك بذكره، إذ ذاك يرفع ويخلص من العلل، فما قارن حدث قدَما إلا تلاشى وبقى الأصل، وذهبت الفروع كأن لم تكن.

* رؤية الأصول باستعمال الفروع، وتصحيح الفروع بمعارضة الأصول، ولا سبيل إلى مقام مشاهدة الأصول إلا بتعظيم ما عظم الله من الوسائط والفروع.

* الرجاء طريق الزهاد، والخوف سلوك الأبطال.

* وقال له رجل: كنت على بساط الأنس، وفتح لى طريق إلى البسط، فزللت زلة، فحجبت عن مقامى، فكيف السبيل إليه؟ دِلَّنى على الوصول إلى ما كنت عليه.. فبكى أبو محمد وقال: يا أخى: الكل فى قهر هذه الخطة، لكنى أنشدك أبياتا لبعضهم فيها جواب مسألتك:

قف بالديار، فهذه آثارهم
تبكى الأحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل مخبرا
عن أهلها، أو صادقا، أو مشفقا
فأجابنى داعى الهوى فى رسمها
فارقت من تهوى فعز الملتقى!

أبو العباس بن عطاء الأدمى

ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمى، من ظراف مشايخ الصوفية وعلمائهم، له لسان فى فهم القرآن يختص به. صحب إبراهيم المارستانى، والجنيد بن محمد، ومن فوقهما من المشايخ. كان أبو سعيد الخراز يعظم شأنه.

سمعت أبا الحسن أحمد بن محمد بن مقسم المقرىء يقول: سمعت مروان النهاوندى يقول: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: «التصوف خلق وليس إنابة، وما رأيت من أهله إلا الجنيد وابن عطاء».

مات سنة تسع وثلاثمائة، أو إحدى عشرة وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن أبى واقد الليثى قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة، والناس يجبون أسنمة الإبل، ويقطعون إليات الغنم، فقال ﷺ : «ما قطع من البهيمة وهى حية فهو ميتة».

ومن كلامه:

* سئل: ما المروءة؟ فقال: ألا تستكثر لله عملا.

* فى البيت مقام إبراهيم، وفى القلب آثار الله تعالى، وللبيت أركان، وللقلب أركان، وأركان البيت من الصخر، وأركان القلب معادن أنوار المعرفة.

* خلق الله الأنبياء للمشاهدة، لقوله تعالى: «أو ألقى السمع وهو شهيد»، وخلق الأولياء للمجاورة، لقوله ﷺ: «عن جارك»، وخلق الصالحين للملازمة، قال الله تعالى: «وألزمهم كلمة التقوى»، وخلق العوام للمجاهدة، قال الله تعالى: «والذين جاهدوا فينا».

* من ألزم نفسه آداب السنَّة نور الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب ﷺ، فى أوامره وأفعاله وأخلاقه، والتأدب بآدابه قولا وفعلا، وعزما وعقدا ونية.

* العلم الأكبر الهيبة والحياء، فمن عرى منهما عرى عن الخيرات.

* ثلاثة مقرونة بثلاثة: الفتنة مقرونة بالمنية، والمحبة مقرونة بالاختيار، والبلوى مقرونة بالدعوى.

* وسئل: إلام تسكن قلوب العارفين؟ فقال: إلى قوله تعالى: «بسم الله الرحمن الرحيم» لأن فى «بسم

الله» هيبته، وفى اسمه «الرحمن» عونه ونصرته، وفى اسمه «الرحيم» محبته ومودته. ثم قال: سبحان من فرق بين هذه المعانى فى لطافتها، فى هذه الأسامى فى غوامضها، وأنشد:

إذا ما وجود الناس فات علومهم

فعلمى لوجدى صاحب وقرين

وقال:

أسامى بنفسى ذلة واستكانة

إلى الخلة العلياء من جانب الكبر

إذا ما أتانى الذل من جانب الغنى

سموت إلى العلياء من جانب الفقر

* من عامل الله تعالى على رؤية ما سبق منه إليه، لم يكن بعجيب أن يمشى على الماء أو فى الهواء، وكل أمر الله عجب، وليس شىء منه بعجب.

* الإنصاف فيما بين الله وبين العبد فى ثلاثة: فى الاستعانة، والجهد، والأدب. فمن العبد الاستعانة ومن الله القربة، ومن العبد الجهد ومن الله التوفيق، ومن العبد الأدب ومن الله الكرامة.

* من تأدب بآداب الصالحين فإنه يصلح لبساط الكرامة، ومن تأدب بآداب الأولياء فإنه يصلح لبساط القربة، ومن تأدب بآداب الصديقين فإنه يصلح لبساط المشاهدة، ومن تأدب بآداب الأنبياء فإنه يصلح لبساط الأنس والانبساط.

* وأنشد لابن الرومى:

غموض الحق حين يذبُّ عنه

يقلل ناصر الخصم المحق

تضل عن الدقيق فهوم قوم

فتقضى للمجِل على المدق

وأنشد:

ذكرك لى مؤنس يعارضنى

يوعدنى عنك منك بالظفر

فكيف أنساك، يامدى هممى

وأنت منى بموضع النظر؟

* لما عصى آدم بكى عليه كل شىء فى الجنة، إلا الذهب والفضة، فأوحى الله تعالى إليهما: لم تبكيا على آدم؟ فقالا: ما كنا نبكى على من يعصيك. فقال عز وجل: وعزتى وجلالى لأجعلن قيمة كل شىء بكما، ولأجعلن ابن آدم خادما لكما.

* وأنشد:

إذا صد من أهوى صددت عن الصد

وإن حال عن عهدى أقمت على العهد

فما الوجد إلا أن تذوب من الوجد

وتصبح فى جهد يزيد على الجهد

* وأنشد:

أجلك أن أشكو الهوى منك، إننى

أجلك أن تومى إليك الأصابع

وأصرف طرفى نحو غيرك عامدا

على أنه بالرغم نحوك راجع

* إن الشفقة لم تزل بالمؤمن حتى أوفدته على خير أحواله، وإن الغفلة لم تزل بالفاجر حتى أوفدته على شر أحواله.

* أعظم الغفلة غفلة العبد عن ربه، وغفلته عن أوامره، وغفلته عن آداب معاملته.

* أصح العقول عقل وافق التوفيق، وشر الطاعات طاعة أورثت عجبا، وخير الذنوب ذنب أورث توبة وندما.

* السكون إلى مألوفات الطبائع يقطع بصاحبها عن بلوغ درجات التحقيق.

* من وحشة القلوب عن مصادر الحق أُنْسها بالأجناس، ومن أنس قلبه بالله استوحش مما سواه.

* أُدْنُ قلبك من مجالسة الذاكرين، لعله يتنبه عن غفلته، وأقم شخصك فى خدمة الصالحين، لعله يتعود ببركتها طاعة رب العالمين.

* السكون إلى الأسباب اغترار، والوقوف مع الأحوال يقطع بك عن محولها.

محفوظ بن محمود النيسابورى

ومنهم محفوظ بن محمود، من أصحاب أبى حفص النيسابورى، وهو من قدماء مشايخ نيسابور وجلتهم، وكان - بعد موت أبى حفص - يصحب أبا عثمان، ويلازمه طول عمره ، وكان من أورع المشايخ، وألزمهم لطريقتهم، وكان قد صحب أيضا حمدونا القصار، وسلما الباروسى، وعليا النصر اباذى، وغيرهم من المشايخ.

مات سنة ثلاث - أو أربع - وثلاثمائة بنيسابور، ودفن بجانب أبى حفص.

ومن كلامه:

* التوكل أن تأكل بلا طمع ولا شره.

* التائب الذى يتوب من غفلاته وطاعاته.

* لا تزن الخلق بميزانك، وزن نفسك بميزان المؤمنين، لتعلم فضلهم وإفلاسك.

* من ظن بمسلم فتنة فهو المفتون.

* أكثر الناس خيرا أسلمهم صدرا للمسلمين.

* وسئل عن دعاء النبى ﷺ: (أعوذ بك منك) فقال: سمعت أبا صالح حمدونا يقول: لا يجوز هذا الدعاء إلا للنبى ﷺ ، أو من دعا به متبعا له.

* من أبصر محاسن نفسه ابتلى بمساوىء الناس، ومن رأى عيب نفسه سلم من رؤية مساوىء الناس.

* صحح عملك بالإخلاص، وصحح إخلاصك بالتبرى من الحول والقوة.

* من أراد أن يبصر طريق رشده فليتهم نفسه فى الموافقات فضلا عن المخالفات.

طاهر المقدسى

ومنهم طاهر المقدسى، وهو من جلة مشايخ الشام وقدمائهم. رأى ذا النون المصرى، وصحب يحيى الجلاء، وكان عالما، وهو الذى يسميه الشبلى: «حبر أهل الشام».

ومن كلامه:

* سئل: لم سميت الصوفية بهذا الاسم؟ فقال: لاستتارها عن الخلق بلوائح الوجد، وانكشافها بشمائل القصد.

* حد المعرفة التجرد من النفوس وتدبيرها، فيما يجل أو يصغر.

* لا يطيب العيش إلا لمن وطىء بساط الأنس، وعلا على سرير القدس، وغيبه الأنس بالقدس، والقدس بالأنس، ثم غاب عن مشاهدتهما بمطالعة القدوس.

* وأنشد لبعضهم:

أراعى النجوم، ولا علم لى
بعـد النجـوم بجنب الظلام

وكيف ينام فـتى لا ينـام
إذا نـام عنـه عيون الحمام!؟

أسـير يسـير إلـيه هـواه
فيضحى الأسير قتيل الغرام

فلـم يبق منـه سـوى أنـه
يقـال لـه عـاشـق والسـلام

لفرط النحول وحر الغليل
وحـزن مذيب لطول السقام

* المفاوز عنه منقطعة، والطرق إليـه منطمسة: نوق من علالاته، واحذر أماكن الاتصـال فإنها خدع، وقف حيث وقف العوام تسلم. وأنشد:

وكذّبت طرفى فيك والطرف صادق
وأسمعت أذنى منك ما ليس تسمع

ولـم أسكن الأرض التى تسكنونهـا
لكـيلا يقـولـوا أننـى بـك مـولـع

فلا كبدى تهـدا، ولا لـك رحـمة
ولا عنك إقصار، ولا فيك مطمـع!

أبو عمْرو الدمشقى

ومنهم أبو عمرو الدمشقى، وهو من أجل مشايخ الشـام، بل واجدها، عالم بعلوم الحقائق. صحب أبا عبد الله بن الجـلاء، وأصـحـاب ذى النون المصـرى، وهو من أفـتى المشـايخ. رد عـلى من تكلم فى قـدم الأرواح والشواهد.

مات سنة عشرين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* كما فـرض الله على الأنبياء إظهار الآيات والمـعجزات ليؤمنوا بهـا، كذلك فرض على الأولياء كـتمان

الأسرار حتى لا يفتتن الخلق بها.

* خواص خصال العارفين أربعة أشياء: السياسة والرياضة والحراسة والرعاية. فالسياسة والرياضة ظاهران، والحراسة والرعاية باطنان، فبالسياسة يصل العبد إلى التطهير، وبالرياضة يصل إلى التحقيق، والسياسة حفظ النفس ومعرفتها، والرياضة مخالفة النفس ومعاداتها، والحراسة معاينة بر الله فى الضمائر، والرعاية مراعاة حقوق المولى بالسرائر، وميراث السياسة القيام على وفاء العبودية، وميراث الرياضة الرضا عند الحكم، وميراث الحراسة الصفوة والمشاهدة، وميراث الرعاية المحبة والهيبة، ثم الوفاء متصل بالصفاء، والرضا متصل بالمحبة، علمه من علمه، وجهله من جهله.

* التصوف رؤية الكون بعين النقص، بل غض الطرف عن كل ناقص ليشاهد من هو منزه عن كل نقص.

* وسئل عن حديث النبى ﷺ: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته» فقال: أشار إلى استواء الحال، أى لا ترجعوا عن الحق بإفطار، ولا تقبلوا عليه بصوم، ليكن صومكم كإفطاركم، وإفطاركم كصومكم، عند دوام حضوركم.

* مقام الخطرات بعيد من مقام الوطنات، لأن الخواطر تلمع ثم تختفى، والوطنات تبدو وتثبت ثم تتحقق، والدعاوى تتولد من الخواطر ، فإن المدعى يظن أن ما لاح ثبت، ولا دعوى لصاحب الوطنات مجال.

* حقيقة الخوف ألا تخاف مع الله أحدا.

* علامة قساوة القلب أن يكل الله العبد إلى تدبيره فيألفه، ولا يسأله حسن الكلاءة والرعاية، والنبى ﷺ يقول:

«اكلأنى كلاءة الطفل الوليد».

* استحسان الكون - على العموم - دليل على صحة المحبة، واستحسانه - على الخصوص - يؤدى إلى فتن وظلمات.

* الأشخاص بظلمها كامنة، والأرواح بأنوارها مشرقة، فمن طالع الأشخاص بظلمها أظلم عليه وقته، ومن شاهد الأرواح بأنوارها دلّته على منورها.

* إذا صفت الأرواح أثر على الهياكل أنوار الموافقات.

أبو بكر بن حامد الترمذى

ومنهم أبو بكر محمد بن حامد بن محمد بن إسماعيل بن خالد، وهو من أعيان مشايخ خراسان،

وأطهرهم خلقا، وأحسنهم سياسة.

لقى المشايخ ببلخ، مثل أحمد بن خضرويه ومن دونه، وله أصحاب ينتمون إليه.

وكان ابنه أبو نصر محمد بن محمد بن حامد أحد فتيان خراسان.

وأسند أبو بكر الحديث:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف الله أخاف منه كل شىء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شىء».

والحديث: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب الحلال جهاد، وإن الله يحب المؤمن المحترف[1]».

ومن كلامه:

* الفكرة على خمسة أوجه: فكرة فى آيات الله وعلاماته يتولد منها المعرفة، وفكرة فى آلاء الله ونعمائه يتولد منها المحبة، وفكرة فى وعد الله وثوابه يتولد منها الرغبة فى الطاعة والموافقة، وفكرة فى وعيد الله وعقابه يتولد منها الرهبة من المخالفة، وفكرة فى جفاء النفس فى جنب إحسان الله إليها، يتولد منها الفكرة فيما سلف، والحياء من الله تعالى ذكره.

* إذا تمكنت الأنوار فى السر نطقت الجوارح بالبر.

* وسئل عن قوله تعالى: «يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد» فقال: أنتم فقراء إلى رحمته، وهو غنى عن أفعالكم، وأنتم محتاجون إلى رحمته.

* لم يجد أحد تمام الهمة بأوصافها إلا أهل المحبة، وإنما وجدوا ذلك من اتباع السنّة ومجانبة البدعة، فإن رسول الله كان أعلى الخلق همة، وأقربهم زلفة.

* إنكار ولاية الأولياء فى قلوب الجهال من ضيق صدورهم عن المصادر، وبعد علومهم عن موارد القدرة.

* الولى فى ستر حاله أبدا، والكون كله ناطق عن ولايته، والمدعى ناطق به، والكون كله ينكر عليه.

* أقرب القلوب إلى الله قلب رضى بصحبة الفقراء، وآثر الباقى على الفانى، وشهد سوابق القضاء فأيس من أفعاله.

* ما عجزت عن شىء فلا تعجز عن رؤية ضعفك.

---

(١) الحديث ضعيف.

* الاستهانة بالأولياء من قلة المعرفة بالله تعالى.

* إذا أوصلك الله إلى مقام، ومنعك حرمة أهله، والالتذاذ بما أوصلك إليه، فاعلم أنك مغرور مستدرج.

* العلماء بالله هم الواقفون معه على حدود الآداب، لا يتجاوزونها إلا بإذن.

* ما استصغرت أحداً من المسلمين إلا وجدت نقصا فى إيمانى ومعرفتى.

* من لم ترضه أوامر المشايخ وتأديبهم فإنه لا يتأدب بكتاب ولا سنَّة.

* الطريق واضح، والدليل عالم، والزاد تام، والمركب قوى، ولكن منع القوم من الوصول الاستدلال بغير الدليل، والركض فى الطريق على حد الشهوة، وأخذ الزاد من غير وجهه، وإضعاف المركب بقلة تعهده.

* إذا سلم لك وقت من أوقاتك عن الغفلة فغر[1] على ذلك الوقت أن تتبعه بما يخالفه، فإن مخالفة الأوقات على المرور من اعوجاج الباطن.

* رأس مالك قلبك ووقتك، وقد شغلت قلبك بهواجس الظنون، وضيعت أوقاتك بارتكاب مالا يعنيك، فمتى يربح من خسر رأس ماله؟!

* أسوأ الناس خلقا من لا يعيش بعيشة أهل صحبته، ومن لا يظهر صديقه من عدوه.

* الإنسان فى خلقه أحسن منه فى جديد غيره.

أبو إسحاق إبراهيم الخواص

ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص. وهو أحد من سلك طريق التوكل، وكان أوحد المشايخ فى وقته، ومن أقران الجنيد والنورى له فى السياحات والرياضات مقامات يطول شرحها.

سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول: «مرض إبراهيم الخواص بالرى فى المسجد الجامع، وكان به علة القيام، وكان إذا قام يدخل الماء ويغتسل، ويعود إلى المسجد ويركع ركعتين، فدخل الماء مرة ليغتسل فخرجت روحه وهو فى وسط الماء».

مات سنة إحدى وتسعين ومائتين، إن صح. وتولى أمره فى غسله ودفنه يوسف بن الحسين.

ومن كلامه:

* من لم يصبر لم يظفر.

* من لم تبك الدنيا عليه لم تضحك الآخرة إليه.

* قال جعفر بن محمد: بت ليلة مع إبراهيم، فانتبهت فإذا هو يناجى إلى الصباح ويقول:

---

(١) أى كن ذا غيرة عليه.

برح الخفاء وفى التلاقى راحة.

هـل يشتفى خـل بغيـر خليله؟

* ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العالم من اتبع العلم واستعمله، واقتدى بالسنن، وإن كان قليل العلم.

* وسـئل عن الورع، فقـال: ألا يتكلم العـبد إلا بالحق، غـضب أم رضى، ويكون اهتـمامـه بما يرضى الله تعالى.

* العلم كله فى كلمتين: لا تتكلف ما كفيت، ولا تضيع ما استكفيت.

* المتاجر برأس مال غيره مفلس.

* ليكن لك قلب ساكن، وكف فارغة، وتذهب النفس حيث شاءت.

* رأيت شيخا من أهل المعرفة عـرج بعد سبعة عشر يوما على سبب فى البرية، فنهـاه شيخ كان معه، فأبى أن يقبل، فسقط ولم يرتفع عن حدود الأسباب.

* دواء القلب خمـسة أشـياء: قراءة القـرآن بالتدبر، وخلاء الـبطن، وقيام الليل، والتـضرع عند السـحر، ومجالسة الصالحين.

* على قدر إعزاز المؤمن لأمر الله يلبسه الله من عـزه، ويقيم له العز فى قلوب المؤمنين، وذلك قوله تعالى: «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين».

* عقـوبة القلب أشد العقـوبات، ومقامـها أعلى المقامـات، وكرامتهـا أفضل الكرامات، وذكـرها أشرف الأذكار، وبذكرها تستجلب الأنوار، وعليها وقع الخطاب، وهو المخصوص بالتنبيه والعتاب.

* اختـار من اختار من عـباده لا لسـابقة لهم إليه، بل لإرادة لـه فيهم، ثم علم مـا يخرج منهم، ومـا يبدو عليهم، فـقال عز وجل: «اخـترناهم على علم»، أى منا بما فـيهم من أنواع المخـالفات، لأن من اشتـرى سلعة يعلم عيوبها لا يردها.

عبد الله بن محمد الخراز الرازى

ومنهم أبو محمد عبـد الله بن محمد الخراز، من كبار مشايخ الرازيين، جـاور بالحرم سنين كثيرة، وهو من الورعين، القائلين بالحق، والطالبين قوتهم من وجه حلال.

صحب أبا عـمران الكبـير، ولقى أبا حـفص النيسـابورى، وأصحاب أبى زيد، وكـانوا جمـيعا يعـظمونه ويعظمون شأنه.

حُكى عن أبى حفص أنه قال: «نشأ بالرى فتى إن بقى على طريقته وسمته صار أحد الرجال».

مات قبل العشر وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* قال محمد بن داود الدينورى المعروف بالدقى: «دخلتُ على عبد الله الخراز، ولى أربعة أيام لم آكل فقال: يجوع أحدكم أياما، فيصبح ينادى عليه الجوع، ثم قال: أى شىء يكون لو أن كل نفس منفوسة[1] تلفت فيما تؤمله من الله! أترى يكون ذلك كثيرا؟

* الجوع طعام الزاهدين، والذكر طعام العارفين.

* العبودية ظاهرا، والحرية باطنا، من أخلاق الكرام.

* من تكرم عن الشغل بالدنيا اشتغل بما هو مأمور به.

* العبارة يعرفها العلماء، والإشارة يعرفها الحكماء، واللطائف يقف عليها السادة من الشيوخ.

* الهمم تختلف فى الدارين، وليس من همته فى المشهد الأعلى الحور والقصور، والاشتغال بنعيم الجنان وزخرفها، كمن همته مجالسة مولاه، والنظر إلى وجهه الكريم.

* وسئل عن علامة الصبر، فقال: ترك الشكوى، وإخفاء الضر والبلوى.

* العبد هو العاجز عن درك منيته إلا من جهة سيده.

* صيانة الأسرار عن الالتفات إلى الأغيار من علامات الإقبال على الله تعالى.

* أحسن العبيد حالا من أبصر نعم الله عليه، بأن أهله لمعرفته، وأذن له فى قربه، وأباح له سبيل مناجاته، وخاطبه على لسان أعز السفراء محمد ﷺ، وعرف تقصيره عن القيام بمواجب أداء شكره، إذ شكره يستوجب شكرا إلى ما لا نهاية.

وأخس العبيد عبد عد تسبيحه وصلاته، وظن أنه يستحق بها على ربه شيئا، فلولا الفضل والرحمة لعاينت الأنبياء عليهم السلام فى مقام الإفلاس، كيف وأجلهم حالا وأقربهم منزلة، والقائم بمقام الصدق حيث عجز عنه الرسل، يقول: «ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته»[2]، فمن رأى بعد هذا لنفسه مقاما فهو لبعده عن طريق المعارف.

بنان بن محمد الحمال

ومنهم أبو الحسن بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد الحمال، واسطى الأصل، سكن مصر وأقام بها. وهو من جلة المشايخ، والقائلين بالحق، والآمرين بالمعروف، له المقامات المشهورة والآيات المذكورة.

---

(١) المصابة بالعين.

(٢) الحديث بتمامه: «لن ينجى أحدا منكم عمله. قالوا: ولا أنت يارسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته، سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشىء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا».

صحب أبا القاسم الجنيد بن محمد وغيره من مشايخ وقته، وكان أستاذ أبى الحسين النورى.

مات بمصر فى شهر رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن عبد الرحمن بن شبل قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «إن الفجار هم أصحاب النار. قالوا: يارسول الله، من هم؟ قال: النساء. قالوا: يا رسول الله، أليسوا أمهاتنا وأخواتنا وأزواجنا؟. قال: بلى، ولكنهم إذا أعطوا لم يشكروا، وإذا ابتلوا لم يصبروا».

ومن كلامه:

* إن الله تعالى خلق سبع سموات، فى كل سماء له خلق وجنود، وكل له مطيعون، وطاعتهم على سبع مقامات: فطاعة أهل السماء الدنيا على الخوف والرجاء، وطاعة أهل السماء الثانية على الحب والحزن، وطاعة أهل السماء الثالثة على المنة والحياء، وطاعة أهل السماء الرابعة على الشوق والهيبة، وطاعة أهل السماء الخامسة على المناجاة والإجلال، وطاعة أهل السماء السادسة على الإنابة والتعظيم، وطاعة أهل السماء السابعة على المنة والقربة.

* من كان يسره ما يضره متى يفلح؟

* إن أفردته بالربوبية أفردك بالعناية، والأمر بيدك: إن نصحت صافوك، وإن خلطت جافوك.

* وسئل عن أجل أحوال الصوفية، فقال: الثقة بالمضمون، والقيام بالأوامر، ومراعاة السر، والتخلى عن الكونين بالتشبث بالحق.

* من ألبس ذل العجز فقد مات من شاهده، ومن ألبس عز الاقتدار فقد حى بشاهده، وجعل سببا لحياة الهياكل، فهذا هو الفرق بين النفس والروح.

* رؤية الأسباب على الدوام قاطعة عن مشاهدة المسبب، والإعراض عن الأسباب جملة يؤدى بصاحبه إلى ركوب البواطل.

* ليس بمستحق فى الحب من راقب أوقاته، أو تحمل فى كتمان حبه حتى ينتهك فيه، فيفتضح ويخلع العذار، ولا يبالى عما يرد عليه من جهة محبوبه أو بسببه، ويتلذذ بالبلاء فى الحبّ، كما يتلذذ الأغيار بأسباب النعم، وأنشد على أثره:

لحانـي العاذلـون، فقلت: مهلا

فإنى لا أرى فى الحب عارا

وقالوا: قد خلعت، فقلت: لسنا

بـأول خالـع خلـع العذارا

أبو حمزة البغدادى البزّاز

ومنهم أبو حمزة البغدادى البزاز، صحب السرى بن المغلس السقطى، وبشرا الحافى.

كان يتكلم ببغداد فى مسجد الرصافة قبل كلامه فى مسجد المدينة، وكان ينتمى إلى حسن المسوحى، وكان عالما بالقراءات.

وتكلم يوما فى جامع المدينة، فتغير عليه حاله، وسقط عن كرسيه، ومات الجمعة الثانية، ومات قبل الجنيد.

وكان من رفقاء أبى تراب النخشبى فى أسفاره، وهو من أولاد عيسى بن أبان. وكان أحمد بن حنبل إذا جرى فى مجلسه شىء من كلام القوم يقول لأبى حمزة :«ما تقول فيها يا صوفى»؟

ودخل البصرة مرارا، توفى سنة تسع وثمانين ومائتين.

ومن كلامه:

* من المحال أن تحبه ثم لا تذكره، ومن المحال أن تذكره ثم لا يوجدك طعم ذكره، ومن المحال أن يوجدك طعم ذكره ثم يشغلك بغيره.

* قال أبو إسحاق بن الأعمش: قال رجل لى: «سألت أبا حمزة فقلت: أسأل؟ فقال: سل. فقلت: لم أسأل؟. فقال: لأنك تسأل أن تسأل.

* خرجت من بلاد الروم فوقفت على راهب، فقلت له: عندك من خبر من قد مضى؟ قال: نعم! «فريق فى الجنة وفريق فى السعير».

* استراح من أسقط من قلبه محبة الدنيا، وإذا خلا القلب من محبة الدنيا دخله الزهد، وإذا دخله الزهد أورثه ذلك التوكل.

* من رزق ثلاثة أشياء مع ثلاثة أشياء فقد نجا من الآفات: بطن خال مع قلب قانع، وفقر دائم مع زهد حاضر، وصبر كامل مع ذكر دائم.

* وقال الجنيد: «وافى أبو حمزة من مكة وعليه وعثاء السفر، فسلمت عليه وشهيته، فقال: سكباج وعصيدة تخلينى بهما، فأخذت مكوك دقيق وعشرة أرطال لحم وباذنجان وخلاً وعشرة أرطال دبس، وصنعنا له عصيدة وسكباجة، ووضعناها فى حير لنا، وأسبلت الستر، فدخل وأكله كله، فلما فرغ دخلت عليه، وقد

أتى على كله، فقال لى: يا أبا القاسم! لا تعجب فهذا من مكة الأكلة الثالثة»[1]

* ليس السخاء أن يعطى الواجد المعدم، إنما السخاء أن يعطى المعدم الواجد.

* حب الفقر شديد، ولا يصبر عليه إلا صديق.

* إذا فتح الله عليك طريقا من طرق الخير فالزمه، وإياك أن تنظر إليه وتفتخر به، ولكن اشتغل بشكر من وفقك لذلك، فإن نظرك إليه يسقطك عن مقامك، واشتغالك بالشكر يوجب لك منه المزيد، لأن الله تعالى يقول: «لئن شكرتم لأزيدنكم».

* من علم طريق الحق سهل عليه سلوكها، وهو الذى علمها بتعليم الله إياه، ومن علمها بالاستدلال فمرة يخطىء ومرة يصيب، ومن تبع فيه أثر الدليل الصادق الناصح بلغ عن قريب إلى مقصده. ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول ﷺ فى أحواله وأفعاله وأقواله.

* إذا سلمت منك نفسك فقد أديت حقها، وإذا سلم منك الخلق فقد أديت حقوقهم.

أبو الحسين الوراق النيسابورى

ومنهم أبو الحسين محمد بن سعد الوراق، وهو من كبار مشايخ نيسابور، ومن قدماء أصحاب أبى عثمان، وله كلام على سنن كلام أبى عثمان. وكان عالما بعلوم الظاهر، ويتكلم فى دقائق علوم المعاملات وعيوب الأفعال.

مات قبل العشرين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* الكرم فى العفو ألا تذكر جناية صاحبك بعد أن عفوت عنه.

* اللئيم لا يوفق للعفو من ضيق صدره.

* حياة القلب فى ذكرى الحى الذى لا يموت، والعيش الهنىء مع الله لا غير.

* لا يصل العبد إلى الله إلا بالله، وبموافقة حبيبه ﷺ فى شرائعه، ومن جعل الطريق إلى الوصول فى غير الاقتداء يضل من حيث يظن أنه مهتد، ومن وصل اتصل، وما رجع من رجع من الطريق الا من الإشفاق على النفس وطلب الراحة، لأن الطريق إلى الله صعب لمن لم يدخل فيه بوجد غالب وشوق مزعج، فيهون عليه إذ ذاك حمل الأثقال، وركوب الأهوال، فإذا انقادت له النفس على ذلك، وهان عليه ما يلقى فى طلب المحبوب سهل الله عليه سبيل الوصول.

---

(١) السكباج: مرق يعمل من اللحم والخل، وربما جعل فيه زعفران. والمكوك: مكيال نصف رطل إلى ثمانى أواقى. والدبس: عسل التمر. والحير: البستان.

* أجل شيء يفتح الله تعالى به على عبده التقوى. فإن منه يتشعب جميع الخيرات، وأسباب القربة والتقرب، وأصل التقوى والإخلاص، وحقيقته التخلى عن كل شيء إلا ممن إليه تقواك.

* الصدق استقامة الطريق فى الدين، واتباع السنَّة فى الشرع.

* الشهوة أغلب سلطان على النفس، ولا يزيلها إلا الخوف المزعج.

* اليقين ثمرة التوحيد، فمن صفا فى التوحيد صفا له اليقين.

* من لم يفن عن نفسه وسره ورؤية الخلق لا يحيا سره لمشاهدة الخيرات والمنن.

* مخافة خوف القطيعة أذبلت نفوس المحبين، وأحرقت أكباد العارفين، وأسهرت ليل العابدين، وأظمأت نهار الزاهدين، وأكثرت بكاء التائبين، ونغصت حياة الخائفين.

* التوكل استواء الحال عند العدم والوجود، وسكون النفس عند مجارى المقدور.

* علامة محبة الله تعالى متابعة حبيبه ﷺ .

* أصل الفتوة خمس خصال: أولها الحفاظ، والثانى الوفاء، والثالث الشكر، والرابع الصبر، والخامس الرضا.

* فى رؤية النفس نسيان منن الله تعالى عليك.

* أنفع العلم العلم بأمر الله ونهيه، ووعده ووعيده، وثوابه وعقابه، وأعلى العلوم العلم بالله وصفاته وأسمائه.

* الأنس بالخلق وحشة، والطمأنينة إليهم حمق، والسكون إليهم عجز، والاعتماد عليهم وهن، والثقة بهم ضياع، وإذا أراد الله بعبد خيرا جعل أنسه به وبذكره وتوكله عليه، وصان سره عن النظر إليهم، وظاهره عن الاعتماد عليهم.

* من غض بصره عن محرم أورثه الله تعالى بذلك حكمة على لسانه، ينتفع بها سامعوه، ومن غض بصره عن شبهة نَوَّر الله قلبه بنور يهتدى به إلى طرق مرضاته.

* من أسكن نفسه محبة شيء من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع، ومن طمع فى شيء ذل، وبذُلّه هلك وقديما قيل:

أتطمع فى ليلى، وتعلم إنما
يقطع أعناق الرجال المطامع؟

* لا يصل العبد إلى شيء من التقوى وعليه بقية من الزهد والورع، والتقوى مقرونة بالراحة. قال الله تعالى: «ومن يتق الله يجعل له مخرجا».

أبو بكر الواسطى

ومنهم أبو بكر محمد بن موسى الواسطى، وأصله من فرغانة، وكان يعرف بابن الفرغانى من قدماء أصحاب الجنيد، وأبى الحسين النورى، وهو من علماء مشايخ القوم. لم يتكلم أحد فى أصول التصوف مثل ما تكلم هو، وكان عالما بالأصول وعلوم الظاهر.

دخل خراسان، واستوطن كورة مرو، وكلامه عندهم. ولم أر بالعراق من كلامه شيئا، وذلك أنه خرج من العراق وهو شاب ومشايخه فى الأحياء، فتكلم بخراسان بأبيورد ومرو، وأكثر كلامه بمرو.

مات بمرو بعد العشرين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* شاهده بمشاهدة الحق إياك، ولا تشهده بمشاهدتك له.

* ابتلينا بزمان ليس فيه آداب الإسلام، ولا أخلاق الجاهلية، ولا أحلام ذوى المروءة.

* الأسراء على وجوه: أسير نفسه وشهوته، وأسير شيطانه وهواه، وأسير مالا معنى له: لفظه أو لحظه، هم الفساق. وما دام للشواهد على الأسرار أثر، وللإعراض على القلب خطر فهو محجوب بعيد عن عين الحقيقة، وما تورع المتورعون ولا تزهد المتزهدون إلا لعظم الإعراض فى أسرارهم، فمن أعرض عنها أدبا أو تورع عنها ظرفا، فذلك الصادق فى ورعه والحكيم فى أدبه.

* أفقر الفقراء من ستر الحق حقيقة حقه عنه.

* الحب يوجب شوقا، والشوق يوجب أنسا، فمن فقد الشوق والأنس فليعلم أنه غير محب.

* كيف يرى الفضل فضلا من لايأمن أن يكون ذلك مكرا؟.

* الموحد لايرى إلا ربوبية صرفا، تولت عبودية محضا، وفيه معالجة الأقدار، ومغالبة القسمة.

* الخوف والرجاء زمامان يمنعان من سوء الأدب

* الخوف حجاب بين العبد وبين الله تعالى، والخوف هو الإياس، والرجاء هو الطمع. فإن خفته بخلته، وإن رجوته اتهمته.

* من حال به الحال كان مصروفا عن التوحيد، ومن انقطع به انقطع، ومن وصل به وصل. وفى الحقيقة لافصل ولاوصل، ولذلك قيل:

ولاعن قلى كان القطيعة بيننا

ولكـنه دهـر يشـت ويجمـع

* كائنات محتومة، بأسباب معروفة، وأوقات معلومة، اعتراض السريرة لها رعونة.

* الرضا والسخط نعتـان من نعوت الحق، يجريان عـلى الأبد بما جريا فى الأزل، يظهران الـوسمين على المقبولين والمطرودين، فقد بانت شواهد المقبولين بضيـائها عليهم، كما بانت شواهد المطرودين بظلمها عليهم، فأنى تنفع مع ذلك الألوان المصفرة، والأكمام المقصرة، والأقدام المنتفخة؟

* التعرض للحق والسبيل إليه تعرض للبلاء، ومن تعرض للبلاء لا يسلم منه، ومن أراد السلامة فليتباعد من مراتع الأهوال. وأنشد:

ذرينى تجئنى ميتتى مطمئنة

ولـم أتجشم هـول تلك المـوارد

فإن عليات الأمور مشوبـة

بمستودعات فى بطون الأساود

* الوقاية للأشباح، والرعاية للأرواح.

* الوقت أقل من ساعة، فما أصابك من نعـمة أوشدة ـ قبل ذلك الوقت ـ فأنت عنه خال، وإنما ينالك منه ما فى ذلك الوقت ، وما كان بعد ذلك فلاتدرى أيصل إليك أم لا.

* الذاكرون فى ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره، لأن ذكره سواه.

* حياة القلب بالله تعالى ،بل بقاء القلوب مع الله، بل الغيبة عن الله بالله.

* أربعة أشياء لا تليق بالمعرفة: الزهد والصبر والتوكل والرضا، لأن كل ذلك من صفة الأشباح.

* مطالعة الأعراض على الطاعات من نسيان الفضل.

* الناس على ثلاث طبـقات: الـطبقـة الأولى منَّ الله عليـهم بأنوار الهداية، فـهم مـعصـومون من الكفـر والشرك والنفاق، والطبقة الثـانية منَّ الله عليهم بأنوار العناية، فهم معصومون عن الصـغائر والكبائر، والطبقة الثالثة منَّ الله عليهم بالكفاية. فهم معصومون عن الخواطر الفاسدة، وحركات أهل الغفلة.

الحسين بن منصور الحلاج

ومنهم أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج، وهو من أهل بيضاء وفارس. ونشأ بواسط، والعراق وصحب الجنيد، وأبا الحسين النورى، وعمرا المكى، والفوطى، وغيرهم.

والمشايخ فى أمره مختلفون. رده أكثر المشايخ ونفوه، وأبوا أن يكون له قدم فى التصوف.. وقبله من جملتهم أبو العباس بن عطاء، وأبو عبد الله محمد بن خفيف، وأبو القاسم إبراهيم بن محمد النصر اباذى، وأثنوا عليه، وصححوا له حاله، وحكوا عنه كلامه، وجعلوه أحد المحققين، حتى قال محمد بن خفيف: «الحسين بن منصور عالم ربانى».

قتل ببغداد بباب الطاق، يوم الثلاثاء لست بقين من ذى القعدة، سنة تسع وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* حجبهم بالاسم فعاشوا، ولو أبرز لهم علوم القدرة لطاشوا، ولو كشف لهم الحجاب عن الحقيقة لماتوا.

* إلهى، أنت تعلم عجزى عن مواضع شكرك، فاشكر نفسك عنى، فإنه الشكر لا غير.

* من لاحظ الأعمال حجب عن المعمول له ،ومن لاحظ المعمول له حجب عن رؤية الأعمال.

* أسماء الله تعالى من حيث الإدراك اسم، ومن حيث الحق حقيقة.

* خاطر الحق هو الذى لا يعارضه شىء.

* إذا تخلص العبد إلى مقام المعرفة أوحى الله تعالى إليه بخاطره، وحرس سره أن يسنح فيه خاطر غير الحق..

* وسئل: لم طمع موسى عليه السلام فى الرؤية وسألها؟ فقال: لأنه انفرد للحق، وانفرد الحق به فى جميع معانيه، وصار الحق مواجهه فى كل منظور إليه، ومقابله دون كل محضور لديه، على الكشف الظاهر إليه، لا على التغيب، فذلك الذى حمله على سؤال الرؤية لا غير.

وأنشد:

أنت بين الشغاف والقلب تجرى
مثل جرى الدموع من أجفانى
وتحل الضمير، جوف فؤادى
كحلول الأرواح فى الأبدان
ليس من ساكن تحرك إلا
أنت حركته خفى المكان
ياهلالا بدا لأربع عشر
لثمان، وأربع، واثنتان

* وسئل عن المريد، فقال: هو الرامى بقصده إلى الله عز وجل، فلا يعرج حتى يصل.

* المريد الخارج عن أسباب الدارين، أثره بذلك على أهلها.

* إن الأنبياء عليهم السلام سلطوا على الأحوال فملكوها، فهم يصرفونها لا الأحوال تصرفهم، وغيرهم سلطت عليهم الأحوال، فالأحوال تصرفهم لا هم يصرفون الأحوال.

* الحق هو المقصود إليه بالعبادات، والمصمود إليه بالطاعات، لا يشهد بغيره، ولا يدرك بسواه. بروائح مراعاته تقوم الصفات، وبالجمع إليه تدرك الراحات.

* لا يجوز لمن يرى أحدا، أو يذكر أحدا، أن يقول إنى عرفت الأحد الذى ظهرت منه الآحاد.

* السنَّة مستنطقات، تحت نطقها مستهلكات، وأنفس مستعملات، تحت استعمالها مستهلكات.

* حياء الرب أزال عن قلوب أوليائه سرور المنة، بل حياء الطاعة أزال عن قلوب أوليائه شهوة سرور الطاعة.

وأنشد:

مواجيد حق، أوجد الحق كلها
وإن عجزت عنها فهوم الأكابر

وما الوجد إلا خطرة ثم نظرة
تثير لهيبا بين تلك السرائر

إذا سكن الحق السريرة ضوعفت
ثلاثة أحوال لأهل البصائر

فحال يبيد السر عن كنه وجده
ويحضره للوجد فى حال حائر

وحال به زمت ذرى السر فانثنت
إلى منظر أفناه عن كل منظر

* من أسكرته أنوار التوحيد حجبته عن عبارة التجريد، بل من أسكرته أنوار التجريد نطق عن حقائق التوحيد، لأن السكران هو الذى ينطق بكل مكتوم.

* من التمس الحق بنور الإيمان كان كمن طلب الشمس بنور الكواكب.

* لما كان الله تعالى أوجد الأجسام بلاعلة، كذلك أوجد فيها صفاتها بلا علة. وكما لا يملك العبد أصل

فعله، كذلك لا يملك فعله.

* ما انفصلت البشرية عنه، ولا اتصلت به.

أبو الحسين بن الصائغ الدينوري

ومنهم أبو الحسن على بن محمد بن سهل بن الصائغ الدينورى، كان من كبار المشايخ. أقام بمصر ومات بها.

سمعت أبا عثمان المغربى يقول: «لم أر فيمن رأيت من المشايخ أنور من أبى يعقوب النهرجورى، ولا أكبر همة من أبى الحسن بن الصائغ الدينورى.

سألت الشيخ أبا عثمان: هل كان أبو الحسن من السالكين؟ فقال: «كان من العاملين المخلصين فى المعاملة».

توفى بمصر سنة ثلاثين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن أبى بكر عن النبى ﷺ فى قول الله تعالى: « ثلة من الأولين ، وقليل من الآخرين » قال: «هما فى هذه الأمة».

ومن كلامه:

* سئل عن صفة المريد، فقال: صفته ما قال الله عز وجل: «ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ».

* من توالت عليه هموم الدنيا فليذكرهما لا يزول، ليستريح منها.

* وسئل: ما الذى يجب على الإخوان إذا اجتمعوا؟ فقال: التواصى بالحق، والتواصى بالصبر. قال الله تعالى: «وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر».

* ينبغى للمريد أن يترك الدنيا مرتين: يتركها مرة بنضارتها ونعيمها، وألوان مطاعمها ومشاربها، وجميع ما فيها. ثم إذا عرف بترك الدنيا ويبخل ويكرم لها، فينبغى أن يستر إذ ذاك حاله بالإقبال على أهلها، لئلا يكون ذكره فى ترك الدنيا ذنبا هو أعظم من الإقبال على الدنيا وطلبها، أو فتنة أعظم منها.

* من فساد الطبع التمنى والأمل.

* كان بعض مشايخنا يقول: من تعرض لمحبته جاءته المحن والبلايا بالأوقار[1].

* أهل المحبة فى لهيب شوقهم إلى محبوبهم يتنعمون فى ذلك اللهيب، أحسن مما يتنعم أهل الجنة فيما أهلوا له من النعيم.

---

(١) الأحمال الثقيلة.

* محبتك لنفسك هى التى تهلكها.

* وسئل: ما المعرفة؟ فقال: رؤية المنة فى كل الأحوال، والعجز عن أداء شكر النعم من كل الوجوه، والتبرى من الحول والقوة فى كل شيء.

* وسئل: بماذا يتسلى المحب فى المحبة؟ وبماذا يروح فؤاده عن هيجانه؟ فأنشأ يقول:

لو أشرب السلوان ماسليت

مابى غنى عنك وإن غنيت

* الأحوال كالبروق، فإذا ثبتت فهو حديث النفس وملاءمة الطبع.

* وسئل عن الاستدلال بالشاهد على الغائب، فقال: كيف يستدل بصفات من يشاهد ويعاين، وهو ذو مثل، على صفات من لا يشاهد فى الدنيا، ولا يعاين، ولا مثل له ولا نظير؟!.

ممشاذ الدينورى

ومنهم ممشاذ الدينورى، وهو من كبار مشايخهم، صحب يحيى الجلاء ومن فوقه من المشايخ، عظيم المرمى فى هذه العلوم، أحد فتيان الجبال، كبير الحال، ظاهر الفتوة.

ذكر أبو زرعة أنه مات سنة تسع وتسعين ومائتين، إن كان حفظه.

ومن كلامه:

* طريق الحق بعيد، والصبر مع الحق شديد.

* جماع المعرفة صدق الافتقار إلى الله تعالى.

* لو جمعت حكمة الأولين والآخرين، وادعيت أحوال السادة من الأولياء، فلن تصل إلى درجات العارفين، حتى يسكن سرك إلى الله تعالى، وتثق به فيما ضمن لك.

* ما أقبح الغفلة عن طاعة من لا يغفل عن برك، وما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن ذكرك.

* فراغ القلب فى التخلى مما تمسك به أهل الدنيا من فضول دنياهم.

* للعارف مرآة إذا نظر فيها تجلى له مولاه.

* ما كتب صحيح إلى صحيح، وما لقى صحيح صحيحا، وما افترقا فى الحقيقة.

* من يكن الله تعالى همته لم تستقطعه الأقدار، ولم تملكه الأخطار..

* ما دخلت قط على أحد من شيوخى، إلا وأنا خال من جميع مالى، أنظر بركات ما يرد على من رؤيته أو كلامه، فإن من دخل على شيخ بحظه، انقطع بحظه عن بركات رؤيته ومجالسته وأدبه وكلامه.

* رأيت فى بعض أسفارى شيخا توسمت فيه الخير فقلت: يا سيدى، كلمة تزودنى بها. فقال: همتك فاحفظها، فإن الهمة مقدمة الأشياء، ومن صلحت له همته وصدق فيها صلح له ما وراءها من الأعمال والأحوال.

* أدب المريد فى أربعة أشياء: التزام حرمات المشايخ، وخدمة الإخوان، والخروج عن الأسباب، وحفظ آداب الشرع على نفسه.

* الأسباب علائق، وفى التعريج موانع، والاستثناء إلى مسبوق القضاء فراغة... وأحسن الناس حالا من أسقط عن نفسه رؤية الخلق، ورعى سره فى الخلوات، واعتمد على الله تعالى فى جميع أموره.

* صحبة أهل الصلاح تورث فى القلب الصلاح، وصحبة أهل الفساد تورث فيه الفساد.

* وسئل عن التوكل، فقال: التوكل حسم الطمع عن كل ما يميل إليه قلبك ونفسك.

* أرواح الأنبياء فى حال الكشف والمشاهدة، وأرواح الصديقين فى القربة والاطلاع.

إبراهيم القصّار

ومنهم أبو إسحق إبراهيم بن داود القصار الرقى، من جلة مشايخ الشام. من أقران الجنيد، وابن الجلاء، إلا أنه عمر.

وصحبه أكثر مشايخ الشام... وكان لازما للفقر، مجردا فيه، محبا لأهله.

توفى سنة ست وعشرين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* قيمة كل إنسان بقدر همته، فإن كانت همته الدنيا فلا قيمة له، وإن كانت همته رضاء الله تعالى فلا يمكن استدراك غاية قيمته ولا الوقوف عليها.

* وسأله رجل: هل يبدى المحب حبه؟ أو هل ينطق به؟ أو يطيق كتمانه؟. فأنشأ يقول متمثلا:

ظفرتم بكتمان اللسان فمن لكم
بكتمان عين دمعها الدهر يذرف

حملتم جبال الحب فوقى، وإننى
لأعجز عن حمل القميص وأضعف

* التوكل السكون إلى مضمون الحق.

* الراضى لا يسأل، وليس من شرط الرضا المبالغة فى الدعاء.

* المعرفة إثبات الرب ـ أو قال الحق ـ عز وجل، خارجا عن كل موهوم، لأن النبى ﷺ قال: «تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله»[1].

* حسبك من الدنيا صحبة فقير، وخدمة ولى.

* القدرة ظاهرة، والأعين مفتوحة، ولكن أنوار البصائر قد ضعفت.

* الأبصار قوية، والبصائر ضعيفة.

* من اكتفى بغير الكافى، افتقر من حيث استغنى.

* الكفايات تصل إليك بلا تعب، والاشتغال والتعب كلها فى الفضول.

* كفايات الفقراء هى التوكل، وكفايات الأغنياء هى الاستناد إلى الأملاك.

*أضعف الخلق من ضعف عن رد شهواته، وأقوى الخلق من قوى على ردها.

* ما دام لأعراض الكون فى قلبك خطر، فاعلم أنه لا خطر لك عند الله.

* من تعزز بشئ غير الله فقد ذل فى عزه.

* الأولياء مرتبطون بالكرامات والدرجات ، والأنبياء مكشوف لهم عن حقائق الحق، فالكرامات والدرجات عندهم وحشة.

* علامةمحبة اللهتعالى إيثار طاعته ومتابعة نبيه ﷺ.

* الأنبياء منبسطون على بساط الأنس، والأولياء على درجات الكرامة.

خير النساج

ومنهم أبو الحسن محمد بن إسماعيل، المسمى بخير النساج، كان أصله من سامرا، وأقام ببغداد.

صحب أبا حمزة البغدادى، وسأل السرى السقطى عن مسائل، وكان إبراهيم الخواص تاب فى مجلسه، وكذلك الشبلى تاب فى مجلسه، وكان من أقران النورى وطبقته.

وإنما سمى خير النساج لأنه خرج إلى الحج فأخذه رجل على باب الكوفة، فقال: «أنت عبدى، واسمك خير». وكان أسود فلم يخالفه، فأخذه الرجل واستعمله فى نسج الخز سنين. وكان يقول له: يا خير، فيقول: لبيك. ثم قال له الرجل بعد سنين: أنا غلطت، لا أنت عبدى، ولا اسمك خير.. فلذلك سمى خير النساج. وكان يقول: لا أغير اسما سمانى به رجل مسلم.

(١) هذا حديث ضعيف.

عاش مائة وعشرين سنة.

قال أبو الحسين المالكى: «سألت من حضر موت خير النساج عن أمره، فقال: لما حضرته صلاة المغرب غشى عليه، ثم فتح عينيه، وأومأ إلى ناحية البيت وقال: قف، عافاك الله، إنما أنت عبد مأمور، وأنا عبد مأمور، وما أمرت به لا يفوتك، وما أمرت به يفوتنى، فدعنى أمض فيما أمرت به، ثم امض لما أمرت به. فدعا بماء فتوضأ وصلى، ثم تمدد وغمض عينيه، وتشهد ومات».

وأخبرنى بعض أصحابنا أنه رآه فى النوم فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: لا تسألنى عن هذا، ولكنى استرحت من دنياكم الوضرة(١).

ومن كلامه:

* من عرف من الدنيا قدرها وجد من الآخرة حقها، ومن جهل من الآخرة حقها قتله من الدنيا نزرها.

* الصبر من أخلاق الرجال، والرضا من أخلاق الكرام.

* شرح صدور المتقين، وكشف بصائر المهتدين، بنور حقائق الإيمان.

* من لاحظ شكره استصغر نعمه.

* من سبق بخطوة لا يدرك إذا كان صادقا مجتهدا.

* الإخلاص هو الذى لا يقبل عمل عامل إلا به.

* العمل الذى يبلغ الغايات هو رؤية التقصير والعجز والضعف.

*لا نسب أشرف من نسب من خلقه الله تعالى بيده، فلم يعصمه، ولا علم أشرف من علم من علمه الله الأسماء كلها، فلم ينفعه فى وقت جريان القدر والقضاء عليه، ولا عبادة أتم ولا أكثر من عبادة إبليس، لم ينجه ذلك من المسبوق عليه.

* توحيد كل مخلوق ناقص لقيامه بغيره وحاجته إلى غيره، قال الله تعالى: «يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله» أى المحتاجون إليه فى كل نفس، «والله هو الغنى» عنكم وعن توحيدكم وأفعالكم، «الحميد» الذى يقبل منك ما لايحتاج إليه، ويثيبك عليه ما تحتاج إليه.

* ميراث أفعالك ما يليق بأفعالك، فاطلب ميراث فضله، فإنه أتم وأحسن، قال الله تعالى: «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون».

---

(١) الوضرة: الوسخة القذرة. يقال: فلان وضر الأخلاق إذا كان خبيثا. ويقال: كان نقى العرض فوضره بالدناءة.

* الخوف سوط الله فى الأرض، يقوم به أنفسا تعودت سوء الأدب، ومتى أساءت الجوارح الأدب فهو من غفلة القلب وظلمة السر.

أبو حمزة الخراسانى

ومنهم أبو حمزة الخراسانى، وكان أصله من نيسابور من مجلة ملقاباذا، صحب مشايخ بغداد، وهو من أقران الجنيد، سافر مع أبى تراب النخشبى، وأبى سعيد الخراز، وهو من أفتى المشايخ وأورعهم.

ومن كلامه:

* من نصح نفسه كرمت عليه، ومن تشاغل عن نصيحتها هانت عليه.

* وسئل عن الأنس فقال: ضيق الصدر عن معاشرة الخلق.

* الغريب المستوحش من الألف.

* من استشعر ذكر الموت حبب إليه كل باق، وبغض إليه كل فان.

* العارف يخاف زوال ما أعطى ،والخائف يخاف نزول ما وعد، والعارف يدافع عيشه يوما ليوم، ويأخذ عيشه يوم ليوم.

* وسئل عن الصوفى فقال: من صفى من كل درن، فلم يبق فيه وسخ المخالفات بحال.

* من استوحش من نفسه أنس قلبه بموافقة مولاه.

* وقال له ر ً : أوصنى. فقال: هيئ زادك للسفر الذى بين يديك، فكأنى بك وأنت فى جملة الراحلين عن منزلك، وهيئ لنفسك منزلا تنزل فيه إذا نزل أهل الصفوة منازلهم، لئلا تبقى متحسرا.

* وقال لبعض أصحابه: خف سطوة العدل، وأرج رأفة الفضل، ولا تأمن من مكره، وإن أنزلك الجنان. ففى الجنة وقع لأبيك آدم ما وقع، وقد يقطع بقوم فيها، فيقال لهم: «كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية» فشغلهم عنه بالأكل والشرب، ولا مكر فوق هذا، ولا حسرة أعظم منه.

* من خصه الله تعالى بنظرة شفقة فإن تلك النظرة تنزله منازل أهل السعادة، وتزينه بالصدق ظاهرا وباطنا.

* وسئل: هل يتفرغ المحب إلى شئ سوى محبوبه؟ فقال: لا، لأنه بلاء دائم، وسرور متقطع، وأوجاع متصلة لا يعرفها إلا من باشرها. وأنشد:

يقاسى المقاسى شجوه دون غيره

وكل بلاء عند لاقيه أوجع

* وسمع بعض أصحابه وهو يلوم بعض إخوانه على إظهار وجده وغلبة الحال عليه، وإظهار سره فى مجلس فيه بعض الأضداد، فقال: أقصر ياأخى، فالواجد الغالب يسقط التمييز، ويجعل الأماكن كلها مكانا

واحدا، والأعـيان عينا واحـدة، ولا لوم لمن غلب عليه وجـده، فاضطره إلى أن يبـديه. وما أحسن مـا قال ابن الرومى:

فدع المحـــب من الملامة، إنها

بئس الـــدواء لموجـــع مقلاق

لا تطفئن جـــوى بلـــوم أنـــه

كالريح يعرى النار بالإحـراق

أبو عبد الله الصُبَيحى

ومنهم أبو عـبد الله الحسين بن عـبد الله بن بكر الصـبيـحى، كان من أهل البـصرة. وقيل أنه لـم يخرج من سرب فى داره ثلاثين سنة يجتهد فيه ويتعبد.

أخرجه أهل البصرة منها، فخرج إلى السوس، فمات بها، وبها قبره.

وكان عالما بعلوم القوم وبالأصول. صنف كتبا للقوم، وكان صاحب لسان وورع.

ومن كلامه:

* السماع بالتصريح جفاء، والسماع بالإشارة تكلف، وألطف السماع ما يشكل إلا على مستمعه.

* وسئل عن أصـول الدين، فقـال: إثبات صـدق الافتقـار إلى الله تعالى، وحـسن الاقتـداء برسول الله ﷺ، وفروعه أربعة أشياء: الوفاء بالعهود، وحفظ الحدود، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود.

*الربوبية سبقت العبودية، وبالربوبية ظهرت العبودية، وتمام وفاء العبودية مشاهدة الربوبية.

* وسئل عن التسلـى والانقطاع، فقال: لا يقطعك عن الشئ ما هو مـثله أو دونه، وإنما يقطعك عنه ما هو أتم منه وأعلى، والنظر فى عواقب الأمور من أحوال العاجزين، والتقحم على الموارد من أحوال الرجال، والجمود بالرضاء تحت موارد القضاء من أحوال العارفين.

* يجب أن يكون الواجد ـ إذا كان وجده صـحيحا ـ أن يكون فى حال وجده محفـوظا، لا يجرى عليه لسان الدم بحال.

* المبقى فى أوصافه يحوم حول الشرك، لفرحه ببقائه، فإنه أبدا يشاهد شاهده.

* الغريب هو البعيد عن وطنه، وهو مقيم فيه.

* الغريب الذى لا جنس له.

* وقال مرة أخرى: الغريب من صحب الأجناس.

*أتم الخوف ما كان على صفة الوجد، لا على فقد ما يرجو أو يتمنى.

* ابتلى الخلائق بأسرهم بالدعاوى العريضة فى المغيب... فإذا أظلتهم هيبة المشهد خرسوا وانقمعوا، وصاروا لا شئ، ولو صدقوا فى دعاواهم لبرزوا عند المشاهدة كما برز نبينا ﷺ، وتقدم الخلائق بقدم الصدق حين طلب إليه الشفاعة فقال :«أنا لها»، لم ترعه هيبة الموقف، لما كان عليه من قدم الصدق وما أشبه هذه الدعاوى الباطلة إلا بقول بعضهم حيث يقول:

ينوى العتاب له من قبل رؤيته
فإن رآه فدمع العين مسكوب
لا يستطيع كلاما حين يبصره
كل اللسان، وفى الأحشاء تلهيب

وليس تخرس الألسنة فى المشاهدة إلا لبعدها من الصدق، فمن صدق فى المحبة تكلم عنه الضمير إذا سكت عن النطق اللسان.

أبو جعفر بن سنان

ومنهم أبو جعفر أحمد بن حمدان بن على بن سنان، من كبار مشايخ نيسابور، صحب أبا عثمان، ولقى أبا حفص، وهو أحد الخائفين الورعين... وكتب الحديث الكثير ورواه.

وبيته بيت الزهد والورع، إلى أن انتهى الأمر، وختم بحفيده ابن بنته أبى بشر محمد بن أحمد الحلاوى، المقيم بمكة، المجاور بها فى آخر سفره عشرين سنة متوالية. نعى إلينا أبو بشر فى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، وكان مات فى سنة ست بمكة. وهو كان أوحد مشايخ الحرم فى وقته.

ومات أبو جعفر سنة إحدى عشرة وثلاثمائة.

وروى الحديث:

عن الشيبانى قال: سألت ابن أبى أوفى: أَرُجِمَ رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قلت: بعد ما نزلت سورة النور أم قبلها؟ قال: لا أدرى!

ومن كلامه:

* من لزم العزلة والخلوة يكون أقل لفضيحته فى الدنيا، إلى أن يبلغ إلى فضيحة الآخرة.

* سئل بعض الحكماء: من أين معاشك؟ فقرأ: «كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً».

* لو أمرك بمعرفته ولم يتعرف إليك كنت أجهل به ممن أنكره.

* تكبر المطيعين على العصاة بطاعتهم شر من معاصيهم وأضر عليهم.

* غفلتك عن توبة من ذنب ارتكبته شر من ارتكابه.

* جمال الرجل فى حسن مقاله، وكما له فى صدق أفعاله.

* علامة من انقطع إلى الله على الحقيقة ألا يرد عليه ما يشغله.

* أنت تبغض العاصى بذنب واحد تظنه، ولا تبغض نفسك مع ما تتيقنه من ذنوبك. ذمك لأخيك بعيوبه يوقعك فيما تذمه وشر منه، ولو وفقت لدعوت له ورحمته، وخفت على نفسك من مثله، وشكرت الله تعالى حيث لم يبلك بما بلاه به.

* من علم من نفسه ما يعلم، ثم يحبها بعد ذلك، فقد أحب ما أبغض الله تعالى.

* كبير الإساءة مع التوبة والندامة أصغر من صغيرها مع الإصرار لأن الله تعالى يقول: «ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون»، وقليل الإحسان مع الإخلاص أكثر من كثير الإحسان مع الرياء والعجب والآفات.

* لا يعظم حرمات الله إلا من عظم الله، ولا يعظم الله إلا من عرفه، ومن عرفه خضع له وانقاد فى خضوعه، وخضوعه يتولد من تعظيمه لربه. فإذا عظمه صغر كل ما سواه عنده، فيتولد له من ذلك تعظيم حرمات المؤمنين، وذلك لعظيم حرمة الله فى قلبه أن يعظم كل من يطيع ربه أو يعرفه.

الطبقة الرابعة

أبو بكر الشبلى

ومنهم أبو بكر دلف بن جحدر الشبلى، ويقال: ابن جعفر، ويقال: اسمه جعفر بن يونس، سمعت الحسين ابن يحيى الشافعى يذكر ذلك، وكذلك رأيته ببغداد مكتوبا على قبره.

وهو خراسانى الأصل، بغدادى المولد والمنشأ. وأصله من أسروشنة، ومولده كما قيل سامرا.

تاب فى مجلس خير النساج ، وصحب الجنيد ومن فى عصره من المشايخ، وصار أوحد وقته حالا وعلما وكان عالما فقيها على مذهب مالك، وكتب الحديث ورواه.

عاش سبعا وثمانين سنة، ومات فى ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ودفن فى مقبرة الخيزران، وقبره اليوم ظاهر.

روى الحديث:

عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ لبلال: «الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا، قال: يارسول الله، كيف لى بذلك؟ قال: ما سئلت فلا تمنع، وما رزقت فلا تخبأ. قال: يارسول الله، كيف لى بذاك؟ قال: هو ذاك وإلا فالنار».

ومن كلامه:

* قيل له: إن أبا تراب ذكر أنه جاع فى البادية، فرأى البادية كلها طعاما، فقال: عبد رفق [1]، ولو بلغ إلى محل التحقيق لكان كمن قال: «إنى أظل عند ربى يطعمنى ويسقينى».

* وسئل عن الوفاء، فقال: هو الإخلاص بالنطق، واستغراق السرائر بالصدق.

* ما ظنك بعلم علم العلماء فيه تهمة؟

* وكان إذا نظر إلى أصحابه يسافرون، ويرى تقطعهم فى أسفارهم، يقول: ويلكم! أبد مما ليس منه بد؟ بل بد ممن ليس منه بد؟

* الأرواح تلطفت فتعلقت عند لذعات الحقيقة، فلم تر غير الحق معبودا يستحق العبادة، فأيقنت أن المحدث لا يدرك القديم بصفات معلولة، فإذ صفاه الحق أوصله إليه، فيكون الحق أوصله إليه، لا وصل هو.

* التصوف ضبط حواسك، ومراعاة أنفاسك.

---

(١) أى نالته من الله رحمة فارتفق بها أى انتفع.

* التصوف التآلف والتعاطف.

* وسئل: متى يكون الرجل مريدا؟ فقال: إذا استوت حاله فى السفر والحضر، والمشهد والمغيب.

* (أنتم) منكم مخفوضة، و(أنا) منى منصوبة.

* وقال عبد الله بن محمد الدمشقى: كنت يوما واقفا على حلقة الشبلى،فجعل يبكى ولا يتكلم، فقال رجل: يا أبا بكر، ما هذا البكاء كله؟ فأنشأ يقول:

إذا عاتبته أو عاتبوه

شكا فعلى وعدد سيئاتى

أيا من دهره غضب وسخط

أما أحسنت يوما فى حياتى؟

* وسئل عن الزهد، فقال: تحويل القلب من الأشياء إلى رب الأشياء.

* من عرف الله خضع له كل شئ، لأنه عاين أثر ملكه فيه.

* وسئل:بم يقمع الهوى؟ فقال: برياضات الطباع، وكشف القناع.

* ليس يخطر الكون ببالى، وكيف يخطر الكون ببال من عرف المكون؟

* وقال بعض أصحابه: رأيت الشبلى فى المنام، فقلت له: يا أبا بكر، من أسعد أصحابك بصحبتك؟ فقال: أعظمهم لحرمات الله، وألهجهم بذكر الله، وأقومهم بحق الله، وأسرعهم مبادرة فى مرضاة الله، وأعرفهم بنقصانه، وأكثرهم تعظيما لما عظم الله من حرمة عباده.

* وقال له رجل: ادع الله لى. فأنشأ يقول:

مضى زمن والناس يستشفعون بى

فهل لى إلى ليلى الغداة شفيع؟

* وقيل له: نراك جسيما بدينا والمحبة تضنى!

فأنشأ يقول:

أحب قلبى وما درى بدنى

ولو درى ما أقام فى السمن

* لو قبلنى العالم بمن فيه لكانت مصيبة على، إذ لو لم يكن شربهم شربى وذوقهم ذوقى، لم يقبلونى.

* أعمى الله بصرا يرانى ولا يرى فى آثار القدرة، فأنا أحد آثار القدرة، وأحد شواهد العزة، لقد ذللت حتى عز فى ذلى كل ذل، وعززت حتى ما تعزز أحد إلابى أو بمن تعززت به، وما افترقنا، وكيف نفترق ولم يجر علينا حال الجمع أبدا؟

* ليكن همك معك لا يتقدم ولا يتأخر.

* وقال له الجنيد: لو رددت أمرك إلى الله لاسترحت، فقال الشبلى: ياأبا القاسم لو رد الله أمرك إليك لاسترحت. فقال الجنيد: سيوف الشبلى تقطر دما.

* سهو طرفة عين عن الله لأهل المعرفة شرك بالله.

* من عرف الله لايكون له غم أبدا.

* الفرح بالله أولى من الحزن بين يدى الله.

* قلوب أهل الحق طائرة إليه بأجنحة المعرفة، ومستبشرة إليه بموالاة المحبة.

* الحرية هى حرية القلب لا غير.

* ليس من احتجب بالخلق عن الحق كمن احتجب بالحق عن الخلق، وليس من جذبته أنوار قدسه إلى أنسه كمن جذبته أنوار رحمته إلى مغفرته.

* وكثيرا ما كان يقول:

ولى فيك يا حسرتى حسرة

تقضى حياتى وما تنقضى!

* أحبك الخلق لنعمائك، وأنا أحبك لبلائك.

* من كان بالحق تلفه كان الحق خلفه.

* وقال عبد الله بن محمد الدمشقى: كنا يوما فى بيت الشبلى فأخر العصر، ونظر إلى الشمس وقد تدلت للغروب فقال: الصلاة يا سادتى، وقام فصلى، ثم أنشأ يقول ملاعبة وهو يضحك: ما أحسن قول من قال:

نسيت اليوم من عشقى صلاتى

فلا أدرى غداتى من عشائى

فذكرك سيدى أكلى وشربى

ووجهك إن رأيت شفاء دائى

* ورئى فى يوم عيد خارجاً من المسجد وهو يقول:

إذا مـا كنت لى عيـدا فمـا أصنـع بالعيـد!

جرى حبك فى قلبى كجرى الماء فى العود!

* وسمعه أبو بكر الرازى يقول: ما أحوج الناس إلى سكرة. فقال له: ياسيدى، أى سكرة؟

فقال الشبلى: سكرة تغنيهم عن ملاحظة أنفسهم وأفعالهم وأحوالهم. وأنشأ يقول:

وتحســـبنى حيـــا وإنـــى لميـــت

وبعضى من الهجران يبكى على بعض

* وأنشدنا:

وإنـى وإياه لفـى الحب صـــــادق

نمـوت بمـا نهـوى جميعـا ولا نبـدى

* وقال:

ومـن أين لى أين؟ وإنى كما ترى

أعيـش بلا قلـب، وأسعـى بلا قصـــد

* وجاءه رجل فقال: كم تهلك نفسك بهذه الدعاوى ولا تدعها؟ فأنشأ يقول متمثلا:

إنى وإن كنت قد أسأت بى اليو

م لـراج للعطـف منـــك غـــدا

أســـتدفع الوقت بالـرجـــاء وإن

لم أر مـنـك مـــا أرتجى أبـــــدا

أغـــر نفســـى بكـم و أخـدعهـا

نفسى تـرى الغى فيكم رشــــدا

* وقال عبد الله بن محمد الدمشقى: كنت واقفا على حلقة الشبلى فى جامع المدينة، فوقف سائل على حلقته وجعل يقول: يا ألله يا جـواد! فتأوه الشبلى وصـاح فقال: كيف يمكننى أن أصف الحق بالجـود ومخلوق يقول فى شكله:

تعود بسط الكف حتى لو أنه

ثناهـا لقبض لـم تجبـه أناملـه

تـراه إذا مـا جئـته متهلـــــلا

كأنك تعطيه الذى أنت سائله

ولو لـم يكن فى كفه غير روحه

لجـاد بها، فليتـق الله سـائلـــه

هو البحر من أى النواحى أتيته

فلجته المعروف، والجود ساحله

ثم بكى وقال: بلى يا جـواد! فإنك أوجدت تلك الجوارح، وبسطت تلك الهـمم، ثم مننت بعد ذلك على أقوام بعز الاستغناء عنهم، وعما فى أيديهم بك. فإنك الجواد كل الجواد، لأنهم يعطون عن محدود، وعطاؤك لا حد له ولا صفة، فيا جواد يعلو كل جواد، وبه جاد كل من جاد.

* رفع الله قدر الوسائط بعلو هممهم، فلو أجرى على الأولياء ذرة مما كشف للأنبياء لبطلوا وتقطعوا.

* وقال الدمشقى أيضا: كنت يوما فى حلقته فسمعته يقول: الحق يفنى بما به يبقى، ويبقى بما به يفنى، يفنى بما فيه بقاء، ويبقى بما فيه فناء، فإذا أفنى عبدا عن إياه أوصله به، وأشرفه على أسراره. ثم بكى وأنشد على أثره:

لها فى طرفها لحظـات بشـر

تميت بهـا وتحيـى مـن تريـــد

وتسبـى العـالمـين بمقلـتيهـا

كـأن العـالمين لهـا عبيـــد

ألاحظهـا فتعلم مـــا بقلبى

وألحظهـــا فتعلـــم ما أريـــد

* وسئل : هل يتـحقق العارف بما يبـدو له؟ فقال: كـيف يتحقق بما لايثـبت؟ وكيف يطمئن إلى مـالا يظهر؟ وكيف يأنس بما يخفى؟ فهو الظاهر الباطن، الباطن الظاهر.

ثم أنشأ يقول:

فمن كان فى طول الهوى ذاق سلوة

فإنى مـــن ليلى لهـــا غيـــر ذائـــق

وأكثـر شـــئ نلته مـــن وصـــالهـا

أمـــانى لم تصـــــدق كلمحة بـارق

* كيف يصح لك التوحيد وكلما ملكت شيئا ملكك؟ وكلما أبصرت شيئا أسرك؟

* وقال له رجل: هل شاهده أحد بحقيقته؟ فقال: الحقيقة بعيدة، ولكن ظنون وأمانى وحسبان. وأنشد:

وكذبت طرفى فيك والطرف صادق

وأسمعت أذنى منك ماليس تسمع

ولم أسكن الأرض التى تسكنونها

لكيلا يقولوا أننى بك مولع

فلا كبدى تهدا ولا لك رحمة

ولا عنك إقصاء، ولا فيك مطمع

فإذا تراءى له تحقيق حال شوشه بالتلبيس والإشكال.

* وقال له رجل: إلى ماذا تستريح قلوب المشتاقين؟ قال: إلى سرور من اشتاقوا إليه وموافقته، وأنشد:

أسر بمهلكى فيه لأنى

أسر بما يسر الألف جدا

ولو سئلت عظامى عن بلاها

لأنكرت البلى وسمعت جحدا

ولوأخرجت من سقمى لنادى

لهيب الشوق بى يسأله ردا

* وسئل: إلى ماذا تحن قلوب أهل المعارف؟ فقال: إلى بدايات ما جرى لهم فى الغيب، من حسن العناية فى الحضرة بغيبتهم عنها. وأنشأ يقول:

سقيا لمعهدك الذى لو لم يكن

ما كان قلبى للصبابة معهدا

أبو محمد المرتعش النيسابورى

ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش النيسابورى من محلة الحيرة. صحب أبا حفص الحداد، وأبا عثمان الحداد. ولقى الجنيد وصحبه وأقام ببغداد، حتى صار أحد مشايخ العراق وأئمتهم، حتى قال أبو عبد الله الرازى: «كان مشايخ العراق يقولون: عجائب بغداد فى التصوف ثلاث: إشارات الشبلى، ونكت المرتعش،وحكايات جعفر الخلدى». وكان يقيم فى مسجد الشونيزية... مات ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* سكون القلب إلى غير المولى تعجيل عقوبة من الله فى الدنيا.

* ذهبت حقائق الأشياء وبقيت أسماؤها.فالأسماء موجودة والحقائق مفقودة، والدعاوى فى السرائر مكنونة، والألسنة بها فصيحة، والأمور عن حقوقها مصروفة، وعن قريب تفقد هذه الألسنة وهذه الدعاوى، فلا يوجد لسان ناطق، ولا مدع مطنب.

* ما توجهت إلى الله تعالى بسر خاصى إلا فى ظاهر عامى.

* وقال أحمد بن على بن جعفر: «كنت عند المرتعش قاعدا، فقال رجل: قد طال الليل وطاب الهواء، فنظر إليه المرتعش وسكت ساعة ثم قال: لا أدرى ما تقول! غير أنى أقول ما سمعت بعض القوالين فى بعض هذه الليالى يغنى ويقول:

لست أدرى أطال ليلى أم لا

كيف يدرى بذاك من يتقلى؟

لو تفرغت لاستطالة ليلى

ولرعى النجوم كنت مخلى

إن للعاشقين عن قصر الليـ

ـل وعن طوله من الوجد شغلا

قال: فبكى من حضره، واستدلوا بذلك على عمارة أوقاته».

* الوسوسة تؤدى إلى الحيرة، والإلهام يؤدى إلى زيادة فهم وبيان

* أصول التوحيد ثلاثة أشياء: معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار له بالوحدانية، ونفى الأنداد عنه جملة.

* أفضل الأعمال تصحيح العبودية على المشاهدة، وملازمة الخدمة على السنة.

* وسئل: بماذا ينال العبد حب الله تعالى؟ فقال: ببغض ما أبغض الله، وهى الدنيا والنفس.

* وسئل مرة أخرى: بماذا ينال العبد المحبة؟ قال: بموالاة أولياء الله، ومعاداة أعدائه. ثم نظر إلى بعض جلسائه فقال: أنشدنى الأبيات التى كنت أنشدتنيها أمس. فأنشأ الرجل يقول:

أشبهت أعدائى فصرت أحبهم

إذ كان حظى منك حظى منهم

وأهنتنى فأهنت نفسى صاغرا

ما من يهون عليك ممن يكرم

* تصحيح المعاملات كلها بشيئين و هما: الصبر والإخلاص. الصبر عليها والإخلاص فيها.

* الإرادة حبس النفس عن مراداتها، والإقبال على أوامر الله، والرضا بموارد القضاء عليه.

* وقال له رجل: إن فلانا يمشى على الماء، فقال: عندى أن من مكنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشى على الماء.

* المسلم محبوب إلى الخلق ، والمؤمن غنى عن الخلق.

* وسئل عن التصوف، فقال: الأشكال والتلبيس والكتمان. ثم أنشأ يقول:

سرى وسرك لم يعلم به أحد

إلا الجليل، ولم ينطق به نطق

* وقال له رجل: أوصنى، فقال: اذهب إلى من هو خير لك منى، ودعنى إلى من هو خير لى منك.

* وقال له رجل: أى الأعمال أفضل؟ فقال: رؤية فضل الله. وأنشأ يقول:

إن المقادير إذا ساعدت

ألحقت العاجز بالحازم!

* ورئى فى العشر الأواخر خارجا من المسجد الجامع، فقيل له: ما الذى أخرجك من المسجد؟ فقال: مشاهدة القراء وتعظيم طاعاتهم عندهم.

* من ظن أن أفعاله تنجيه من النار أو تبلغه الرضوان فقد جعل لنفسه ولفعله خطرا، ومن اعتمد على فضل الله بلغه الله إلى أقصى منازل الرضوان، قال الله تعالى: «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون».

* اعتمد على ضمان الله لك فى رزقك، واجتهد فى أداء ما افترضه عليك، تكن من خواصه.

* السكون إلى الأسباب يقطع القلوب عن الاعتماد على المسبب.

أبو على الروذبارى

ومنهم أبو على أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور بن شهريار بن مهرذاذار بن فرغدد بن كسرى. كذا ذكره لى عبد الله بن على، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن عطاء الروذبارى يقول ذلك. وهو من أهل بغداد. سكن مصر وصار شيخها ومات بها.

صحب أبا القاسم الجنيد، وأبا الحسين النورى، وأبا حمزة، وحسنا المسوحى، ومن فى طبقتهم من مشايخ بغداد، وصحب بالشام ابن الجلاء. وكان عالما فقيها عارفا بعلم الطريقة حافظا للحديث.

توفى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

وأسند الحديث: عن ابن عباس فى قوله تعالى: «يخافون ربهم من فوقهم»: ذاك مخافة الإجلال.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى ليعمر بالقوم الديار، ويكثر لهم الأموال، وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضا، قيل: يارسول الله، وكيف ذلك؟ قال: بصلتهم أرحامهم».

ومن كلامه:

* سئل عن الإشارة، فقال: الإشارة الإبانة عما يتضمنه الوجد من المشار إليه لا غير، وفى الحقيقة أن الإشارة تصحبها العلل، والعلل بعيدة عن عين الحقائق.

* وسئل عن المريد والمراد، فقال: المريد الذى لا يريد لنفسه إلا ما أراد الله له، والمراد لايريد من الكونين شيئاً غيره. الصول على من دونك ضعف، وعلى من فوقك قحة.

* وسئل عمن يسمع الملاهى ويقول: هى لى حلال لأنى قد وصلت إلى درجة لا يؤثر فى اختلاف الأحوال. فقال أبو على: نعم قد وصل لعمرى، ولكن إلى سقر!

* وسئل عن التصوف، فقال: هذا مذهب كله جد، فلا تخلطوه بشئ من الهزل.

* فضل المقال على الفعال منقصة، وفضل الفعال على المقال مكرمة.

* لا رضا لمن لا صبر، ولا كمال لمن لا يشكر، وبالله وصل العارفون إلى محبته، وشكروه على نعمته.

* لو تكلم أهل التوحيد بلسان التجريد لما بقى محق الأمات.

* وسئل عن التوبة، فقال: الاعتراف والندم والإقلاع.

* وأنشد:

روحى إليك بكلها قد أجمعت
لو أن فيك هلاكها ما أقلعت
تبكى إليك بكلها عن كلها
حتى يقال: من البكاء تقطعت
فانظر إليها نظرة بتعطف
فلطالما متعتها فتمتعت!

* والأهم قبل أفعالهم، وعاداهم قبل أفعالهم، ثم جازاهم بأفعالهم.

* المشاهدات للقلوب، والمكاشفات للأسرار، والمعاينات للبصائر، والمرئيات للأبصار.

* من نظر إلى نفسه مرة عمى عن النظر بالاعتبار إلى شئ من الأكوان.

* ما ادعى أحد قط إلا لخلوه عن الحقائق، ولو تحقق فى شئ لنطقت عنه الحقيقة، وأغناه عن الدعاوى.

* أنفع اليقين ما عظم الحق فى عينيك، وصغر ما دونه عندك، وأثبت الخوف والرجاء فى قلبك.

* ما أظهر من نعمه دليل على ما أبطن من كرمه.

* من الاغترار أن تسئ فيحسن إليك، فتترك الإنابة والتوبة، توهما أنك تسامح فى الهفوات، وترى أن ذلك فى بسط الحق لك.

* كيف تشهده الأشياء وبه فنيت بذواتها عن ذواتها؟ أم كيف غابت الأشياء عنه وبه ظهرت وبصفاته؟ فسبحان من لا يشهده شئ، ولا يغيب عنه شئ.

* تشوقت القلوب إلى مشاهدة ذات الحق، فألقيت إليها الأسامى فركنت إليها، والذات مستترة إلى أوان التجلى، وذلك قوله تعالى: «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها»، أى وقفوا معها عن إدراك الحقائق.

* أظهر الحق الأسامى وأبداها للخلق ليسكن بها شوق المحبين إليه ،وتأنس بها قلوب العارفين له.

* أستاذى فى التصوف الجنيدى، وأستاذى فى الفقه أبو العباس بن سريج، وأستاذى فى الأدب ثعلب، وأستاذى فى الحديث إبراهيم الحربى.

أبو على الثقفى

ومنهم أبو على محمد بن عبد الوهاب الثقفى. لقى أبا حفص وحمدونا القصار.

وكان إماما فى أكثر علوم الشرع، مقدما فى كل فن منه. عطل أكثر علومه، واشتغل بعلم الصوفية، وتكلم فيه أحسن كلام. وكان أحسن المشايخ كلاما فى عيوب النفس وآفات الأعمال.

وكان أبو عثمان الحيرى يقول: «إنه لينفعنى فى نفسى إذا نظرت إلى خشوع هذا الفتى» يعنى أبا على الثقفى.

مات سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «من جاء منكم الجمعة فليغتسل».

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين

جزءا من النبوة».

ومن كلامه:

* كمال العبودية هو العجز والقصور عن تدارك معرفة علل الأشياء بالكلية.

* لكل شئ حد وكمال، فمن صحب الأشياء على حدودها فقد أفلح وأنجح، ومن قصر عن حدودها فقد ضيع حقها، ومن تجاوز حدها فقد أشرف على هلاك نفسه.

* ينبغى ألا تفارق هذه الخلال الأربعة: صدق القول، وصدق العمل، وصدق المودة، وصدق الأمانة.

* لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان صوابا، ومن صوابها إلا ما كان خالصا، ومن خالصها إلا ما وافق السنَّة.

* من صحب الأكابر على غير طريق الحرمة حرم فوائدهم وبركات نظرهم، ولا يظهر عليه من أنوارهم شئ.

* تمام العلم انقطاع الرجاء عن بلوغ كنهه.

* أف من أشغال الدنيا إذا أقبلت، وأف من حسراتها إذا أدبرت! والعاقل من لا يركن إلى شئ إذا أقبل كان شغلا، وإذا أدبر كان حسرة.

* لا تلتمس تقويم مالا يستقيم، ولا تأديب من لا يتأدب.

* العلم حياة القلب من الجهل، ونور العين من الظلمة.

* يا من باع كل شئ بلا شئ، واشترى لا شئ بكل شئ.

* الفروع الصحيحة لا تتفرع إلا من أصل صحيح، فمن أراد أن تصح له أفعاله على السنَّة، فليصحح الإخلاص من قلبه، فإن تصحيح ظواهر الأعمال بصحة بواطن الإخلاص.

* قال أبو بكر الرازى: حضرت مجلس أبى على الثقفى، فتكلم فى المحبة وأحوال المحبين. وأنشد فى خلال تلك الأحوال هذه الأبيات:

إلى كم يكون الصد فى كل ساعة
وكم لا تملين القطيعة والهجرا
رويدك! إن الدهر فيه كفاية
لتفريق ذات البين فارتقبى الدهرا

* من غلبه هواه توارى عنه عقله.

* الغفلة وسعت على الخلق الطرق فى معايشهم وأفعالهم، والورع واليقظة ضيقت عليهم ذلك.

* المعروف كنز لا يبعد من بر ولا فاجر.

* أربعة أشياء لابد للعاقل من حفظهن: الأمانة، والصديق، والأخ الصالح، والسريرة.

* لو أن رجلا جمع العلوم كلها، وصحب طوائف الناس، لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب أو ناصح. ومن لم يأخذ أدبه من آمر له وناه يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه، لا يجوز الاقتداء به فى تصحيح المعاملات.

* ليس شئ أولى بأن تمسكه من نفسك، ولا شئ أولى بأن تغلبه من هواك.

* يأتى على هذه الأمة زمان لا تطيب المعيشة فيه لمؤمن إلا بعد استناده إلى منافق.

عبد الله بن محمد بن منازل

ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن منازل، من أجلّ مشايخ نيسابور، له طريقة يتفرد بها.

صحب أبا صالح حمدون بن أحمد القصار، وأخذ عنه طريقته، وكان عالما بعلوم الظاهر. كتب الحديث الكثير ورواه، وكان أبو على الثقفى يحترمه ويبجله، ويرفع من مقداره ومحله. مات بنيسابور سنة تسع وعشرين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

حدثنا أبو رزين قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من اتخذ كلبا، ليس بكلب صيد ولا غنم، نقص من عمله كل يوم قيراط».

ومن كلامه :

* لا خير فيمن لم يذق ذل المكاسب، وذل السؤال، وذل الرد.

* من رفع ظل نفسه عن نفسه عاش الناس فى ظله.

* عبر بلسانك عن حالك، ولا تكن بكلامك حاكيا أحوال غيرك.

* من ألزم نفسه شيئا لا يحتاج إليه ضيع من أحوال مثله مما يحتاج إليه ولا بد له منه.

* وسأله إنسان عن مسألة فأجاب، فقال له: أعد على. فقال: أنا فى ندامة ماجرى!.

* من عظم قدره عند الناس يجب أن يحتقر نفسه عنده، ألا ترى أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم لما اتخذه الله خليلا قال: «واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام».

* من دخل فى هذا الأمر بضعف قوى فيه، ومن دخله بقوة ضعف وافتضح.

* وسئل عن العبودية، فقال: هى اضطرار لا اختيار فيه.

* لا يجتمع التسليم والدعوى بحال.

* اترك التكليف والتدبير، وانظر إلى الحال والتحويل.

* لو صح لعبد فى عمره نفس من غير رياء ولا شرك لأثرت بركات ذلك عليه إلى آخر الدهر.

* يموت الإنسان ولا يخلف بعده شيئا أكثر من التدبير.

* ذكر الله تعالى أنواع العبادات فقال: «الصابرين والصادقين والقانتين والمستغفرين بالأسحار». فختم المقامات كلها بمقام الاستغفار، ليرى العبد تقصيره فى جميع أفعاله وأحواله، فيستغفر منها.

* كيف ينظر الإنسان إلى أمامه وورائه، وهو غائب عن مقامه ووقته.

* لم يضيع أحد فريضة من الفرائض إلا ابتلاه الله بتضييع السنن، ولم يبتلِ أحد بتضييع السنن إلا أوشك أن يبتلى بالبدع.

* التفويض مع الكسب خير من خلوه عنه.

* كان علىّ أبى علىّ الثقفى أن يتكلم لنفسه لا للخلق، لذلك لا يصل إليه بركات كلامه.

* أحكام الغيب لا تشاهد فى الدنيا، ولكن تشاهد فضائح الدعوى.

* العبودية الرجوع فى كل شئ إلى الله تعالى على حد الاضطرار.

* لا ينبغى أن يتفرغ العبد إلى السنن إلا بعد فراغه من أداء الفرائض.

* أنت تظهر دعوى العبودية، وتضمر أوصاف الربوبية.

* كل فقر لا يكون عن ضرورة لا يكون فيه فضيلة.

* من احتجت إلى شئ من علومه فلا تنظر إلى عيوبه، فإن نظرك إلى عيوبه يحرمك بركة الانتفاع بعلمه.

أبو الخير الأقطع التيناتى

ومنهم أبو الخير الأقطع [1]، وأصله من المغرب سكن التينات، وله آيات وكرامات يطول ذكرها. صحب أبا عبد الله بن الجلاء، وغيره من المشايخ، وكان أوحد فى طريقته فى التوكل. وكان حاد الفراسة. مات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* القلوب ظروف: فقلب مملوء إيمانا، فعلامته الشفقة على جميع المسلمين، والاهتمام بما يهمهم، ومعاونتهم بما يعود صلاحه إليهم، وقلب مملوء نفاقا، فعلامته الحقد والغل والغش والحسد.

(١) فى معجم البلدان أن اسمه عباد بن عبد الله، وأنه مات سنة تسع وأربعين وثلاثمائة.

* وأنشد:

أنحل الحب قلبه والحنين

ومحاه الهوى فما يستبين

ماتراه الظنون إلا ظنونا

وهو أخفى من أن تراه الظنون

* لن يصفو قلبك إلا بتصحيح النية لله تعالى، ولن يصفو بدنك إلا بخدمة أولياء الله تعالى.

* ما بلغ أحد إلى حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة، ومعانقة الأدب، وأداء الفرائض، وصحبة الصالحين، وخدمة الفقراء الصادقين.

* حرام على قلب مأسور بحب الدنيا أن يسبح فى روح الغيب.

* إن الذاكرلله تعالى لا يقوم له فى ذكره عوض، فإذا قام له العوض خرج من ذكره.

* من لم يكن له مع الله صحبة دائمة بمعرفة اطلاعه عليه، ومراعاته لتصريف الموارد به، ومشاهدة منه قاطعة، اعترضت عليه الأحزان من ظهور المحن وتغيير الزمان.

* الدعوى رعونة لا يحتمل القلب إمساكها فيلقيها إلى اللسان، فتنطق بها ألسنة الحمقى، ولا يعرف الأعمى ما يبصره البصير من محاسنه وقبائحه.

أبو بكر الكتانى

ومنهم أبو بكر محمد بن على بن جعفر الكتانى. ويقال إن كنيته أبو عبد الله، وأبو بكر أصح... أصله من بغداد. صحب الجنيد، وأبا سعيد الخراز، وأبا الحسين النورى، وأقام بمكة مجاورا بها إلى أن مات. وكان أحد الأئمة. حكى عن أبى محمد المرتعش أنه كان يقول: «الكتانى سراج الحرم». مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* إذا سألت الله التوفيق فابدأ بالعمل.

* وسأله بعض المريدين فقال له: أوصنى. فقال: كن كما ترى الناس، وإلا فأرِ الناس ما تكون. كن فى الدنيا ببدنك، وفى الآخرة بقلبك.

* الشكر فى موضع الاستغفار ذنب، والاستغفار فى موضع الشكر ذنب.

* روعة عند انتباه عن غفلة، وانقطاع عن حظ النفسانية، وارتعاد من خوف قطيعة، أفضل من عبادة الثقلين.

* وجود العطاء من الحق شهود الحق بالحق ، لأن الحق دليل على كل شئ، ولا يكون شئ دونه دليلا عليه.
* الشهوة زمام الشيطان، فمن أخذ بزمامه كان عبده.
* وسئل عن حقيقة الزهد، فقال: فقد الشيء والسرور من القلب بفقده، وملازمة الجهد إلى الموت، واحتمال الذل صبرا، والرضا به حتى تموت.
* وقيل له: من العارف؟ فقال: من يوافق معروفه فى أوامره، ولا يخالفه في شيء من أحواله، ويتحبب إليه بمحبة أوليائه، ولا يفتر عن ذكره طرفة عين.
* الصوفية عبيد الظواهر أحرار البواطن.
* سماع العوام على متابعة الطبع، وسماع المريدين رغبة ورهبة، وسماع الأولياء رؤية الآلاء والنعم، وسماع العارفين على المشاهدة، وسماع أهل الحقيقة على الكشف والعيان، ولكل واحد من هؤلاء مصدر ومقام.
* الموارد ترد فتصادف شكلا أو موافقة، فأى وارد صادف شكلا مازجه، وأى وارد صادف موافقا ساكنه.
* المستمع يجب أن يكون فى سماعه غير مستروح إليه، يهيج منه السماع وجدا أو شوقا أو غلبة وارد عليه، يغنيه عن كل مسكون ومألوف.
وأنشد على أثره:

فالوجد والشوق فى مكانى
قد منعانى من القرار
هما معى لايفارقانى
فذا شعارى، وذا دثارى

* إن الله نظر إلى عبيد من عبيده، فلم يرهم أهلا لمعرفته، فشغلهم بخدمته.
* ونظر إلى شيخ كبير أبيض الرأس واللحية يسأل، فقال: هذا رجل أضاع أمر الله فى صغره، فضيعه الله فى كبره.
* إذا صح الافتقار إلى الله صح الغنى به، لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بصاحبه.
* الغافلون يعيشون فى حلم الله، والذاكرون يعيشون فى رحمة الله، والعارفون يعيشون فى لطف الله، والصادقون يعيشون فى قرب الله.
* وسئل عن السنَّة التى لم يتنازع فيها أحد من أهل العلم، فقال: الزهد فى الدنيا، وسخاوة النفس، ونصيحة الخلق.

* من كان الله همه لا يستقطعه من الكون شئ، ولا يأسره من زينتها قليل ولا كثير.

* وسئل عن المتقى، فقال: من اتقى ما لهج به العوام من متابعة الشهوات وركوب المخالفات، وأتته الفوائد من الله عز وجل فى كل حال فلم يغفل عنها.

* وسئل عن الصوفى، فقال: من عزفت نفسه عن الدنيا تظرفا، وعلت همته عن الآخرة، وسحت نفسه بالكل طلبا وشوقا إلى من له الكل.

* حقائق الحق إذا تجلت لسر أزالت عنه الظنون والأمانى، لأن الحق إذا استولى على سرقهره، ولا يبقى للغير معه أثر.

* العلم بالله أتم من العبادة له.

أبو يعقوب النهرجُورى

ومنهم أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجورى، من علماء مشايخهم... صحب الجنيد، وعمربن عثمان المكى، وأبا يعقوب السوسى، وغيرهم من المشايخ.

أقام بالحرم سنين كثيرة مجاورا، وبه مات. وكان أبو عثمان المغربى يقول: «ما رأيت فى مشايخنا أنور من النهرجورى».

مات سنة ثلاث وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* قال فى الفناء والبقاء: هو فناء رؤية قيام العبد لله، وبقاء رؤية قيام الله فى الأحكام.

* الصدق موافقة الحق فى السر والعلانية، وحقيقة الصدق القول بالحق فى مواطن التهلكة.

* العابد يعبد الله تحذيرا، والعارف يعرفه تشويقا.

* وسمع قول القائل: «احترسوا من الناس بسوء الظن» (١) فقال: بسوء الظن بأنفسكم لا بالناس.

* مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب.

* من كان شبعه بالطعام لم يزل جائعا، ومن كان غناه بالمال لم يزل مفتقرا، ومن قصد بحاجته الخلق لم يزل محروما، ومن استعان فى أمره بغير الله لم يزل مخذولا.

* الذى حصل أهل الحقائق فى حقائقهم: أن الله تعالى غير مفقود فيطلب، ولا ذو غاية فيدرك، ومن أراد موجودا فهو بالموجود مغرور... وإنما الموجود عندنا معرفة حال، وكشف علم بلا حال.

---

(١) هذا حديث ضعيف.

* الدنيا بحر، والآخرة ساحل، والمركب التقوى، والناس سفر.

* لا زوال للنعمة إذا شكرت، ولا بقاء لها إذا كفرت.

* وقال في قوله تعالى:«وشروه بثمن بخس»: لو جعلوا ثمنه الكوتين لكان بخسا في مشاهدته وما خص به.

* مشاهدة الأرواح تحقيق، ومشاهدة القلوب تعريف.

* إذا اقتضاني ربي بعض حقه الذي له قبلي فذاك أوان حزني، وإذا أذن لي في اقتضاء بره فذاك أوان سروري ونعمتي. إذ كان بالجود والفضل والوفاء موصوفاً، والعبد بالعجز والضعف موصوفا.

* أعرف الناس بالله أشدهم تحيرا فيه.

* اليقين مشاهدة الإيمان بالغيب.

* من عرف الله لم يغتر بالله.

* الجمع عين الحق الذي قامت به الأشياء، والتفرقة صفوة الحق من الباطن.

* وأنشد:

العلم بي منك وطأ العذر عندك لي

حتى اكتفيت فلم تعذل ولم تلم

أقام علمك لي فاحتج عندك لي

مقام شاهد عدل غير متهم

* لا يصل العارف إلى ربه إلا بقطع القلب عن ثلاثة أشياء: العلم، والعمل، والخلق.

* وقال لرجل: يا دنيء الهمة. فقال: لم تقول هذا أيها الشيخ؟ قال: لأن الله تعالى يقول: «قل متاع الدنيا قليل» فانظر كم نصيبك من ذلك القليل؟ وكم في يدك منها، وأنت تبخل بها، وتريد أن يكرمك الناس بسببها؟ لو بذلتها كنت قد بذلت قليلا، ولو منعتها كنت قد منعت قليلا، فلا أنت بالمنع ملوم، ولا أنت بالبذل محمود!

أبو الحسن المزين

ومنهم أبو الحسن علي بن محمد المزين، من أهل بغداد، صحب الجنيد، وسهلا بن عبد الله ومن في طبقتهما من البغداديين، وأقام بمكة مجاورا، ومات بها.

وكان من أورع المشايخ وأحسنهم حالا، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة.

* وسئل عن المعرفة، فقال: أنت تعرف الله تعالى بكمال الربوبية، وتعرف نفسك بالعبودية. وتعلم أن الله تعالى أول كل شئ، وبه يقوم كل شئ، وإليه مصير كل شئ، وعليه رزق كل شئ.

* الطرق إلى الله تعالى بعدد النجوم، وأنا مفتقر إلى طريق واحد فلا أجده.

* من طلب الطريق إليه بنفسه تاه فى أول قدم، ومن أريد به الخير دل على الطريق، وأعين على بلوغ المقصد، فطوبى لمن كان قصده إلى ربه، دون عرض من أعراض الأكوان.

* من استغنى بالله أحوج الخلق إليه.

* وكان يوما بالتنعيم، يريد أن يحرم بعمرة، فأخذ يبكى طول طريقه، وينشد:

أنافعى دمعى فأبكيك

هيهات! مالى مطمع فيك!

فلم يزل كذلك حتى بلغ باب مكة.

* متى ظهرت الآخرة فنيت فيها الدنيا، ومتى ظهر ذكر الله فنيت فيه الدنيا والآخرة، فإذا تحققت الأذكار فنى العبد وذكره، وبقى المذكور بصفاته.

* للقلوب خواطر يشوبها شئ من الهوى، لكن العقول المقرونة بالتوفيق تزجر عنها وتنهى.

* وسئل عن التوحيد، فقال: أن توحد الله بالمعرفة، وتوحده بالعبادة، وتوحده بالرجوع إليه فى كل ما لك وعليك، وتعلم أن ما خطر بقلبك أو أمكنك الإشارة إليه، فالله تعالى بخلاف ذلك، وتعلم أن أوصافه مباينة لأوصاف خلقه... باينهم بصفاته قدما كما باينوه بصفاته حدثا.

* من افتقر إلى الله تعالى، وصحح فقره إليه بملازمة آدابه، أغناه الله به عن كل ماسواه.

* ملاك القلب فى التبرى من الحول والقوة.

* من أعرض عن مشاهدة ربه شغله الله بطاعته وخدمته، ولو بدا له نجم الاحتراق لغيبه عن وساوس الافتراق.

* ورئى يوما متفكرا، ثم اغرورقت عيناه، فقيل له: ما لك أيها الشيخ؟ فقال: ذكرت أيام تقطعى فى إرادتى، وقطعى المنازل يوما فيوما، وخدمتى لأولئك السادة من أصحابى... وتذكرت ما أنا فيه، من الفترة عن شريف الأحوال. وأنشأ يقول:

منازل كنت تهواها وتألفها

أيام أنت على الأيام منصور

* المعجب بعمله مستدرج، والمستحسن لشئ من أحواله ممكور به، والذى يظن أنه موصول فهو مغرور، وأحسن العبيد حالا من كان محمولا فى أفعاله وأحواله، لا يشاهد غير واحد، ولا يأنس إلا به، ولا يشتاق إلا إليه.

* وسئل عن الفقير الصادق، فقال: الذى يسكن إلى مضمون الله له، ويزعجه دخول الأرفاق عليه، من أى وجه كان.

أبو على بن الكاتب

ومنهم أبو على الحسن بن أحمد بن الكاتب، من كبار مشايخ المصريين، صحب أبا بكر المصرى، وأبا على الروذبارى، وغيرهما من المشايخ.

وهو أوحد مشايخ وقته، وكان أبو عثمان المغربى يقول: «كان أبو على الكاتب من السالكين»، وكان يعظمه ويعظم شأنه.

مات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* إذا انقطع العبد إلى الله بكليته، فأول مايفيده الاستغناء به عن سواه.

* المعتزلة نزهوا الله تعالى من حيث العقول فأخطأوا، والصوفية نزهوه تعالى من حيث العلم فأصابوا.

* إذا سمع الرجل الحكمة فلم يقبلها فهو مذنب، وإذا سمعها ولم يعمل بها فهو منافق .

* صحبة الفساق داء، ودواؤها مفارقتهم.

* إذا سكن الخوف فى القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه.

* وقيل له: إلى أى الجنبتين أنت أميل: إلى الفقر أو إلى الغنى؟. فقال: إلى أعلاهما رتبة وأسناهما قدرا، ثم أنشأ يقول:

ولست بنظّار إلى جانب الغنى

إدا كانت العلياء فى جانب الفقر

وإنى لصبّار علىماينوبنى

وحسبك أن الله أثنى على الصبر

* إن الله تعالى يرزق العبد حلاوة ذكره، فإن فرح به وشكره آنسه بقربه، وإن قصر فى الشكر أجرى الذكر على لسانه وسلبه حلاوته.

* روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وإن كتموها، وتظهر عليهم دلائلها وإن أخفوها، وتدل عليهم وإن ستروها. وأنشد على أثره:

إذا ما أسرت أنفس الناس ذكرها
تبينـــه فيهـم ولـم يتكلمـوا
تطيب به أنفاسـهم، فيذيعـــها
وهل سر مسك أودع الريح يكتم؟

* الهمة مقدمة الأشياء، فمن صحح همته بالصدق أتت عليه توابعه على الصحة والصدق، فإن الفروع تتبع الأصول، ومن أهمل همته أتت عليه توابعه مهملة ، والمهمل من الأحوال والأفعال لا يصلح لبساط الحق .

أبو الحسين بن بنان

ومنهم أبو الحسين بن بنان، وهو من جلة مشايخ مصر. صحب أبا سعيد الخراز، وإليه ينتمى .وكان يتواجد وأبو سعيد الخراز يصفق له مات فى التيه(١).

ومن كلامه:

* الناس يعطشون فى البرارى، وأنا عطشان على شط النيل.

* كل صوفى يكون هم الرزق قائما فى قلبه، فلزوم العمل أقرب له إلى الله، وعلامة ركون القلب والسكون إلى الله أن يكون قويا عند زوال الدنيا وإدبارها عنه وفقده إياها، ويكون بما فى يد الله أقوى وأوثق منه بما فى يده.

* اجتنبوا دناءة الأخلاق كما تجتنبون الحرام.

* الحرية أن يكون السر حرا إلا من عبودية سيده، يصح له بذلك العبودية للحق، والحرية عن الخلق.

* ذكر الله باللسان يورث الدرجات، وذكره بالقلب يورث القربات .

* الوحدة جليس الصديقين.

* آثار المحبة إذا بدت، ورياحها إذا هاجت، أماتت قوما وأحيت قوما، وأفنت أسرارا وأبقت أسرارا، تؤثرآثارا مختلفة، وتبدى سرائر مكنونة، وتكشف عن أحوال مستترة.

وأنشد على أثره:

وإذا الرياح مع العشى تناوحت
نبهن حاسـدة وهجـن غيـورا

* لا يعظم أقدار الأولياء إلا من كان عظيم القدر عند الله تعالى.

---

(١) شبه جزيرة سيناء.

أبوبكر بن طاهر الأبهرى

ومنهم أبو بكر عبد الله بن طاهر بن حاتم الأبهرى الطائى، كان من أجل المشايخ بالجبل، وهو من أقران الشبلى.

كان عالما ورعا، صحب يوسف بن الحسين ورافق مظفرا القرميسينى، وغيرهما من المشايخ قال مهلب بن أحمد المصرى: «ما نفعنى صحبة شيخ من المشايخ الذين لقيتهم، كما نفعنى صحبة أبى بكر عبد الله بن طاهر الأبهرى»،

مات قرب الثلاثين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن ركب المصرى قال: قال رسول الله ﷺ : «طوبى لمن تواضع فى غير منقصة، وذل فى نفسه فى غير مسكنة، وأنفق مالا جمعه فى غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذل والمسكنة طوبى لمن ذل نفسه، وطاب كسبه، وصلحت سريرته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله».

ومن كلامه:

* الجمع جمع المتفرقات، والتفرقة تفرقة المجموعات، فإذا جمعت قلت: الله ولا سواه، وإذا فرقت نظرت إلى الكون.

* جمعهم فى آدم، وفرقهم فى ذريته.

* احتياج الأشرار إلى الأخيار صلاح الطائفتين، واحتياج الأخيار إلى الأشرار فتنة الطائفتين.

* وسئل: ما بال الإنسان يحتمل من معلمه مالا يحتمل من أبويه؟ فقال: لأن أبويه سبب حياته الفانية. ومعلمه سبب حياته الباقية، وتصديق ذلك قول النبى ﷺ : «اغد عالما أو متعلما، ولا تكن فيما بين ذلك فتهلك».

* من حكم الفقير ألا يكون له رغبة، فإن كان ولابد فلا تجاوز رغبته كفايته.

* إذا أحببت أخا فى الله فأقل مخالطته فى الدنيا.

* وأنشد:

كل العذاب الذى فى الناس مسترق

مما بقلبى من شوق وتذكار

* فى المحن ثلاثة أشياء: تطهير وتكفير وتذكير، فالتطهير من الكبائر، والتكفير من الصغائر، والتذكير لأهل الصفاء .

* وسئل عن الحقيقة فقال: الحقيقة كلها علم. وسئل عن العلم، فقال: العلم كله حقيقة.

* رأيت رجلا يودع الكعبة، ويبكى، وينشد:

ألا ربٍّ من يدنو ويزعم أنه

يحبك، والنائى أود وأقرب

* من خاف على نفسه شق عليه ركوب الأهوال، ومن شق عليه ركوب الأهوال لا يرتقى إلى سمو المعالى فى الأحوال، قال النبى ﷺ : «إن الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية».

* التوكل ألا تعجز عن حكم وقتك، والمعرفة ألا تضيع حكم وقتك.

* وحضر جنازة، فرأى إخوان الميت يكثرون البكاء، فنظر إلى أصحابه وأنشد:

ويبكى على الموتى ويترك نفسه

ويزعم أن قد قل عنهم عزاؤه

ولو كان ذا عقل ورأى وفطنة

لكان عليه ـ لا عليهم ـ بكاؤه

مظفر القرميسينى

ومنهم مظفر القرميسينى، وهو من كبار مشايخ الجبل وجلتهم، ومن الفقراء الصادقين، صحب عبد الله بن الخراز، ومن فوقه من المشايخ، وكان أوحد المشايخ فى طريقته.

ومن كلامه:

* الصوم ثلاثة: صوم الروح بقصر الأمل، وصوم العقل بخلاف الهوى، وصوم النفس بالإمساك عن الطعام والمحارم .

* التواضع قبول الحق ممن كان.

* إذا صحت لك مودة أخيك فلا تبال متى يكون الالتقاء.

* وسئل عن التصوف، فقال: الأخلاق المرضية. .

* من صحب الأحداث على شرط السلامة والنصيحة أدَّاه ذلك إلى البلاء، فكيف بمن صحبهم على غير شروط السلامة؟!

* أخس الأرفاق أرفاق النسوان، على أى وجه كان.

* من عامل الله بالصدق استوحش من صحبة المخلوقين..

* العارف قلبه لمولاه، وجسده لخلقه.

* من أفقره الله إليه أغناه به، ليعرفه بالفقر عبوديته، وبالغنى ربوبيته.

* من قتله الحب أحياه القرب.

* الجوع إذا ساعدته القناعة مزرعة الفكرة، وينبوع الحكمة، وحياة الفطنة، ومصباح القلب.

* يحاسب الله المؤمنين يوم القيامة بالمنة والفضل، ويحاسب الكفار بالحجة والعدل.

* أفضل ما يلقى به العبد ربه نصيحة من قلبه، وتوبة من ربه.

* ليكن نظرك إلى الدنيا اعتباراً، وسعيك فيها اضطرارا، ورفضك لها اختيارا.

* خير الأرفاق ما فتح الله لك به من وجه حلال، من غير طلب ولا سعى.

* وقال فى قوله تعالى: «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا» قال:عملا يصلح أن يلقى به ربه.

* من آواه الله إلى قربه أرضاه بمجارى المقدور عليه، فإنه ليس على بساط القربة تسخط.

* بصحة الإيمان وكمال التقوى يفتح الله تعالى على العبد خيرى الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل : «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض».

* وسئل: «ما خير ما أعطى العبد؟ قال: فراغ القلب عما لا يعنيه، ليتفرغ إلى ما يعنيه.

* ليس لك من عمرك إلا نفس واحدة، فإن لم تفنها فيما لك، فلا تفنها فيما عليك.

* أفضل أعمال العبيد حفظ أوقاتهم، وهو ألا يقصروا فى أمر ، ولا يتجاوزوا عن حد.

* من تأدب بآداب الشرع تأدب به متبعوه، ومن تهاون بالآداب هلك وأَهْلَكَ.

* من لم يأخذ الأدب عن حكيم لا يتأدب به مريد.

أبو الحسين بن هند الفارسى

ومنهم أبو الحسين على بن هند الفارسى القرشى. من كبار مشايخ الفرس وعلمائهم. صحب جعفرا الحذَّاء، ومن فوقه من المشايخ بفارس، وصحب أيضا الجنيد وعمر المكى، ومن فى طبقتهم. وكان له الأحوال العالية والمقامات الزكية.

ومن كلامه:

* ليس حكم ما وصفنا حكم ما نازلنا.

* المتمسك بكتاب الله هو الملاحظ للحق على دوام الآفات، والمتمسك بكتاب الله لا يخفى عليه شئ من أمور دينه ودنياه، بل يجرى فى أوقاته على المشاهدة لا على الغفلة، يأخذ الأشياء من معدنها، ويضعها فى معدنها.

* استرح مع الله، ولا تسترح عن الله، فإن من استراح مع الله نجا، ومن استراح عن الله هلك... والاستراحة مع الله تروح القلب بذكره، والاستراحة عن الله مداومة الغفلة.

* أصول الخيرات أربعة: السخاء، والتواضع، والنسك، وحسن الخلق.

* أصل كل خير ملازمة الأدب فى جميع الأحوال والأعمال.

* عمارة القلب فى أربعة أشياء: فى العلم، والتقوى، والطاعة، وذكر الله. وخرابه من أربعة أشياء: من الجهل، والمعصية والاغترار، وطول الغفلة.

* دم على الصفاء إن كنت تطمع فى الوفاء.

* الاستقامة تقوِّم العبيد فى أحوالهم، لا الأحوال تقومهم.

* من أكرمه الله تعالى بمعرفة الحرمة والاحترام للأكابر، أوقع حرمته فى قلوب الخلق، ومن حرم ذلك نزع الله حرمته من قلوبهم، فلا تراه إلا ممقوتا، وإن حسنت أخلاقه وصلحت أحواله لأن النبى ﷺ قال: «من تعظيم جلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم».

* من عظم قدر الخلق كلهم عنده، فذلك لعلمه بتخصيص خلقهم من بين الحيوانات، وذلك من تعظيم الله فى قلبه أن يعظم ما خصصه الله عز وجل.

* حُسْن الخلق على معانٍ ثلاثة: مع الله بترك الشكوى، ومع أوامره بالقيام إليها بنشاط وطيب نفس، ومع الخلق بالبر والحلم.

* القلوب أوعية وظروف، وكل وعاء وظرف يصلح لنوع من المحمولات: فقلوب الأولياء أوعية المعرفة، وقلوب العارفين أوعية المحبة، وقلوب المحبين أوعية الشوق، وقلوب المشتاقين أوعية الأنس... ولكل من هذه الأحوال آداب، من لم يستعملها فى أوقاتها هلك من حيث يرجو النجاة.

* اجتهد ألا تفارق باب سيدك بحال، فإنه ملجأ الكل، فمن فارق تلك السدة لا يرى بعدها لقدميه قرارا ولا مقاما.

إبراهيم بن شيبان القرميسينى

ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن شيبان القرميسينى، شيخ الجبل فى وقته، له مقامات فى الورع والتقوى يعجز عنها الخلق إلامثله.

صحب أبا عبد الله المغربى، وإبراهيم الخواص، وكان شديدا على المدعين، متمسكا بالكتاب والسنَّة، لازما لطريقة المشايخ والأئمة.

وقال عبد الله بن محمد بن منازل: «إبراهيم حجة الله تعالى على الفقراء وأهل الآداب والمعاملات».

وأسند الحديث:

عن ابن عباس قال: «نظر رسول الله ﷺ إلى حنظلة الراهب وحمزة تغسلهما الملائكة».

ومن كلامه:

* من أراد أن يتعطل ويتبطل فليلزم الرخص.

* إن الخوف إذا سكن القلب أحرق مواضع الشهوات فيه، وطرد عنه رغبة الدنيا وبعده عنها، فإن الذى قطعهم وأهلكهم محبة الراكنين إلى الدنيا.

* علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية وصحة العبودية، وما كان غير هذا فهو المغاليط والزندقة.

* السفلة من لا يخاف الله تعالى.

* وقال مرة أخرى: السفلة من يعصى الله تعالى.

* وقال مرة: السفلة من يمن بعطائه على آخذه.

* التوكل سر بين الله وبين العبد، فلا ينبغى أن يطلع على ذلك السر أحد.

* من أراد أن يكون حرا من الكون فليخلص فى عبادة ربه، فمن تحقق فى عبادة ربه صار حرا مما سواه.

* قال لى أبى: يابنى! تعلم العلم لآداب الظاهر، واستعمل الورع لآداب الباطن، وإياك أن يشغلك عن الله شاغل، فقل من أعرض عنه فأقبل عليه.

* قلت: يا أبى! بماذا أصل إلى الورع؟ فقال لى: بأكل الحلال وخدمة الفقراء. فقلت له: من الفقراء؟ فقال: الخلق كلهم فقراء، فلا تمييز فى خدمة من يمكنك من خدمته، واعرف فضله عليك فى ذلك.

* سمعت أبى يقول: التواضع من تصفية الباطن تلقى بركاته على الظاهر، والتكبر من كدورة الباطن تظهر ظلمته على الظاهر.

* أهل المشاهدة لا يغيبون عنه قياما ولا قعوداً، ولا نائمين ولا منتبهين، ولهم أحوال يشتمل عليهم أنوار قربه فيغرقون فيها، ولا يتفرغون إلى الخلق وما هم فيه، وتلك أحوال الدهشة تراهم دهشين متحيرين، غائبين حاضرين... غائبين بأسرارهم، حاضرين بأبدانهم.

* عوض الله المؤمنين ــ فى الدنيا ــ مما لهم فى الآخرة بشيئين :عوضهم عن الجنة بالجلوس فى المساجد، وعوضهم عن النظر إلى وجهه تعالى النظر إلى إخوانهم المؤمنين.

* من ترك حرمة المشايخ ابتلى بالدعاوى الكاذبة وافتضح بها.

* من تكلم فى الإخلاص، ولم يطالب نفسه بذلك، ابتلاه الله بهتك ستره عند إخوانه وأقرانه.

أبو بكر بن يزدانيار

ومنهم أبو بكر الحسين بن على بن يزدانيار، من أهل أرمية. له طريقة فى التصوف يختص بها. وكان ينكر على بعض مشايخ العراق أقوالهم، وكان عالما بعلوم الظاهر، وعلوم المعاملات والمعارف.

وأسند الحديث:

عن جابر أن النبى ﷺ قال: «المؤمن يأكل فى معيٍ واحد، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء».

ومن كلامه:

* وردت القيامة[1] فرأيت آدم عليه السلام، والناس يسلمون عليه ويصافحونه، فذهبت لأصافحه وأسلم، فقال: اغرب عنى، أنت الذى وقعت فى أولادى الصوفية، لقد قرت عيناى بهم. فجاء قوم فحالوا بينى وبينه.

* ترانى تكلمت بما تكلمت به إنكارا على التصوف والصوفية؟ والله ما تكلمت إلا غيرة عليهم، حيث أفشوا أسرار الحق، وأبدوها إلى غير أهلها، فحملنى ذلك على الغيرة عليهم والكلام فيهم، وإلا فهم السادة، وبمحبتهم أتقرب إلى الله تعالى.

* وسئل: ما الفرق بين المريد والعارف؟. فقال: المريد طالب، والعارف مطلوب، والمطلوب مقتول، والطالب مرعوب.

* المحبة أصلها الموافقة، والمحب هو الذى يؤثر رضا محبوبه على كل شئ.

* الروح مزرعة الخير، لأنها معدن الرحمة. والنفس والجسد مزرعة الشر، لأنها معدن الشهوة. والروح مطبوعة بإرادة الخير، والنفس مطبوعة بإرادة الشر. والهوى مدبر الجسد، والعقل مدبر الروح، والمعرفة حاضرة فيما بين العقل والهوى، والمعرفة فى القلب، والهوى والعقل يتنازعان ويتحاربان، والهوى صاحب جيش النفس، والعقل صاحب جيش القلب، والتوفيق من الله مدد العقل، والخذلان مدد الهوى، والظفر لمن أراد الله سعادته، والخذلان لمن أراد الله شقاوته.

* رضا الخلق عن الله رضاهم بما يفعله، ورضاه عنهم أن يوفقهم للرضا عنه.

---

(١) يقصد أن ذلك كان فى الرؤيا أثناء النوم.

* المعرفة صحة العلم بالله، واليقين النظر بعين القلب إلى ماعند الله تعالى مما وعده وادخره.
* المعرفة تحقق القلب بوحدانية الله تعالى.
* المعرفة ظهور الحقائق وتلاقى الشواهد.
* من استغفر الله وهو ملازم للذنب حرم الله تعالى عليه التوبة والإنابة إليه.

أبو إسحاق إبراهيم بن المولد

ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن المولد، من كبار مشايخ الرقة وفتيانهم.
صحب أبا عبد الله بن الجلاء الدمشقى، وإبراهيم بن داود القصار الرقى. وكان من أفتى المشايخ، وأحسنهم سيرة.
وأسند الحديث:
عن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لو أذن الله لأهل الجنة فى التجارة، لاتجروا بالبز والعطر»[1].
ومن كلامه:
* من تولاه رعاية الحق أجل ممن تؤديه سياسة العلم.
* القيام بآداب العلم وشرائعه يبلغ بصاحبه إلى مقام الزيادة والقبول.
* إن العبد إذا أصبح كان مطالبا من الله بالطاعة. ومن نفسه بالشهوة، ومن الشيطان بالمعصية. لكن الله تعالى رفق به، حيث أمره فى ابتداء صباحه بأمر، وبعث إليه مناديا،ويندبه إلى أمر الله، وهم المؤذنون يؤذنون ويكبرون فى آذانهم، تكبيرات مكررات: الله أكبر، الله أكبر... فيكبر فى قلبه أمر سيده، فيبادر إلى طاعته، ويخالف هو نفسه وشيطانه، فإن بادر إليه أكرمه الله بالظفر على نفسه، وغلبته لشهوته، وأعانه على عدوه، بقطع الوساوس من قلبه، فإن من بادر إلى بابه، ودخل فى حرزه، صار غالبا لا مغلوبا.
* حلاوة الطاعة بالإخلاص تذهب بوحشة العجب.
* عجبت لمن عرف أن له طريقا إلى ربه كيف يعيش مع غير الله تعالى، والله يقول. «وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له».
* جبلت الأرواح من الأفراح، فهى تعلو أبدا إلى محل الفرح من المشاهدة، والأجساد خلقت من الأكماد، فهى لا تزال ترجع إلى كمدها، من طلب هذه الفانية والاهتمام بها ولها.
* وأنشد لبعضهم:

لولا مدامع عشاق ولوعتهم
لبان فى الناس عز الماء والنار

---

(1) هذا الحديث ضعيف.

فكل نار فمن أنفاسهم قدحت

وكل ماء فمن دمع لهم جارى

* ثمن التصوف فناؤك فيه، فإذا فنيت فيه بقيت بقاء الأبد، لأن من فنى عن حسوسه بقى بمشاهدة المطلوب، وذلك بقاء الأبد.

* الأدب فى الأكل ألا يمدوا أيديهم إلى الأرفاق إلا فى أوقات الضرورات، ثم على قدر إمساك الرمق.

* من قام إلى أوامر الله كان بين قبول ورد، ومن قام إليها بالله كان مقبولا لا شك.

* السياحة بالنفس لآداب الظواهر علما وشرعا وخلقا، والسياحة بالقلب لآداب البواطن حالا ووجدا وكشفا.

* الفترة بعد المجاهدة من فساد الابتداء، والحجب بعد الكشف من السكون إلى الأحوال.

* نفسك سائرة بك، وقلبك طائر بك، فكن مع أسرعهما وصولا.

أبو عبد الله بن سالم البصرى

ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سالم البصرى صاحب سهل بن عبد الله التسترى، وراوى كلامه،لا ينتمى إلى غيره من المشايخ.

وهو من أهل الاجتهاد. وطريقته طريقة أستاذه سهل، وله بالبصرة أصحاب ينتمون إليه، وإلى ابنه أبى الحسن.

ومن كلامه:

* سأله رجل: أنحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل؟ فقال: التوكل حال رسول الله ﷺ ، والكسب سنة رسول الله ﷺ ، وإنما استن الكسب لمن ضعف عن حال التوكل، وسقط عن درجة الكمال التى هى حاله ﷺ ، فمن أطاق التوكل فالكسب غير مباح له بحال، إلا كسب معاونة لا كسب اعتماد عليه، ومن ضعف عن حال التوكل التى هى حال رسول الله ﷺ ، أبيح له طلب المعاش والكسب، لئلا يسقط عن درجة سنته، حيث سقط عن درجة حاله.

* يزول عن القلب ظلم الرياء بنور الإخلاص، وظلم الكذب بنور الصدق.

* من صبر على مخالفة نفسه أوصله الله إلى مقام أنسه.

* وسئل: بماذا يعرف الأولياء فى الخلق؟ فقال: بلطف لسانهم، وحسن أخلاقهم، وبشاشةوجوههم، وسخاء أنفسهم، وقلة اعتراضهم، وقبول عذر من اعتذار إليهم، وتمام الشفقة على جميع الخلائق برهم وفاجرهم.

* من توكل على الله أسكن الله قلبه نور الحكمة، وكفاه كل هم، وأوصله إلى كل محبوب... فإنه عزوجل يقول: «ومن يتوكل على الله فهو حسبه»، أى القائم له بكل كفاية.

* التوكل على الله فريضة لقوله تعالى: «وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين»، والحركة فى طلب الرزق مباحة لمن عجز عن التوكل، فإن الله تعالى يقول: «كلوامن طيبات ما كسبتم». فما يفتح بالطلب والكسب منه طيب وخبيث، وما يفتح بالتوكل لا يكون إلا طيبا، لأن ذلك من معدن طيب.

* رؤية المنة مفتاح التودد.

* يستر عورات المرء عقله وحلمه وسخاؤه، ويقومه فى كل أحواله الصدق.

* اجتهد فى المراعاة لتلحقك الرعاية، فإن من كان فى رعاية الحق فى حصن حصين.

* من توحد ببثه، وتفرد بهمه، أورده ذلك إلى رياض تكشف عنه بثه، وتزيل عنه همه ومن شكا بثه كان مترددا فى الشكوى إلى أن يحكم الله فيه حكمه.

* العاقل من تبرم بعشرة المخالفين، وزهد فى صحبة أبناء الدنيا، فإنهم إن لم يشغلوه بها شغلوه عما هو فيه.

* ارفع قدرك عن ملازمة الطباع الدنيئة تدس بين ربع الكرم، وتعش إلى محل النعم، فإن ألفتها قطعت بك، وإن سئمتها بلغ بك إلى مالا أين ولا حد. ولا خبر ولا استخبار إذ ذاك، إن حصلت ثم حصلت لك قيمة، وكنت إذ ذاك.

محمد بن عليان النسوى

ومنهم محمد بن على بن عليان، من كبار مشايخ نسا،من قرية بيسمة، من جلة أصحاب أبى عثمان. وكان محفوظ يقول: «محمد بن عليان إمام أهل المعارف»

كان يخرج من نسا قاصدا إلى أبى عثمان فى مسائل واقعات، فلا يأكل ولا يشرب فى الطريق حتى يرد نيسابور، فيسأله عن تلك المسائل .

ومن كلامه:

* الزهادة فى الدنيا مفتاح الرغبة فى الآخرة.

* من لم يتحقق فى وداد ربه ومحبته، جعل مكان الوفاء فى المحبة غدرا، ومكان الألفة نفارا.

* كيف لا تحب من لم تنفك من بره طرفة عين؟ وكيف تدعى محبة من لم توافقه طرفة عين؟

* وسئل : ما علامة رضا الله عن العبد؟ فقال: نشاطه فى الطاعات، وتثاقله عن المعاصى.

* من أظهر كراماته فهو مدع، ومن ظهرت عليه الكرامات فهو ولى.

* الفقر لباس الأحرار، والغنى لباس الأبرار.

* من صحب الفقراء فليصحبهم على سلامة السر، وسخاء النفس، وسعة الصدر، وقبول المحن بالنعم.

* أفقر الفقراء من لا يهتدى إلى من يقدر على أن يغنيه.

* آيات الأولياء وكراماتهم رضاهم بما يسخط العوام عن مجارى المقدور.

* لا يصفو للسخى سخاؤه إلا بتصغيره، ورؤية فضل من يقبل منه.

* البر والمروءة حفظ الدين، وصيانة النفس. وحفظ حرمات المؤمنين، والجود بالموجود، وقصور الرؤية عنه وعن جميع أفعالك.

* الخوف له أثر فى القلب، يؤثر على ظاهر صاحبه الدعاء والتضرع والانكسار.

* علامة الأولياء خوف الانقطاع عنه، لشدة فى قلوبهم، من الإيثار له والشوق إليه.

* من خدم الله تعالى لطلب ثواب أو خوف عقاب فقد أظهر خسته، وأبدى طمعه، فقبيح بالعبد أن يخدم سيده لعوض.

* من سكن إلى غير الله تعالى أهمله تعالى وتركه، ومن سكن إلى الله تعالى قطع عليه طريق السكون إلى شئ سواه.

أبو بكر بن أبى سعدان

ومنهم أبو بكر أحمد بن محمد بن أبى سعدان، بغدادى من أصحاب الجنيد والنورى

وهو أعلم مشايخ الوقت بعلوم هذه الطائفة، وكان عالما بعلوم الشرع مقدما فيه، ينتحل مذهب الشافعى. وكان أحد أستاذى الشيخ أبى القاسم المغربى، ويعرف من علوم الصنعة وغير ذلك وكان ذا لسان وبيان. وكان بطرسوس فطلب من يرسل إلى الروم، فلم يجدوا مثله فى فضله وعلمه وفصاحته وبيانه ولسانه.

قال أبو الحسن بن حديق، وأبو العباس الفرغانى: «لم يبق فى هذا الزمان لهذه الطائفة إلا رجلان: أبو على الروذبارى بمصر، وأبو بكربن سعدان بالعراق، وأبو بكر أفهمهما».

ومن كلامه:

* من صحب الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك، فمتى نظر إلى شئ من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده.

* من عمل بعلم الرواية ورث علم الدراية، ومن عمل بعلم الدراية ورث علم الرعاية، ومن عمل بعلم الرعاية هدى إلى سبيل الحق.

* الشكر أن يشكر على البلاء شكره على النعماء.

* من سمع بأذنه حكى، ومن سمع بقلبه وعى، ومن عمل بما يسمع هدى واهتدى

* الانقطاع عن الأحوال سبب الوصول إلى الله تعالى.

* من قابله بأفعاله قابله بعدله، ومن قابله بإفلاسه قابله بفضله... ولا عمل أتم من الصدق، ولا أنور ولا أبلغ منه. وقد قال الله عز وجل: «ليسأل الصادقين عن صدقهم». تراه يقوم بحقيقة صدقه؟ أو بالجواب عن سؤاله، والأنبياء عجزوا حيث سئلوا : «ماذا أجبتم؟ قالوا : لا علم لنا».

* الصابر على رجائه لا يقنط من فضله.

* الاعتصام بالله هو الامتناع به من الغفلة والمعاصى، والبدع والضلالات.

* من جلس للمناظرة على الغفلة لزمته ثلاثة عيوب: أولها جدال وصياح، وهو المنهى عنه، وأوسطها حب العلو على الخلق، وهو المنهى عنه، وآخرها الحقد والغضب، وهو المنهى عنه. ومن جلس للمناصحة فإن أول كلامه موعظة، وأوسطه دلالة، وآخره بركة.

* من لم ينظر فى التصوف فهوغبى.

* إذا بدت الحقائق سقطت آثار الفهوم والعلوم، وبقى لها الرسم الجارى لمحل الأمر، وسقط منه حقائقها.

* خلقت الأرواح من النور، وأسكنت ظلم الهياكل. فإذا قوى الروح جانس العقل، وتواترت الأنوار، وأزالت عن الهياكل ظلمتها، فصارت الهياكل روحانية بأنوار الروح والعقل، فانقادت ولزمت طريقتها، ورجعت الأرواح إلى معدنها من الغيب تطالع مجارى الأقدار. فهذه تطالع الجارى من الأقدار، وهذه ترضى بموارد القضاء والقدر. وهذا من لطائف الأحوال.

* الصوفى هو الخارج عن النعوت والرسوم، والفقير هو الفاقد للأسباب. فقد السبب أوجب له اسم الفقر، وسهل له الطريق إلى المسبب... وصفاء الصوفى عن النعوت والرسوم ألزمه اسم التصوف، فصفى عن ممازجة الأكوان كلها، بمصافاة من صافاه فى الأزل بالأنوار والمبار.

* أول قسمة قسمت للنفس من الخيرات الروح، ليتروح به من مساكنة الأغيار، ثم العلم ليدله على رشده، ثم العقل ليكون مشيرا للعلم إلى درجات المعارف، ومشيرا للنفس إلى قبول العلم، وصاحبا للروح فى الجولان فى الملكوت.

الطبقة الخامسة

أبو سعيد بن الأعرابى

منهم أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم بن الأعرابى العنزى، بصرى الأصل، سكن بمكة، وكان فى وقته شيخ الحرم.

صنف للقوم كتبا كثيرة. وصحب أبا القاسم الجنيد بن محمد، وعمر بن عثمان المكى، وأبا الحسين النورى، وحسنا المسوحى، وأبا جعفر الحفار، وأبا الفتح الحمال. وكان من جلة مشايخهم وعلمائهم. وروى الحديث وكان ثقة.مات بمكة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تسبوا أصحابى، فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

ومن كلامه:

* إن الله تعالى طيب الدنيا للعارفين بالخروج منها، وطيب الجنة لأهلها بالخلود فيها. فلو قيل للعارف: إنك تبقى فى الدنيا لمات كمدا، ولو قيل لأهل الجنة إنكم تخرجون منها لماتوا كمدا، فطابت الدنيا بذكر الخروج منها، وطابت الجنة بذكر الخلود فيها.

*أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد.

* المعرفة كلها الاعتراف بالجهل، والتصوف كله ترك الفضل، والزهد كله أخذ ما لابد منه وإسقاط ما بقى، والمعاملة كلها استعمال الأولى فالأولى من العلم، والتوكل كله طرح الكنف، والرضا كله ترك الاعتراض، والمحبة كلها إيثار المحبوب على الكل، والعافية كلها إسقاط التكلف، والصبر كله تلقى البلاء بالرحب، والتفويض كله الطمأنينة عند الموارد، واليقين كله ترك الشكوى عندما يضاد مرادك، والثقة بالله علمك أنه بك وبمصالحك أعلم منك بنفسك.

* إن الله تعالى أعار بعض أخلاق أوليائه أعداءه، ليستعطف بهم على أوليائه.

* القلوب إذا أقبلت روحت بالأرفاق، وإذا أدبرت ردت إلى المشاق.

* من أصلح الله همته لا يتعبه بعد ذلك ركوب الأهوال ولا مباشرة الصعاب، وعلا بعلو همته إلى أسنى المراتب، وتنزه عن الدناءة أجمع.

* اشتغالك بنفسك يقطعك عن عبادة ربك،واشتغالك بهموم الدنيا يقطعك عن هموم الآخرة، ولا عبد أعجز من عبد نسى فضل ربه، وعد عليه تسبيحه وتكبيره، الذى هو إلى الحياء منه أقرب من طلب ثواب عليه أو افتخار به.

* ثبت الوعد والوعيد من الله تعالى. فإن كان الوعد قبل الوعيد فالوعيد تهديد، وإن كان الوعيد قبل الوعد فالوعيد منسوخ، وإذا اجتمعا معا فالغلبة والثبات للوعد، لأن الوعد حق العبد، والوعيد حقه عز وجل، والكريم يتغافل عن حقه، ولا يهمل ويترك ما عليه.

* إن الله تعالى جعل نعمته سببا لمعرفته، وتوفيقه سببا لطاعته، وعصمته سببا لاجتناب معصيته، ورحمته سببا للتوبة، والتوبة سببا لمغفرته والدنو منه.

* إن الله تعالى خلق ابن آدم من الغفلة، وركب فيه الشهوة والنسيان، فهو كله غفلة، إلا أن يرحم الله عبدا فينبهه، وأقرب الناس إلى التوفيق من عرف نفسه بالعجز والذل، والضعف وقلة الحيلة، مع التواضع لله، وقل من ادعى فى أمر قوة إلا خذل، ووكل إلى قوته.

* مدارج العلوم بالوسائط، ومدارج الحقائق بالمكاشفة.

* من طلب الطريق إليه وصل إلى الطريق بجهد واجتهاد ومجاهدة، ومن طلبه استغنى عن الطريق والأدلة، وكان الحق دليله إليه، وموصله لا غير.

* وسئل : ما الذى ترضى من أوقاتك؟. فقال: الأوقات كلها لله تعالى، وأحسن الأوقات وقت يجرى الحق فيه على ما يرضيه عنى.

* وسئل عن أخلاق الفقراء، فقال: أخلاقهم السكون عند الفقر، والاضطراب عند الوجود، والأنس بالهموم، والوحشة عند الأفراح.

أبو عمرو الزجاجي

ومنهم أبو عمرو محمد بن إبراهيم بن يوسف بن محمد الزجاجى. نيسابورى الأصل، صحب أبا عثمان والجنيد والنورى ورويما وإبراهيم الخواص. دخل مكة وأقام بها، وصار شيخها والمنظور إليه فيها، حج قريبا من ستين حجة.

وكان بمكة الكنانى والنهرجورى والمرتعش وغيرهم من المشايخ، فكانوا يعقدون حلقة وصدر الحلقة للزجاجى، وإذا تكلموا فى شئ رجع جميعهم إلى ما يقوله. ويقول أبو عثمان المغربى: «كان أبو عمرو من السالكين». وآياته وفضائله أكثر من أن تحصى وتعد.

توفى بمكة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* المعرفة على ستة أوجه: معرفة الوجدانية، ومعرفة التعظيم، ومعرفة المنة، ومعرفة القدرة ومعرفة الأزل، ومعرفة الأسرار.

* وسئل : ما بالك تتغير عند التكبيرة الأولى فى الفرائض؟ فقال: لأنى أفتتح فريضتى بخلاف الصدق، فمن يقل: الله أكبر، وفى قلبه شئ أكبر منه، أو قد كبر شيئا سواه على مرور الأوقات، فقد كذب نفسه على لسانه.

* من تكلم على حال لم يصل إليه كان كلامه فتنة لمن يسمعه، ودعوى تتولد فى قلبه، وحرمه الله الوصول إلى ذلك الحال وبلوغه.

* قسم الله الرحمة لمن اهتم بأمر دينه.

* وسئل عن الحمية، فقال: الحمية فى القلوب تصحيح الإخلاص وملازمته، والحمية فى النفوس ترك الدعوى ومجانبتها.

* الحمية ترك الشكوى من البلوى، بل استلذاذ البلوى. إذ الكل منه، فمن أسخطه وارد من محبوبه يبين عليه نقصان محبته.

* ما أدون حال من يحتاج إلى مزعج يزعجه إليه!

* السماع من ضعف الحال، ولو قوى لاستغنى عن السماع والأوتار.

* من جاور بالحرم وقلبه متعلق بشئ سوى الله تعالى فقد أظهر خسارته.

* من تشوف بالحرم رفقا من غير من جاوره، بعده الله عن جواره، ووكل بقلبه الشح، وأطلق لسانه بالشكوى، ومسح قلبه عن المعارف، وأظلمه عن أنوار اليقين، ووكله إلى حوله وقوته، ومقته عند خلقه.

* الضرورة ما تمنع صاحبها عن القيل والقال والخبر والاستخبار، وتشغله بالاهتمام بوقته من التفرغ إلى أوقات غيره.

* كان الناس فى الجاهلية يتبعون ما تستحسنه عقولهم وطبائعهم، فجاء النبى ﷺ فردهم إلى الشريعة والاتباع. فالعقل الصحيح هو الذى يستحسن محاسن الشريعة ويستقبح ما تستقبحه.

* وقال له رجل: كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فقال: أبشر، فشوقك إليه أزعجك لطلب دليل يدلك عليه.

جعفر بن محمد الخلدى

ومنهم أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير الخواص الخلدى، بغدادى المولد والمنشأ. صحب الجنيد بن

محمد وعرف بصحبته، وصحب أبا الحسين النورى، ورويما وسمنون، وأبا محمد الجريرى، وغيرهم من مشايخ الوقت... وكان المرجع إليه فى علوم القوم وكتبهم، وحكاياتهم وسيرهم.

قال: « عندى مائة ونيف وثلاثون ديوانا من دواوين الصوفية»، فقيل له: عندك من كتب محمد بن على الترمذى شئ؟ فقال: لا، ما عددته فى الصوفية.

كان من أفتى المشايخ وأجلهم، وأحسنهم قولا حج قريبا من ستين حجة. وتوفى ببغداد سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، وقبره بالشونيزية عند قبر سرى السقطى والجنيد.

وأسند الحديث ورواه:

عن عمرعن رسول الله ﷺ قال: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو حى لا يموت، بيده الخير وهو على كل شئ قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة.

أو قال: بنى له بيتا فى الجنة.

قال الراوى: فقدمت خراسان فلقيت قتيبة بن مسلم فقلت: أتيتك بهدية، فحدثته بالحديث. فكان قتيبة يركب فى موكبه فيأتى السوق، فيقولها ثم ينصرف.

ومن كلامه:

* لا يجد العبد لذة المعاملة مع لذة النفس، لأن أهل الحقائق قطعوا العلائق التى تقطعهم عن الحق قبل أن تقطعهم العلائق.

* الفرق بين الرياء والإخلاص أن المرائى يعمل ليرى، والمخلص يعمل ليصل.

* الفتوة احتقار النفس، وتعظيم حرمة المسلمين .

* سمعت الجنيد ــ وسئل عن التصوف ــ يقول: «العلو إلى كل خلق شريف، والعدول عن كل خلق دنئ». فسأله السائل، فقال: ما تقول أنت ؟ فقال: مثل قوله. ثم قال: المتناهى فى حاله يتوقى كل شئ، ويدخل فى كل شئ، ويأخذ من كل شئ ،ولا يسترقه شئ، ولا يأخذ منه شئ. واستدل بأمر النبى ﷺ فى أوليته، إذا رأى نزول الوحى عليه يقول: «دثرونى! دثرونى!» حتى تمكن.

* كُن لله عبدا خالصا تكن عن الأغيار حرا.

* وسئل عن التوكل فقال: استواء القلب عند الوجود والعدم، بل الطرب عند العدم، والخمول عند الوجود،

بل الاستقامة مع الله تعالى على الحالين.

* ومر بمقبرة الشونيزية وامرأة تبكى بكاء بحرقة، وتندب على قبر، فقال لها: مالك؟. فقالت: ثكلى بولدى، فأنشد يقول:

يقولون: ثكلى، ومن لم يذق
فـراق الأحبـة لـم يثكـل
لقـد جـرعتنى ليالى الفـراق
شـرابا أمـرّ من الحنظـل

* كن شريف الهمة، فإن الهمم تبلغ بالرجال، لا المجاهدات.

* سعى الأحرار لإخوانهم، لا لأنفسهم.

* اجتنب الـدعاوى، والتزم الأوامـر، فكثيـرا ماكنت أسمـع سيدنا الجنيـد يقول: من لزم طريق المعـاملة على الإخلاص أراحه الله من الدعاوى الكاذبة.

* إن ما بين العبد وبين الوجود أن تسكن التقوى قلبه، فإذا سكنت التقوى نزلت عليه بركات العلم، وطردت رغبة الدنيا عنه.

* من أراد أن يزهد فليزهد أولا فى الرياسة، ثم ليزهد فى قدر نصيب نفسه ومراداتها.

* المجاهدات فى السياحات، والسيـاحة سياحتان: سياحة النفس بالسيـر فى الأرض ليرى أولياء الله، أو يعتبر بآثار قدرته، وسـياحة القلب ليجـول فى الملكوت، فيورد على صـاحبه بركات مـشاهدات الغيوب، فـيطمئن القلب عند الموارد لمشاهدة الغيوب، وتطمئن النفس عن المرادات لبركة آثار القدرة عليه.

* وسئل عن العقل، فقال: العقل ما يبعدك عن مراتع الهلكة.

* المحب يجهد فى كتمان حبه، وتأبى المحبة إلا الاشتهار، وكل شئ ينم على الحب حتى يظهره.

* وأنشد فى خلال كلام لبعضهم:

زائـر نـم عليـه حسـنه
كـيف يخفى الليل بدراً طالعا؟
راقب الغفـلة حتـى أمكنت
ورعى الحـارس حتى هجعا

ركب الأهـــوال فى زورتــه

ثم ما ســلم حتــى ودعــا

* وسئل عن قـوله تعالى: «ومن يكـفر بالإيمان فقـد حبط عـمله»، فقـال: من لا يجتهـد فى معـرفتـه لا تقبل خدمته.

* من ألقى إليه روح الصـلاح التزم الحرمـة للخلق، ومن ألقى إليه روح الصديقـية طالب نفسـه بالصدق فى أحواله، ومن ألقى إليه روح المعرفة عرف موارد الأمـور ومصادرها، ومن ألقى إليه روح المشاهدة أكرم بالعلم اللدنى.

أبو العباس القاسم السيارى

ومنهم أبو العباس القاسم بن القاسم بن مهدى السيارى، ابن بنت أحمد بن سيار.

كان من أهل مـرو وشيخهم، وأول من تكـلم عندهم من أهل بلدهم فى حقائق الأحـوال، صحب أبا بكر محمد بن موسى الفرغانى الواسطى، وإليه ينتـمى فى علوم هذه الطائفة، وكان أحسن المشايخ لسانا فى وقته، يتكلم فى علوم التوحيد على لسان الجبر،وجميع من بكورته من أهل السنَّة فهم أصحابه.

كان فقيها عالما، كتب الحديث الكثير ورواه، توفى سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة. وأسند الحديث:

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ : «خير الكلام أربع، لا يضرك بأيهن بدأت: سـبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

وعن على بن أبى طالب كـرم الله وجهه قـال: قال رسـول الله ﷺ. «إن لله تسعة وتـسعين اسمـا، مائة غـير واحد، ما من عبد يدعو بهذه الأسماء إلا وجبت له الجنة.

أنه وتر يحب الوتر. هو الله الذى لا إله إلا هو الـرحمن الرحـيم، الملك القدوس، السـلام المؤمن، المهيـمن العزيز، الجبـار المتكبر، الخالق البارئ المصور، الغـفار القهار الوهاب الرزاق، الفتـاح العليم، القابض الباسط، الخافض الرافع، المعز المذل، السـميع البصير، الحـكم العدل، اللطيف الخبير، الحليم العظـيم، الغفور الشكور، العلى الكبير، الحفيظ المقيت الحسيب، الجليل الكريم، الرقيب المجيب، الواسع الحكيم، الودود المجيد، الباعث الشهـيد، الحق الوكـيل، القوى المتين، الولى الحـميـد، المحصى المبدىء المعـيد، المحيى المميت، الحى القـيوم، الواجد الماجد، الواحد الصمد، القادر المقتـدر، المقدم المؤخر، الأول الآخر الظاهر الباطن، الوالى المتعالى، البر التواب، المنتـقم العفو الـرءوف، مالك الملك ذو الجلال والإكـرام، المقسط الجامع، الغنى المـغنى، المانع الضار النافع، النور الهادى البديع الباقى، الرشيد الصبور» مثل حديث الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه.

ومن كلامه:

* قيل له: بم يروض المريد نفسه؟ وكيف يروضها؟ فقال: بالصبر على الأوامر، واجتناب النواهى، وصحبة الصالحين، وخدمة الرفقاء، ومجالسة الفقراء، والمرء حيث وضع نفسه. ثم تمثل وأنشد يقول:

صبرت على اللذات حتى تولت

وألزمت نفسى هجرها فاستمرت

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى

فإن أطعمت تاقت، وإلا تسلت

وكانت على الأيام نفس عزيزة

فلما رأت عزمى على الذل ذلت!

* الأغنياء أربعة: غنى بالله، وغنى بغنى الله. قال النبى ﷺ: «الغنى غنى القلب» ،وغنى باليقين. قال النبى ﷺ: «كفى باليقين غنى»، وغنى لا يذكر غنى ولا فقرا، لما ورد على سره من هيبة القدرة.

* وسئل عن المعرفة، فقال: حقيقة المعرفة الخروج عن المعارف.

* حقيقة المعرفة ألا يخطر بالقلب ما دونه.

* ما التذ عاقل بمشاهدة قط، لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيه لذة ولا التذاذ، ولا حظ ولا احتظاظ.

* من عرف الله خضع له كل شئ لأنه عاين أثر ملكه فيه.

* ما نطق أحد عن الحق إلا من كان محجوبا.

* الحق إذا لاحظ عبدا ببره غيبه عن كل مكروه فى وقته، وإذا لاحظه بسخطه أظهر عليه من الوحشة ما يهرب منه كل أحد.

* من حفظ قلبه مع الله بالصدق أجرى على لسانه الحكمة.

* الخطرة للأنبياء، والوسوسة للأولياء، والفكرة للعوام، والعزم للفتيان.

* ما استقام إيمان عبد حتى يصبر على الذل مثلما يصبر على العز.

* حسوس قصرت عن أوائلها فتخلفت عن أواخرها، وغذيت بما لا خطر له، كيف يمر بها ذكر بارئها؟.

* ظُلَم الأطماع تمنع أنوار المشاهدات.

* الربوبية نفاذ الأمر والمشيئة، والتقدير والقضية. والعبودية معرفة المعبود، والقيام بالعهود.

* وقال فى قوله تعالى: «كل يوم هو فى شأن» قال: إظهار غائب، وتغييب ظاهر.

* وقال له رجل: أوصنى. فقال: كن شريف الهمة، قريب المنظر، بعيد المأخذ، عزيزا غريبا.

* لباس الهداية للعامة، ولباس الهيبة للعارفين، ولباس الزينة لأهل الدنيا، ولباس اللقاء للأولياء، ولباس التقوى لأهل الحضور. قال الله تعالى: «ولباس التقوى ذلك خير».

* من دقق النظر فى أمر دينه وسع عليه الصراط فى وقته، ومن وسع النظر فى أمر دينه ضيق عليه الصراط فى وقته، ومن غاب عن حقوقه بحقوقه تعالى غاب عن كل شدة وعقوبة.

أبو بكر محمد بن داود الدقى

ومنهم أبو بكر محمد بن داود الدينورى الدقى. أقام بالشام، وعمر فوق مائة سنة، وكان من أقران أبى على الروذبارى، إلا أنه عمر.

صحب أبا عبد الله بن الجلاء، وإليه كان ينتمى، وكان من أجل مشايخ وقته، وأحسنهم حالا، وأقدمهم صحبة للمشايخ، وصحب أيضا أبا بكر الزقاق الكبير، وأبا بكر المصرى، مات بعد الخمسين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* سئل عن الفرق بين الفقر والتصوف. فقال: الفقر حال من أحوال التصوف. فقيل له: ما علامة الصوفى؟ فقال: أن يكون مشغولا بكل ماهو أولى به من غيره، ويكون معصوما عن المذمومات.

* علامة القرب الانقطاع عن كل شئ سوى الله تعالى.

* كم من مسرور سروره بلاؤه، وكم من مغموم غمه نجاته.

* الفقير هو الذى عدم الأسباب من ظاهره، وعدم طلب الأسباب من باطنه.

* من عرف ربه لم ينقطع رجاؤه، ومن عرف نفسه لم يعجب بعمله، ومن عرف الله لجأ إليه، ومن نسى الله لجأ إلى المخلوقين، والمؤمن لايسهو حتى يغفل، فإذا تفكر حزن أو استغفر.

* كلام الله تعالى إذا أضاء على السرائر بأشراقه أزال البشرية برعوناتها.

* وسئل عن سوء أدب الفقراء مع الله تعالى فى أحوالهم، فقال: ذاك انحطاطهم عن حقيقة العلم إلى ظاهر العلم.

* المعدة موضع لجميع الأطعمة، فإذا طرحت فيها الحلال صدرت الأعضاء بالأعمال الصالحة، وإذا طرحت فيها الشبهة اشتبه عليك الطريق إلى الله تعالى، وإذا طرحت فيها الحرام كان بينك وبين الله حجاب.

* إن القلوب التى نزهت عن العيوب لتأييد ورد عليها من الغيوب.

* الإخلاص أن يكون ظاهر الإنسان وباطنه، وسكونه وحركاته، خالصا لله، لا يشوبه حظ نفس. ولا هوى،

ولا خلق، ولا طمع.

* خلق الله تعالى الخلائق كلهم متحركين، يدبون على الأرض، وجعل الحياة منهم لأهل المعرفة، فالخلق متحركون فى أسبابهم، وأهل المعرفة أحياء بحياة معروفهم، فلا حياة حقيقة إلا لأهل المعرفة، لا غير.

أبو محمد عبد الله بن محمد الشعرانى

ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الرازى الشعرانى. رازى الأصل، ومولده ومنشؤه بنيسابور.

صحبْ الجنيد بن محمد، وأبا عثمان، ومحمد بن الفضل، ورويما، وسمنون، ويوسف بن الحسين، وأبا على الجوزجانى، ومحمد بن حامد وغيرهم من مشايخ القوم، وهو من جلة أصحاب أبى عثمان، وكان أبو عثمان يكرمه ويجله، ويعرف له محله.

وهو من أجل مشايخ نيسابور فى وقته، له من الرياضات ما يعجز عنها إلا أهلها، وكان عالما بعلوم الطائفة، وكتب الحديث الكثير ورواه ... وكله ثقة.

مات سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن أنس رضى الله عنه قال: أمر بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة.

ومن كلامه:

* وسئل: ما بال الناس يعرفون عيوبهم وعيوب ما هم فيه، ولا ينتقلون من ذلك، ولا يرجعون إلى طريق الصواب؟ فقال: لأنهم اشتغلوا بالمباهاة بالعلم، ولم يشتغلوا باستعماله، واشتغلوا بآداب الظواهر وتركوا آداب البواطن، فأعمى الله قلوبهم عن النظر إلى الصواب، وقيد جوارحهم عن العبادات.

* العارف لا يعبد الله على موافقة الخلق، بل يعبده على موافقة الله عزوجل.

* دلائل المعرفة العلم، والعمل بالعمل، والخوف على العمل.

* المعرفة تهتك الحجب بين العبيد وبين مولاهم، والدنيا هى التى تحجبهم عن مولاهم.

* إنما تتولد الشكوى وضيق الصدر من قلة المعرفة بالله عز وجل.

* الخلق كلهم يدعون المعرفة، ولكنهم عن صدق المعرفة بمعزل. وصدق المعرفة خص بها الأنبياء صلوات الله عليهم، والسادة من الأولياء رضى الله عنهم.

* من أراد أن يعرف محل نفسه، ومتابعتها للحق، أو مخالفتها له، فلينظر إلى من يخالفه فى مراد له، كيف

يجد نفسه عند ذلك، فإن لم تتغير فليعلم أن نفسه متابعة للحق.

* قيل لبعض العارفين: ما الذى حبب إليك الخلوة، ونفى عنك الغفلة؟ فقال: وثبة الأكياس من فخ الدنيا.

* من لم يغتنم السكوت فإنه إذا نطق نطق بلغو.

* وقال له أبو نصر الحرانى: علمنى دعاء أدعوبه. فقال: قل: اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة، وهب لنا تصحيح المعاملة بيننا وبينك على السنّة، وصدق التوكل عليك، وحسن الظن بك، وامنن علينا بكل ما يقربنا منك، مقرونا بالعوافى فى الدارين.

أبو عمرو إسماعيل بن نجيد

ومنهم أبو عمرو إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف بن سالم بن خالد السلمى... جدى لأمى رحمه الله.

صحب أبا عثمان الحيرى، وهو من كبار أصحابه، وهو آخر من مات من أصحاب أبى عثمان. ولقى الجنيد، وكان من أكبر مشايخ وقته. له طريقة ينفرد بها: من تلبيس الحال، وصون الوقت، سمع الحديث ورواه، وكان ثقة. مات سنة ست وستين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يقبل الهدية ويثيب عليها.

ومن كلامه:

* من لم تهذبك رؤيته فاعلم أنه غير مهذب.

* وسئل: ما التصوف؟ فقال: الصبر تحت الأمر والنهى.

* وسئل: ما التوكل؟ فقال: أدناه حسن الظن بالله عز وجل.

* من أراد أن يعرف قدر معرفته بالله تعالى،فلينظر قدر هيبته له وقت خدمته له.

* إنما تتولد الدعاوى من الاغترار،وتستوطن الأسرار.

* كل حال لا يكون عن نتيجة علم ــ وإن جل ــ فإن ضرره على صاحبه أكثر من نفعه.

* من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه.

* من ضيع فى وقت من أوقاته فريضة افترضها الله عليه فى ذلك الوقت حرم لذة تلك الفريضة إلا بعد حين.

* المتوكل الذى يرضى بحكم الله تعالى فيه.

* تربية الإحسان خير من الإحسان.

* لا يصفو لأحد قدم فى العبودية حتى تكون أفعاله كلها عنده رياء، وأحواله كلها عنده دعاوى.

* وسئل: ما الذى لابد للعبد منه؟ فقال: ملازمة العبودية على السنَّة، ودوام المراقبة.

* وسئل: من أين تتولد الدعاوى؟ فقال: إنما تتولد الدعاوى من فساد الابتداء، فمن صحت بدايته تصح له النهاية، ومن فسدت بدايته فإنه يهلك فى أرجاء أحواله وقتا ما. قال الله تعالى: «أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار»!

* التهاون بالأمر من قلة المعرفة بالآمر.

* لا يكون للملامتى دعوى، لأنه لا يرى لنفسه شيئا فيدعى به، قال تعالى: «إنما يخشى الله من عباده العلماء».

* وقال له عبد الواحد بن على السيارى: أوصنى. فقال: الزم مواجب العلم، واحترم لجميع المسلمين، ولا تضيع أيامك فإنها أعز شئ لك، ولا تتصدر ما أمكنك، وكن خاملا فيما بين الناس، فبقدر ما تتعرف إليهم وتشتغل بهم تضيع حظك من أوامر ربك.

* من قدر على إسقاط جاهه عند الخلق سهل عليه الإعراض عن الدنيا وأهليها.

* من أظهر محاسنه لمن لا يملك ضره ولا نفعه فقد أظهر جهله.

* الهمم توصل النفوس إلى سنى المراتب.

* من استقام لا يعوج به أحد، ومن أعوج لا يستقيم به أحد.

* الأنس بغير الله وحشة.

* من صح تفكره صدق نطقه وخلص عمله.

* الطمأنينة إلى الخلق عجز.

أبو الحسن على بن أحمد البوشنجى

ومنهم أبو الحسن على بن أحمد بن سهل البوشنجى، أوحد فتيان خراسان. لقى أبا عثمان، وصحب بالعراق ابن عطاء والجريرى، وبالشام طاهرا وأبا عمر والدمشقى، وتكلم مع الشبلى فى مسائل. وهو من أعلم مشايخ وقته بعلوم التوحيد وعلوم المعاملات، وأحسنهم طريقة فى الفتوة والتجريد. وكان ذا خلق، متدينا، متعهدا للفقراء .

مات سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا من الأوجاع كلها أن نقول: باسم الله

الكبير، أعوذ بالله العظيم، من شر عرق نعار[1]. ومن شرحر النار».

ومن كلامه:

* سئل عن السنَّة، فقال: البيعة تحت الشجرة، وما وافق ذلك من الأفعال والأقوال.

* وسئل عن التصوف، فقال: اسم لا حقيقة وقد كان قبل حقيقة ولا اسم.

* وسئل عن المروءة، فقال: ترك استعمال ماهو محرم عليك مع الكرام الكاتبين.

* الناس على ثلاث منازل: الأولياء وهم الذين باطنهم أفضل من ظاهرهم، والعلماء وهم الذين سرهم وعلانيتهم سواء، والجهال وهم الذين علانيتهم تخالف أسرارهم، لا ينصفون من أنفسهم، ويطلبون الإنصاف من غيرهم.

* وسئل عن التصوف، فقال: هو الحرية والفتوة، وترك التكلف فى السخاء، والتظرف فى الأخلاق.

* وسئل: من الظريف ؟ فقال: الخفيف فى ذاته وأخلاقه وأفعاله وشمائله من غير تكليف.

* ليس فى الدنيا أسمج من محب لسبب أو عوض.

* وسئل: ما المروءة؟ فقال: حسن السر والبشر.

* وقال له أبو الحسن السراج: ادع الله لى. فقال: أعاذك الله من فتنتك وبلائك، لأن الفتنة والبلاء ليسا إلا من نفسك.

* أول الإيمان منوط بآخره. ألا ترى أن عقد الإيمان: لا إله إلا الله، والإسلام منوط بأداء الشريعة بالإخلاص. قال الله تعالى: «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين».

* وسئل عن الفتوة، فقال: حسن المراعاة، ودوام المراقبة، وألا ترى من نفسك ظاهرا يخالفه باطنك.

* الخير منّا زلّة، لأن الشر لنا صفة.

* من ذل فى نفسه رفع الله قدره، ومن عز فى نفسه أذله الله فى أعين عباده.

أبوعبد الله محمد بن خفيف

ومنهم أبو عبد الله محمد بن خفيف بن أسفكشاذ الضبى، المقيم بشيراز. كانت أمه نيسابورية، وكان شيخ المشايخ فى وقته.

صحب رويما والجريرى وأبا العباس بن عطاء، وطاهرا المقدسى وأبا عمرو الدمشقى. ولقى الحسين بن منصور. وكان عالما بعلوم الظاهر وعلوم الحقائق.

---

(١) نعر العرق بالدم إذا ارتفع وعلا. وجرح نعار إذا كان لدمه صوت عند خروجه.

أوحد المشايخ فى وقته حالا وعلما وخلقا. مات سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ : «لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما أعطى كافرا منها شربة».

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بى إلى السماء سمعت تذمرا فقلت: يا جبريل، من هذا؟ قال: موسى يتذمر على ربه. فقلت: ولم ذلك؟ قال: عرف ذلك منه فاحتمله».

ومن كلامه:

* سئل عن التصوف، فقال: تصفية القلب عن موافقة البشرية، ومفارقة أخلاق الطبيعة، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة دعاوى النفسانية، ومنازلة صفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ماهو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول ﷺ فى الشريعة.

* الرياضة كسر النفوس بالخدمة، ومنعها عن الفترة.

* الانبساط سقوط الاحتشام عند السؤال.

* قدم علينا بعض أصحابنا فاعتل، وكانت به علة البطن، فكنت أخدمه، وآخذ منه الطست طول الليل، فغفوت عنه مرة. فقال لى: نمت لعنك الله! فقيل له : كيف وجدت نفسك عند قوله: لعنك الله؟ فقال: كقوله: رحمك الله.

* الإيمان تصديق القلب بما أعلمه الحق من الغيوب.

* الخوف اضطراب القلوب بما علمت من سطوة المعبود.

* التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله تعالى.

* التوكل هو الاكتفاء بضمانه، وإسقاط التهمة عن قضائه.

* حقيقة الإرادة استدامة الكد، وترك الراحة.

* المطالبات شتى: فمطالبة الإيمان ما حداك عليه من صحة التصديق بوعده ووعيده. ومطالبة العلم ما تبين به أحكامه فظهرت دلائله، وطالبك الحق باستعماله. ومطالبة الحق وهو الذى إذا بدا قهرك، وجذبك إلى ما أراد بصولته.

* ليس شئ أضر بالمريد من مسامحة النفس فى ركوب الرخص، وقبول التأويلات.

* المشاهدة اطلاع القلوب بصفاء اليقين إلى ما أخبر الحق عن الغيوب.

* القرب طى المسافات بلطيف المداناة.

* وسئل عن القرب، فقال: قربك منه بملازمة الموافقات، وقربه منك بدوام التوفيق.

* الواصل من اتصل بمحبوبه دون كل شئ سواه، وغاب عن كل شئ سواه.

* الدنف من احترق فى الأشجان، ومنع من بث الشكوى.

* الهمة جذب شواهد المهموم بالذهاب إليه.

* وسئل: لم صار بلاء المحبين أعظم من سائر الأحوال؟ فقال: لأنهم آثروه على أرواحهم، فابتلاهم بحبه لهم، فقال: « يحبهم»[1] ومن يطيق سماع هذا الكلام؟. إلا أن يبدو له فيه الحقائق.

بندار بن الحسين الشيرازى

ومنهم أبو الحسن بندار بن محمد بن المهلب. من أهل شيراز، سكن أرجان.

وكان عالما بالأصول، له اللسان المشهور فى علم الحقائق، وكان أبو بكر الشبلى يكرمه، ويعظم قدره، وبينه وبين أبى عبد الله بن خفيف معارضات فى مسائل شتى، مات سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وغسّله أبو زرعة الطبرى.

ومن كلامه:

* البكاء شتى: بكاء فرح لوجود حال عدمها فيما قبل، وبكاء أسف لفقد حال كان مقرونا بها. قال الله تعالى فى بكاء الفرح: «وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق». وقال الله تعالى فى بكاء الأسف: «تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا».

* الجمع ما كان بالحق، والتفرقة ما كان للحق.

* لا تخاصم لنفسك، فإنها ليست لك، دعها لمالكها يفعل بها كل ما يريد.

* ليس من الأدب أن تسأل رفيقك: إلى أين؟ وفى أى شئ؟..

* اترك ماتهوى لما تأمل.

* وسئل عن الفرق بين المحبة والحياء، فقال: إن المحبة رغبة وهى مزعجة، والحياء خجلة. والمحب طالب غائب، والمستحى حاضر. وبينهما فرقان: لأن المحبة تصح مع الغيبة، والحياء يصح مع المشاهدة، فشتان بين غائب غريب وحاضر قريب.

---

(١) يريد قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين. يجاهدون فى سبيل الله ولايخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم».[المائدة ٥٤]

* الاغانة ثقل مطالبة الحق عز وجل على قلب النبى ﷺ ، فإنه كان مطالبا بالأوامر ،فكان إذا أمر التزمه، وكان يثقل عليه إلى أن يدخل فيه، قال الله تعالى: «إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا».

* الصوفية متفقون فى الوحدانية فى الجملة قولا، متفرقون فى الوصول إليها معاينة ومنازلة. وكل واحد يستحق اسم ما ظهر عليه من حاله الذى هو به موصوف، بعد اتفاقهم فى الوحدانية قولا. فمن بين مجتهد، وزاهد، وعابد، وخائف، وراج، وغنى، وفقير، ومريد، ومراد، وصابر، وراض، ومتوكل، ومحب، ومستهتر، ومستأنس، ومشتاق، وواله، وهائم، وواجد، وفان، وباق... وأحوال يكثر تعدادها، وقد تجتمع الأحوال كلها فى واحد، ويسمى بما عليه من الجميع.

* صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق.

* من لم يجعل قبلته على الحقيقة ربه فسدت عليه صلاته.

* وأنشد:

نوائب الدهر أدَّبتنى
وإنما يوعظ الأريب
قد ذقت حلوا، وذقت مرا
كذاك عيش الفتى ضروب
ما مر بؤس ولا نعيم
إلا ولى فيهما نصيب!

أبو بكر الطمستانى

ومنهم أبوبكر الطمستانى الفارسى. وهو من أجل المشايخ، وأعلاهم حالا، متفرد بحاله ووقته. لا يشاركه فيه أحد من المشايخ ولا يدانيه. وكان أبو بكر الشبلى يبجله ويعرف له محله.

صحب إبراهيم الدباغ، وغيره من مشايخ الفرس... وكان مشايخ وقته يحترمونه. ورد نيسابور ومات بها بعد سنة أربعين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* الدنيا كلها حكمة واحدة، وكل واحد منهم أصاب على قدر ماكشف له.

* ما الحياة إلا فى الموت، أى ما حياة القلب إلا فى إماتة النفس.

* اليقظة فى أهل اليقظة لعمارة الآخرة، كما أن الغفلة فى أهل الغفلة لعمارة الدنيا.

*لا يمكن الخروج من النفس بالنفس، وإنما يمكن الخروج من النفس بالله تعالى،وذلك بصحة الإرادة لله عز وجل.

* الطريق إلى الله تعالى بعدد الخلق. ثم قال:الطريق له ولا طريق إليه.

* من فضّل الفقر على الغنى، والغنى على الفقر فهو مربوط بهما، وهما محلا علل.

* إياك أن تغتر بلعل وعسى !

* النعمة العظمى الخروج عن النفس، لأن النفس أعظم حجاب بينك وبين الله تعالى.

* ما الحقيقة إلا فى موت النفس.

* كل من فر من إماتة النفس فقد رجع إلى تأويل العلم.

* الموت باب من أبواب الآخرة، ولن يصل العبد إلى الله تعالى إلا بدخوله.

* جالسوا الله كثيرا، وجالسوا الناس قليلا.

* خير الناس من يرى أن الخير فى غيره، ويعلم أن السبيل إلى الله كثير؛ غير السبيل الذى هو عليه، لكى يرى تقصير نفسه فيما هو عليه.

* ينبغى أن تكون حركات المرء وسكونه لله تعالى، أو ضرورة يضطر إليها، وما كان غير ذلك فلا شئ.

* الطريق واضح، والكتاب والسنَّة قائمان بين أظهرنا، وفضل أصحاب النبى ﷺ بشيئين اثنين: بصحبتهم مع النبى ﷺ فى الظواهر، وهجرتهم إلى الله تعالى فى السرائر، وغربتهم مع أنفسهم ألا ترى أن الله تعالى يقول: « ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله»؟

فمن صحب منا الكتاب والسنَّةُ، وغَرَّب عن نفسه والخلق والدنيا، وهاجر إلى الله بقلبه، فهو الصادق المصيب، المتبع لآثار الصحابة. إلا أن الصحابة سبقوه بصحبتهم مع النبى ﷺ.

* من أحب من العقلاء البقاء فى الدار الفانية، فإنما أحبه للتلذذ بمناجاة سيده، والإقبال على الطاعة بحسب طاقته. وأن يكون تحت أمره ونهيه، فالعاقل لهذا أحب البقاء وكره الفناء.

* العاقل يتكلم على قدر الحاجة، ويدع ما فضل عنه.

* كل من استعمل الصدق بينه وبين ربه، شغله صدقه مع الله عن الفراغ إلى خلق الله.

* من لم يكن الصمت وطنه فهو فى فضول، وإن كان ساكنا.

* من صحب العلم فليس له بد من مشاهدة الأمر والنهى.

* العلم قطعك عن الجهل، فاجتهد ألا يقطعك عن الله تعالى.

* التصوف اضطراب... فإذا وقع سكون فلا تصوف.

* النفس كالنار، إن أُطفِئت من موضع تأججت من موضع، كذلك النفس، إذا هدأت من جانب ثارت من جانب.

* وقال له رجل: أوصنى، فقال: الهمة الهمة! فإنها مقدمة الأشياء، وعليها مدارها، وإليها رجوعها.

* ما أبرز الحقّ للخلق إلا اسما أو رسما، وما تكلم به إلا كل من لم يوفق.

أبو العباس أحمد بن محمد الدينورى

ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد الدينورى. صحب يوسف بن الحسين، وعبد الله الخراز، وأبا محمد الجريرى ، وأبا العباس بن عطاء، ولقى رويما. وهو من أفتى المشايخ، وأحسنهم طريقة واستقامة.

ورد نيسابور وأقام بها مدة، وكان يعظ الناس، ويتكلم على لسان المعرفة بأحسن كلام. ثم رحل من نيسابور إلى سمرقند، ومات بها بعد الأربعين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* سئل حين أراد الخروج إلى سمرقند: ما الذى يحملك على الخروج إليها، مع ميل أهل نيسابور إليك، ومحبتهم لك؟ فأنشأ يقول:

إذا عقد القضاء عليك عقدا
فليس يحله غير القضاء

فما لك قد أقمت بدار ذل
ودار العز واسعة الفضاء؟

* اعلم أن طلب اللهتعالى ترك الطلب، استحياء من الهيبة فى الطلب، فإذا فنى العبد فى الطلب اختطفه الحق فى الطلب عن الطلب.

* مكاشفات الأعيان بالأبصار، ومكاشفات القلوب بالاتصال.

* العالم متفاوتون فى ترتيب مشاهدات الأشياء: فقوم رجعوا من الأشياء إلى الله تعالى، فشاهدوا الأشياء، من حيث الأشياء ثم رجعوا إلى الله عزوجل. وقوم رجعوا من الله تعالى إلى الأشياء — من غير غيبتهم عنه — فلم يروا شيئا إلا ورأوا الحق قبله. وقوم بقوا مع الأشياء لأنه لم يكن لهم طريق منها إلى الله ليجتازوا بها عليها.

* اعلم أن لله تعالى فى خلقه رياضات، ليتجلى لهم بربوبيته... يراضون لهم فى مشاهدات الأشياء،

ليتحققوا بحقيقة الأشـياء، كما راض إبراهيم خليله صلوات الله عليه حين رأى النجوم، فقال فى بدايته: «هذا ربى»، وإنما هى عين الجمع من فـرط البلاء وغلبة الشوق، وحـصول الجمع فى الجمع، من حيـث ما ورد عليه من الحق للحق، حـتى قال: «هذا ربى». راضه ليـحوله إلى مـا هو من ور ائه. ألم تسمع إلى قولـه: «فلما أفل قال لا أحب الآفلين»؟

* اعلم أن أدنى الذكـر أن ينسى مـا دونه، ونهاية الـذكر أن يغـيب الذاكـر فى الذكر عن الذكـر، ويسـتغـرق بمذكوره عن الرجوع إلى مقام الذكر. وهذا حال فناء الفناء.

* العلم علمان: علم قيام العـبد بقيامه مع الله، وعلم بعلم الله فى العبد، وهـو العلم المغيب عن العباد، إلا من كشف له طرف من ذلك، من نبى أو خاص ولى.

* اعلم أن لباس الظاهر لا يغير حكم الباطن.

* إن لله عبادا لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته، وله عباد لم يستصلحهم لخدمته فأهملهم.

* من عطش إلى حال دهش فيه، ومن وصل إليه لم يستقر فيه.

* ليس يبلغ بالإنسان إلى مراتب الأخيار إلا الصدق، وكل وقت وحال خلا عن الصدق فباطل.

وأنشد:

ما أحسن الصدق فى مواطنه

والصدق فى كل موطن حسن

* المحب يختار كراهيته لرضاء حبيبه ،طالبا بذلك رضاه، وهو غاية المنى.

وأنشد:

رأيتك يدنينـى إليك تباعـــدى

فباعدت نفسى لابتغاء التقرب

أبو عثمان سعيد بن سلام المغربى

ومنهم أبو عثمان سـعيد بن سلام المغربى، من ناحيـة قيروان، من قرية يقال لها كـركنت، أقام بالحرم مدة، وكان شيخه.

صحب أبا على بن الـكاتب، وحبيبا المغربى، وأبا عـمرو الزجاجى، ولقى أبـا يعقوب النهـرجورى، وأبا الحسن بن الصائغ الدينورى، وغيرهم من المشايخ.

وكان أوحد فى طريقته وزهده، بقية المشـايخ وتاريخهم. لم ير مثله فى علو الحال، وصون الوقت، وصحة

الحكم بالفراسة، وقوة الهيبة. ورد نيسابور، ومات بها سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* الاعتكاف حفظ الجوارح تحت الأوامر.

* لا يعرف الشئ من لا يعرف ضده، لذلك لا يصح لمخلص إخلاصه إلا بعد معرفته الرياء ومفارقته له.

* وقيل له: إن فلانا مسافر. فقال: يجب أن يسافر من عند هواه وشهوته ومراده، فإن السفر غربة، والغربة ذلة. وليس لمؤمن أن يذل نفسه.

* وذكر بين يديه قول الشافعى رضى الله عنه: «العلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان»، فقال: رحم الله الشافعى، ما أحسن ما قال: علم الأديان علم الحقائق والمعارف، وعلم الأبدان علم السياسات والرياضات والمجاهدات.

* العاصى خير من المدعى، لأن العاصى أبدا يطلب طريق توبته، والمدعى يتخبط فى حبال دعواه.

* من مد يده إلى طعام الأغنياء بشره وشهوة لايفلح أبدا، وليس يعذر فيه إلا المضطر.

* الصوفى من يملك الأشياء اقتدارا، ولا يملكه شئ اقتهارا.

* من اشتغل بأحوال الناس ضيع حاله.

* أَبَى المليك إلا اختبارا لأوليائه، ومتعرضا لهم بأعدائه. وإنما اختبرك فى قربه بعدوه، لينظر كيف صبرك على عدوه، فإن صبرت على بلوى عدوه جللك بعلمه، وحباك بوصله، وأسكنك فى جواره، ونعمك بمشاهدته، ولذذك بذكره، وأوصلك بمعرفته، وجعلك إماما يقتدى به، ونجاة لعباده، ورحمة لهم فى أرضه، وجعل محبتك فى قلوبهم، وجعل أنسهم فى رؤيتك، وجعل لك حلاوة فى قلوبهم.

* التقوى هى الوقوف مع الحدود، لايقصر فيها ولا يتعداها. قال الله تعالى: «ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه».

* من آثر على التقوى شيئا حُرم لذة التقوى.

* من تحقق فى العبودية طهر سره بمشاهدة الغيوب، وأجابته القدرة إلى كل ما يريد.

* ليكن تدبرك فى الخلق تدبر عِبرة، وتدبرك فى نفسك تدبر موعظة، وتدبرك فى القرآن تدبر حقيقة ومكاشفة. قال الله تعالى: «أفلا يتدبرون القرآن» جرأك به على تلاوة خطَابه، ولولا ذاك لكلت الألسن عن تلاوته.

* وقال فى مرضه: إنما مثلى ومثل أطبائى كإخوة يوسف ويوسف. كان يوسف مدبرا بالقدرة، وإخوته

يدبرون فيه، وأنى يغنى تدبير الخلق من تدبير القدرة؟!

* الساكت بعلم، أحمد أثرا من الناطق بجهل.

* لاتصحب إلا أمينا أو معينا، فإن الأمين يحملك على الصدق، والمعين يعينك على الطاعة.

* وسئل: ما عقدة الورع؟ فقال: الشريعة تأمره وتنهاه، فيتبع ولا يخالف.

* لما بذل المحبون مجهودهم فى محبة ربهم عطف عليهم الحق بالإحسان، ومرة بعد أخرى حتى أحبوه. روى عن النبى ﷺ أنه قال: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها».

* قلوب أهل الحق قلوب حاضرة، وأسماعهم أسماع مفتوحة.

* من حمل نفسه على الرجاء تعطل، ومن حمل نفسه على الخوف قنط، ولكن ساعة وساعة، ومرة ومرة.

* بدايات المقامات أرفاق وغنى وكفاية، ولكن إذا تمكن أتته البلايا. لذلك قال بعض المريدين: مازالوا يرفقون بى حتى وقعت، فلما وقعت قالوا لى: استمسك! كيف أستمسك إن لم يمسكنى؟

* الحكمة هى النطق بالحق.

* الغنى الشاكر يكون كأبى بكر الصديق رضى الله عنه، شكر فقدم ماله، وآثر الله عليه، فأورثه الله غنى الدارين وملكهما. والفقير الصابر مثل أويس القرنى ونظرائه، صبروا فيه حتى ظهرت لهم براهينه.

* من أعطى نفسه الأمانى قطعها بالتسويف والتوانى.

* علم اليقين يدل على الأفعال، فإذا فعلها وأخلص فيها، وظهرت له بينات ذلك، صار له علم اليقين عين اليقين.

* التقوى تتولد من الخوف.

* أفواه قلوب العارفين فاغرة لمناجاة القدرة.

* سألنى سائل: متى يقوم الحق بالحق؟ فقلت: إذا بلغ الميقات حينه، واستوفى الحق مجارى أحكامه من ظاهر هيكله أوقد سرج الإيمان فى قلبه، واكتسى ظاهر هيكله بنور حقه، وانتصر له من ظالمه، فتعجب السائل وسكت.

أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصراباذى

ومنهم أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن محمويه النصراباذى، شيخ خراسان فى وقته، نيسابورى الأصل والمولد والمنشأ.

يرجع إلى أنواع من العلوم: من حفظ السير وجمعها، وعلوم التاريخ، وما كان مختصا به من علم

الحقائق. وكان أوحد المشايخ فى وقته علما وحالا.

وصحب أبا بكر الشبلى، وأبا على الروذبارى، وأبا محمد المرتعش، وغيرهم من المشايخ. أقام بنيسابور، ثم خرج فى آخر عمره إلى مكة، وحج سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وأقام بالحرم مجاورا.

كتب الحديث الكثير ورواه، وكان ثقة. مات سنة سبع وستين وثلاثمائة.

أسند الحديث:

عن فاطمة بنت قيس عن النبى ﷺ : «حديث السكنى والنفقة»(١)

ومن كلامه:

* إذا بدا لك شىء من بوادى الحق فلا تلتفت معه إلى جنة ولا إلى نار، ولا تخطرهما ببالك، وإذا رجعت عن ذلك الحال فعظم ماعظمه الله تعالى.

* إذا أخبر عن آدم – بصفة آدم – قال: «وعصى آدم ربه فغوى» وإذا أخبر عنه – بفضله عليه – قال: «إن الله اصطفى آدم».

* موافقة الأثر حسن، وموافقة الأمر أحسن، ومن وافق الحق – فى لحظة أو خطرة – فإنه لا تجرى عليه بعد ذلك مخالفة بحال.

* من عمل على رؤية الخبراء كانت أعماله بالعدد والإحصاء، ومن عمل على المشاهدة أذهلته المشاهدة عن التعداد والعدد، ومن عمل بالعدد كان ثوابه بالعدد، قال الله تعالى: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها»، ومن عمل على المشاهدة كان أجره بلا عدد. قال الله عز وجل: «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب».

* الراحة ظرف مملوء من العتاب.

* الراغب فى العطاء لا مقدار له، والراغب فى المعطى عزيز.

* أنت بين نسبتين: نسبة إلى الحق ونسبة إلى آدم، فإذا انتسبت إلى الحق دخلت فى مقامات الكشف والبراهين والعظمة، وهى نسبة تحقق العبودية. قال الله تعالى: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا» وقال: «إن عبادى ليس لك عليهم سلطان» وقال: «فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما». وإذا انتسبت إلى آدم دخلت فى مقامات الظلم والجهل، قال الله تعالى: «وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا».

* وسئل: أليست الأنفس والأموال لله عز وجل؟

---

(١) لما طلبت فاطمة بنت قيس بعد طلاقها النفقة من وكيل زوجها قال لها الرسول :اعتدى عند أم شريك .ثم قال :اعتدى عن ابن أم مكتوم .قالت فاطمة : طلقنى زوجى ثلاثا على عهد رسول الله ﷺ ،فقال رسول الله ﷺ :«لاسكنى لك ولانفقة» .

فكيف يشترى ما هو له؟ فقال: إنه عز اسمه اشترى منهم ما هو له - نظرا لهم - كشراء الأب للطفل نظرا له، ملكك نفسك، ثم أسقط عنها ملكك، لئلا يقع لك بتمليكه إياك غبن، بأن تشترى به ما لا يعارضه، أو تبيعه بما لا يوازنه.

* وقيل له: إن بعض الناس يجالس النسوان، ويقول: أنا معصوم فى رؤيتهن. فقال: ما دامت الأشباح باقية، فإن الأمر والنهى باق، والتحليل والتحريم مخاطب بهما، ولن يجترىء على الشبهات إلا من يتعرض للمحرمات.

* الأشياء أدلة منه، ولا دليل عليه سواه.

* سر يسلم من رعونة البشر سر ربانى.

* العبادات إلى طلب الصفح، والعفو عن تقصيرها، أقرب منها إلى طلب الأعواض والجزاء بها.

* دماء الأقرباء تتحرك عند الالتقاء، ودماء المحبين تجيش وتغلى.

* أهل المحبة واقفون مع الحق على مقام ، إن تقدموا غرقوا، وإن تأخروا حجبوا.

* أثقال الحق لايحملها إلا مطايا الحق.

* جذبة من جذبات الحق تربى على أعمال الثقلين.

* أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنَّة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ، ورؤية أعذار الخلق، وحسن صحبة الرفقاء، والقيام بخدمتهم، واستعمال الأخلاق الجميلة، والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات، وما ضل أحد فى هذا الطريق إلابفساد الابتداء، فإن فساد الابتداء يؤثر فى الانتهاء.

أبو الحسن على بن إبراهيم الحصرى

ومنهم أبو الحسن على بن إبراهيم الحصرى، بصرى الأصل. سكن بغداد، وكان شيخ العراق ولسانها، لم نر فيما رأينا من المشايخ أتم حالا منه، ولا أحسن لسانا منه، ولا أعلى كلاما.

كان أوحد المشايخ ولسان الوقت، وكان أوحد فى طريقته، من أجل المشايخ وأظرفهم وألطفهم له لسان فى التوحيد يختص هو به، ومقام فى التفريد والتجريد مسلم له، لم يشاركه فيه أحد بعده.

وهو أستاذ العراقيين، وبه تأدب من تأدب منهم صحب أبا بكر الشبلى، وغيره من المشايخ مات ببغداد فى يوم الجمعة فى ذى الحجة سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* الصوفى لا ينزعج فى انزعاجه، ولا يقر فى قراره.

* آدم فى محله كـان محلا للعلل، فخوطب عـلى حسب العلل: «إن لك ألا تجوع فيـها ولا تعرى». وإلا فما مقام المجاورة مما يؤثر فيه الجوع والعرى!.

* علمنا الذى نحن فيه يوجب إنكار كل معلوم مرسوم، ومحو كل معلوم معلول، وما بان شىء فيمتحى.

* لا أحد أقل قدرا ممن يشـتغل بالفضائل فـيقدم ذا ويؤخر ذا. فى الدنيـا يكون ناسا بناس مع ناس، وفى الآخرة: «ولكم فيـها ما تشتهـى أنفسكم» مع المطاعم والمشارب والمناكح، ليت الجنة على قفـا أهلها، لعلنا إذا نجونا منها ومن طـالبيها تفرغنا إلى مـشاهدة من أكرمنا بمعرفـته، وبدأنا بأنواع مباره .بل لو عـرفناه ما شاهدنا سواه.

* دعونى وبلائى، هاتوا ما لكم، ألستم من أولاد آدم الذى خلقه الله بيـده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، ثم أمره بأمر فخالفه؟. إذا كان أول الدن درديا كيف يكون آخره؟.

* من ادعى فى شىء من الحقيقة كذبته شواهد كشف البراهين.

* نظرت فى ذل كل ذى ذل فـزاد ذلى على ذلهم، ونظرت فى عز كل ذى عـز فزاد عزى علـى عزهم. ثم قرأ: «من كان يريد العزة فلله العزة جميعا».

* الصوفى الذى لا يُوجَد بعد عدمه، ولا يُعْدم بعد وجوده.

* الصوفى وَجْده وجوده، وصفاته حجابه.

* الصوفى إن وجد جحد، وإن تجلى كشف.

* الخوف من الله علة وحجاب، لأنه إذا كان خوفى منه لا يزيل مراده فى، ورجائى لا يوصلنى إلى مرادى منه، فقد تعطل عـندى حكم الخوف والرجاء للمتحـققين. وأما أرباب الرسوم والعلوم فـعليهم واجب التزام الأدب.

* ربط الكل بالحدود، وقطع طريق الحق عن الكل، فلا ترى إلا واقفا مع نفـسه أو مع رسمه، لبينونة القدم إن لم يلحقه شىء من الحوادث، إذا زفرت جهنم زفـرة فإن الكل يقول: نفسى نفسى!. والأجل الأدنى يرجع إلى حد الشـفقـة، فيقـول: أمتى أمتى!. فـلا يبقى فى أحـد نفس بلا علة، فيـقول: ربى ربى! ليـعلم أن محل الحوادث لا يخلو عن العلل.

* كنت زمانا إذا قرأت القرآن لا أستعيذ من الشيطان، وأقول: من الشيطان حتى يحضر كلام الحق عز وجل؟

* وسئل : هل يحتشم المحب أو يفزع؟ فقال: الحب استهلاك لا يبقى معه صفة .وأنشأ يقول:

قالت: لقد سؤتنا فى غير منفعة

بقرعك الباب، والحجاب ما هجعوا

ماذا يريبك؟ فى الظلماء تطرقنا

قلت: الصبابة هاجت ذاك والطمع

قالت: لعمرى لقد خاطرت ذا جزع

حتى وصلت، فهلا عاقك الجزع؟

فقلت: ما هو إلا القتل، أو ظفر

بما يزول به عن مهجتى الهلع

* هو أعز من أن يعز على سواه، وأعز من أن يذل له غيره، وأعز من أن يذل لغيره، بل هو أذل ماله لما له، وعزز ماله على ماله، وليس لمن أعز معنى عز به، ولا لمن أذل معنى ذل به، بل هو أظهر الجميع، ورسم بأنهم عزوا وذلوا، وذلك هو العز الذى لا يرام.

* ضاقت على أوقاتى وأنفاسى، فلست أستروح إلا أن تذكر أنفاس جرت منى بأنس البسط بصفاء الود، مصونة عن شوب الأكدار، وأنشد هذا البيت:

إن دهرا يلف شملى بسلمى

لزمان يهم بالإحسان

أبو عبد الله التروغبذى

ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسن التروغبذى. كان من جلة مشايخ طوس، صحب أبا عثمان الحيرى، ومن فى طبقته من المشايخ، وصار أوحد فى طريقته. ظهرت له آيات وكرامات، وكان مجردا عالى الحال كبير الهمة.

مات بعد الخمسين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* من بذل نفسه لهواه، وشغل عمره بمناه، استعبده هواه، واسترقه مناه.

* طوبى لمن لم يكن له وسيلة إلى الله سواه، فإنه لا وسيلة إليه غيره.

* وقيل له: ما صفة المريد؟ فقال: المريد فى تعب، ولكن تعبه سرور وطرب، لا عناء ولا نصب.

* الكبر سمة الأغنياء، والتذلل والتواضع من أخلاق الفقراء.

* ترك الدنيا للدنيا من علامات حب الدنيا.

* ليس فى اجتماع الإخوان أنس لوحشة الفراق.

* من ضيع أمر الله فى صغره، أذله الله فى كبره.

* لو خدم رجل فى جميع عمره يوما فتى من الفتيان للحقته بركة خدمته، فكيف بمن أفنى فى خدمتهم عمره؟

* وسئل عن الصوفى والزاهد، فقال: الصوفى بربه، والزاهد بنفسه.

* الأسماء مكشوفة، والمعانى مستورة.

* إياك والتمييز فى الخدمة، فإن أرباب التمييز قد مضوا. اخدم الكل ليحصل لك المراد، ولا يفوتك المقصود.

* إن الله تعالى وهب لكل عبد من معرفته مقدارا، وحمله من البلاء على مقدار ما وهب له من المعرفة، لتكون معرفته عونا له على حمل بلائه.

* ما جزع النبى ﷺ قط إلا لأمته، فإنه بعث بالرأفة والرحمة، فإذا كشف له من أمور أمته عن مخالفة جزع لهم وعليهم. قال الله تعالى: «عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم».

* العلم يورث الخوف، والعلم يورث الوجل، والعلم يورث السكينة والطمأنينة، وذلك على قدر أحوال العبيد ومقاماتهم: مقام أوجب العلم فيه الوجل والخوف، ومقام أوجب فيه السكون والطمأنينة... والأحوال تصح إذا كانت عن نتائج العلوم.

أبو عبد الله الروذبارى

ومنهم أبو عبد الله أحمد بن عطاء بن أحمد الروذبارى ابن أخت أبى على الروذبارى. شيخ الشام فى وقته، يرجع إلى أحوال يختص بها وأنواع من العلوم: من علم القراءات فى القرآن وعلم الشريعة وعلم الحقيقة، وأخلاق وشمائل يختص بها، وتعظيم للفقر وصيانة له، وملازمة لآدابه، ومحبة للفقراء، وميل إليهم، ورفق بهم.

مات بصور فى ذى الحجة، سنة تسع وستين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

قال أبو عبد الله جعفر بن محـمد الصادق رضى الله عنه: «اللحم بالبر مرقة الأنبياء»[1] كذلك حدثنى أبى عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ أنه كان يذكر ذلك.

ومن كلامه:

* الذوق أول المواجيد، فأهل الغيبة إذا شربوا طاشوا، وأهل الحضور إذا شربوا عاشوا.

* ما من قبيح إلا وأقبح منه صوفى شحيح.

وأنشدنى أحمد بن محمد بن نصر لنفسه فى هذا المعنى:

أشرت إلى الحبيب بلحظ طرفى
فأعـرض عـن إجابتـى المليـح
فقلـت: أضـاع مذهبـه المـرجى
وحرمة ذلك العهد الصحيح؟
ألـم تسمـع بـأن لا قبـح إلا
وأقبـح منـه صوفـى شحيـح!

* رأيت فى المنام كأن قائلا يقول لى: أى شىء أصح ما فى الصلاة؟ فقلت: صحة القصد. فسمعت هاتفا يقول: رؤية المقصود بإسقاط رؤية القصد أتم.

* الخـشوع فى الصـلاة علامـة فلاح المصلى. قـال الله تعالى: «قـد أفلح المؤمنون، الذين هم فى صـلاتهم خاشعون».

* من خدم الملوك بلا عقل أسلمه الجهل إلى القتل.

* من قَلَّتْ آفاته اتصلت بالحق أوقاته.

* مجالسة الأضداد ذوبان الروح، ومجالسة الأشكال تلقيح العقول.

* ليس كل من يصلح للمـجالسة يصلح للمؤانـسة، وليس كل من يصلح للمؤانسـة يؤتمن على الأسرار، ولا يؤتمن على الأسرار إلا الأمناء فقط.

---

(١) هذا الحديث ضعيف.

* وسئل عن القبض والبسط، وعن حال من قبض ونعته، وعن حال من بسط ونعته، فقال: إن القبض أول أسباب الفناء، والبسط أول أسباب البقاء ... فحال من قبض الغيبة، وحال من بسط الحضور، ونعت من قبض الحزن، ونعت من بسط السرور.

*من عطش إلى حالة أتم ممن دهش بها، وليس من دهش بها أتم ممن عطش إليها. وهذا شأن قبض الحق بالفناء وبسطه بالبقاء .

* التصوف ينفى عن صاحبه البخل، وكتّب الحديث ينفى عن صاحبه الجهل، فإذا اجتمعا فى شخص فناهيك به نبلا.

* وأنشد لنفسه:

فما مل ساقيها ، وما مل شارب

عقار لحافظ كأسه يسكر اللبا

يطوف بها طرف من السحر فاتر

على جسم نور، ضوؤه يخطف القلبا

يقول بلفظ، يخجل الصب حسنه

تجاوزت يا مشغوف فى حالك الحبا

فسكرك من لحظى هو الوجد كله

وصحوك من لفظى يبيح لك الشربا

* سر السماع ثلاثة أشياء: بلاغة ألفاظه، ولطف معانيه، واستقامة منهاجه. وسر النغمة ثلاثة: طيب الخلق، وتأدية الألحان، وصحة الإيقاع. وسر الصادق فى السماع ثلاثة: العلم بالله، والوفاء بما عليه، وجمع الهم. والوطن الذى يسمع فيه يحتاج أن يجمع فيه ثلاث خصال :طيب الروائح، وكثرة الأنوار، وحضور الوقار. ويعدم ثلاث: رؤية الأضداد، ورؤية من يحتشم، ورؤية من يتلهى. ويسمع من ثلاث: الصوفية، والفقراء، والمحبين لهم. ويسمع على ثلاث معان: على المحبة والوجد والخوف. والحركة فى السماع على ثلاث: الطرب والخوف والوجد. والطرب له ثلاث علامات: الرقص والتصفيق والفرح. والخوف له ثلاث علامات: البكاء واللطم والزفرات. والوجد له ثلاث علامات: الغيبة والاصطلام والصرخات.

أبو الحسن على بن بندار الصيرفى

ومنهم أبو الحسن على بن بندار بن الحسين الصيرفى. من جلة مشايخ نيسابور. ورزق من رؤية المشايخ وصحبتهم مالم يرزق غيره. صحب بنيسابور أبا عثمان ومحفوظا، وبسمرقند محمد بن الفضل، وببلخ

د، وبجوزجان أبا على، وبالرى يوسف بن الحسين، وببغداد الجنيد بن محمد ورويما وسمنون، س بن عطاء، وأبا محمد الحريرى، وبالشام طاهرا المقدسى، وأبا عبد الله بن الجلاء، وأبا عمرو الدمشقى، وبمصر أبا بكر المصرى والزقاق، وأبا على الروذبارى.. وكتب الحديث الكثير، ورواه، وكان ثقة.

مات سنة تسع وخمسين وثلاثمائة.

أسند الحديث:

عن عائشة أن النبى ﷺ قال: «نعم الإدام الخل».

ومن كلامه:

* دخلت بدمشق على أبى عبد الله بن الجلاء فقال: متى دخلت دمشق؟ قلت: منذ ثلاثة أيام. فقال لى: مالك لم تجئنى؟ قلت: ذهبت إلى ابن جوصاء، وكتبت عنه الحديث، فقال لى: شغلتك السنَّة عن الفريضة.

* وسئل: ما التصوف؟ فقال: إسقاط رؤية الخلق ظاهرا وباطنا.

* فساد القلوب على حسب فساد الزمان وأهله.

* دار أسست على البلوى بلا بلوى محال.

* يابنى، إياك والخلاف على الخلق، فمن رضى الله به عبدا فارض به أخا.

* إياك والاشتغال بالخلق، فقد عدم عليهم الربح اليوم.

* ورأى مرة فى يد ابنه كتابا فقال له: ما هذا؟ فقال: كتاب «المعرفة». فقال: ألم تكن المعرفة فى القلوب؟ فقد صارت فى الكتب!

* ليس الفقير من يظهره فقره، إنما الفقير من يكتم فقره، ويأنس به ويفرح.

* زمان يذكر فيه بالصلاح، زمان لا يرجى فيه صلاح.

* كنت يوما أماشى أبا عبد الله محمد بن خفيف فقال لى: تقدم يا أبا الحسن. فقلت. بأى عذر؟ قال: بأنك لقيت الجنيد وما لقيته.

* ثوب أستجيز فيه الصلاة أكره أن أبدله للقاء الناس بخير منه.

* وقال لبعض أصحابه: إلى أين؟ فقال: أخرج إلى النزهة. فقال: من عدم الأنس من حاله لم يزده التنزه إلا وحشة.

* الحق أمر عظيم يطلبه الخلق، إنما الحق يطرح الدنيا والآخرة.

أبو بكر محمد بن أحمد الشبهي

ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر الشبهي، من أفتى مشايخ وقته. صحب أبا عثمان الحيرى.

مات قبل الستين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

ومن كلامه:

* يكفيك من حسن الخلق ألا تحزن بريئا.

* دخل عليه بعض أصحابه وقال: أنا إذا مشيت فى السوق يقول الناس: انظروا إلى خشوع هذا المنافق! فقال الشبهي: اتق الله وخف على نفسك، فإن النبي ﷺ قال للمسلمين: «أنتم شهداء الله فى الأرض».

* الفتوة حسن الخلق وبذل المعروف .

* العارفون يقوون بمعروفهم، وسائر الناس يقوون بالأكل والشرب.

أبو بكر محمد بن أحمد الفراء

ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدون الفراء. من كبار مشايخ نيسابور، صحب أبا على الثقفى، وعبد الله بن منازل، وصحب أيضا أبا بكر الشبلى، وأبا بكر بن طاهر، وغيرهم من المشايخ وكان أوحد المشايخ فى طريقته.

مات سنة سبعين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ رأى رجلا يغتسل فى صحن الدار فقال: «إذا اغتسل أحدكم فليستتر ولو بجدار».

ومن كلامه:

* من لم يؤثره الله على كل شيء لا يصل إلى قلبه نور المعرفة بحال.

* يصح للمرء عمله على قدر اهتمامه بالدخول فيه، وحزنه على تقصيره، وجهده فى الخروج منه على السنة.

* كتمان الحسنات أولى من كتمان السيئات ، فإنك بذلك ترجو النجاة.

* الآمر بالمعروف يجب عليه أن يبدأ بنفسه، ويصبر على ما يلحقه فى ذلك، ويكون عالما بما يأمر به وما ينهى عنه.

* وسئل عن الأبرار، فقال: هم المتقون.

أبو عبد الله محمد بن أحمد المقرىء
وأبو القاسم جعفر بن أحمد المقرىء

ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد المقرىء. صحب يوسف بن الحسين الرازى، وعبد الله الخراز الرازى، ومظفرا القرميسينى، ورويما والجريرى، وابن عطاء. وكان من أفتى المشايخ وأسخاهم، وأحسنهم خلقا ، وأعلاهم همة، وأتمهم دينا وورعا.

مات سنة ست وستين وثلاثمائة.

وأما أبو القاسم جعفر بن أحمد المقرىء فهو من جلة مشايخ خراسان. وكان أوحد المشايخ فى وقته وطريقته.. عالى الحال شريف الهمة، لم نلق أحدا من المشايخ فى سمته ووقاره.

صحب أبا العباس بن عطاء، وأبا محمد الجريرى، وأبا بكر بن أبى سعدان، وأبا بكر بن ممشاذ، وأبا على الروذبارى.

مات بنيسابور سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لو لا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك مع الوضوء».

ومن كلامهما:

* أبو عبد الله: الفقير الصادق الذى يملك كل شىء ولا يملكه شىء.

* أبو عبد الله: الفتوة حسن الخلق مع من تبغضه، وبذل المال لمن تكرهه، وحسن الصحبة مع من ينفر قلبك منه.

* أبو القاسم: الفتوة رؤية فضل الناس بنقصانك.

* أبو القاسم: الحرية موافقة الإخوان فيما هم فيه، مالم تكن خلافا للعلم.

* أبو القاسم: التصوف استقامة الأحوال مع الحق.

* أبو عبد الله: ما قبل منى أحد شيئا إلا رأيت له منة علىَّ لا يمكننى القيام بواجبها أبدا.

* وأنشد أبو القاسم لبعضهم:

أقلنى عثرتى، واسمع دعائى
فأنت اليوم فى الدنيا رجائى
لقد أعيا الأطبة ما دوائى
وعندك يا عزيز دواء دائى
دوائى نظرة فيها شفائى
شفائى فى لقائك يامنائى

* أبو القاسم: ليس السخى من طالع ما بذله أو ذكره، وإنما السخى من إذا تسخى استحى من ذلك، واستصغره، وأنف من ذكره.

* أبو عبد الله: أول ما صحبت عبد الله الخراز قلت له: بماذا تأمرنى أيها الشيخ؟ قال: بثلاثة أشياء: بالحرص على أداء الفرائض بأتم جهدك، والاحترام لجماعة المسلمين، واتهام خواطرك، إلا ما وافق الحق.

* أبو عبد الله: أوائل بركة الدخول فى التصوف أن تصدق الصادقين فى الإخبار عن أنفسهم وعن مشايخهم.

* وورث أبو عبد الله عن أبيه خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار، فخرج عن جميع ذلك، وأنفقها على الفقراء. فسئل عن ذلك فقال: أحرمت وأنا غلام حدث، وخرجت إلى مكة على الوحدة والتقطع، حين لم يبق لى شىء أرجع إليه، فكان اجتهادى أن أزهد فى الكتب وما جمعته من الحديث والعلم، أشد علىَّ من الخروج إلى مكة، والتقطع فى الأسفار، والخروج من ملكى.

* أبو القاسم: السماع على ما فيه من اللطافة فيه خطر عظيم، إلا لمن يسمعه بعلم غزير، وحال صحيح، ووجد غالب من غير حظ له فيه.

* أبو القاسم: العارف من شغله معروفه عن النظر إلى الخلق بعين القبول والرد.

* أبو عبد الله: من تعزز عن خدمة إخوانه أورثه الله ذلا لا انفكاك له منه.

أبو محمد عبد الله بن محمد الراسبى

ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الراسبى من أهل بغداد، من جلة مشايخم. صحب أبا العباس بن

عطاء والجريرى.

رحل إلى الشام، ثم رجع إلى بغداد، ومات بها سنة سبع وستين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

* القلب إذا امتحن بالتقوى نزع عنه حب الدنيا، وحب الشهوات، وأوقف على المغيبات .

* أعظم حجاب بينك وبين الحق اشتغالك بتدبير نفسك، واعتمادك على عاجز مثلك فى أسبابك.

* لا يكون الصوفى صوفيا حتى لا تـقله أرض، ولا تظله سماء ولا يكون له قبول عند الخلق، ويكون مرجعه فى كل أحواله إلى الحق عز وجل.

* الهموم عقوبات الذنوب.

* المحبة إذا ظهرت افتضح فيها المحب، وإذا كتمت قتلت المحب كمدا.

وأنشد على أثر ذلك:

ولقد أفارقه بإظهار الهوى
ليستر سره إعلانه
ولربما كتم الهوى إظهاره
ولربما فضح الهوى كتمانه
عى المحب لدى الحبيب بلاغة
ولربما قتل البليغ لسانه
كم قد رأينا قاهرا سلطانه
للناس، ذل لحبه سلطانه

* خلق الله الأنبياء للمجالسة، والعارفين للمواصلة، والصالحين للملازمة، والمؤمنين للعبادة والمجاهدة.

* وقال فى قوله عز وجل: «تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة» قال: جمع بين إرادتين. فمن أراد الدنيا دعاه الله إلى الآخرة، ومن أراد الآخرة دعاه إلى قربه . قال الله عز وجل: « ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا». والسعى المشكور هو البلوغ إلى منتهى الآمال من القرب والدنو.

* البلاء أو الحيرة هو صحبتك مع من لا يوافقك ولا تستطيع تركه.

أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق الدينورى

ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق الدينورى. من جلة المشايخ وأكبرهم حالا وأعلاهم همة،

وأفصحهم فى علوم هذه الطائفة، مع ما كان يرجع إليه من صحبة الفقر، والتزام آدابه، ومحبة أهله. أقام بوادى القرى سنين، ثم رجع إلى دينور ومات بها.

ومن كلامه:

* صحبة الصغار مع الكبار من التوفيق والفطنة، ورغبة الكبار فى صحبة الصغار خذلان وحمق.

* لايعجبنك ماترى من هذه اللبسة الظاهرة عليهم، فما زينوا الظواهر إلا بعد أن خربوا البواطن.

* اختيار الله تعالى لعبده، مع علمه بعبده، خير من اختيار العبد لنفسه، مع جهله بربه.

* وأنشد لنفسه أو لغيره:

أيا من صفاء الود شرب فؤاده
فأصبح ريانا لتلك المشارب

أغثنى فما لى عنك بالصبر طاقة
وجد لى فقد ضاقت على مذاهبى

* تعب الزهد على البدن، وتعب المعرفة على القلب.

* ودخل عليه رجل فقال له: كيف أمسيت؟

فأنشأ يقول:

إذا الليل ألبسنى ثوبه
تقلب فيه فتى موجع

* وأنشد:

بقلبى من نفّى عنى نعاسى
وأرّقنى، وبات ولم يواس

ومن حبى له أبدا جديد
وثوب صدوده أبدا لباسى

يُسئ فلا أؤاخذه بذنب
وألزم ذنبه كلا براسى

* أرفع العلوم فى التصوف علم الأسماء والصفات، وتمييز الخلاف من الاختلاف، وإخلاص أعمال الظاهر، وتصحيح أحوال الباطن.

* رأيت فى بعض أسفارى رجلا يقفز بإحدى رجليه، فقلت له: ما لك والسفر مع فقدان الآلة؟ فقال لى: أمسلم أنت؟ قلت: نعم.

قال: اقرأ قوله تعالى: «وحملناكم فى البر والبحر». إذا كان هو الحامل حمل بلا آلة.

فهرس